السلطان

تأليف

الإمام العالم

أبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة

المتوفى سنة (٢٧٦ هـ)

دراسة وتحقيق

القدس

للدراسات والبحوث

أيمن عبد الجابر البحيرى

الناشر

المكتبة الأزهرية للتراث

٩ درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر

☎ ٥١٢٠٨٤٧

رقم الإيداع : ١٤٥٢١ / ٢٠٠٢
الترقيم الدولي I . S . B . N
977 - 315 - 058 - 5

إهداء

إلى .. من جعله الله حلقة الوصل بين تراثنا الفكرى وواقعنا المعاصر.

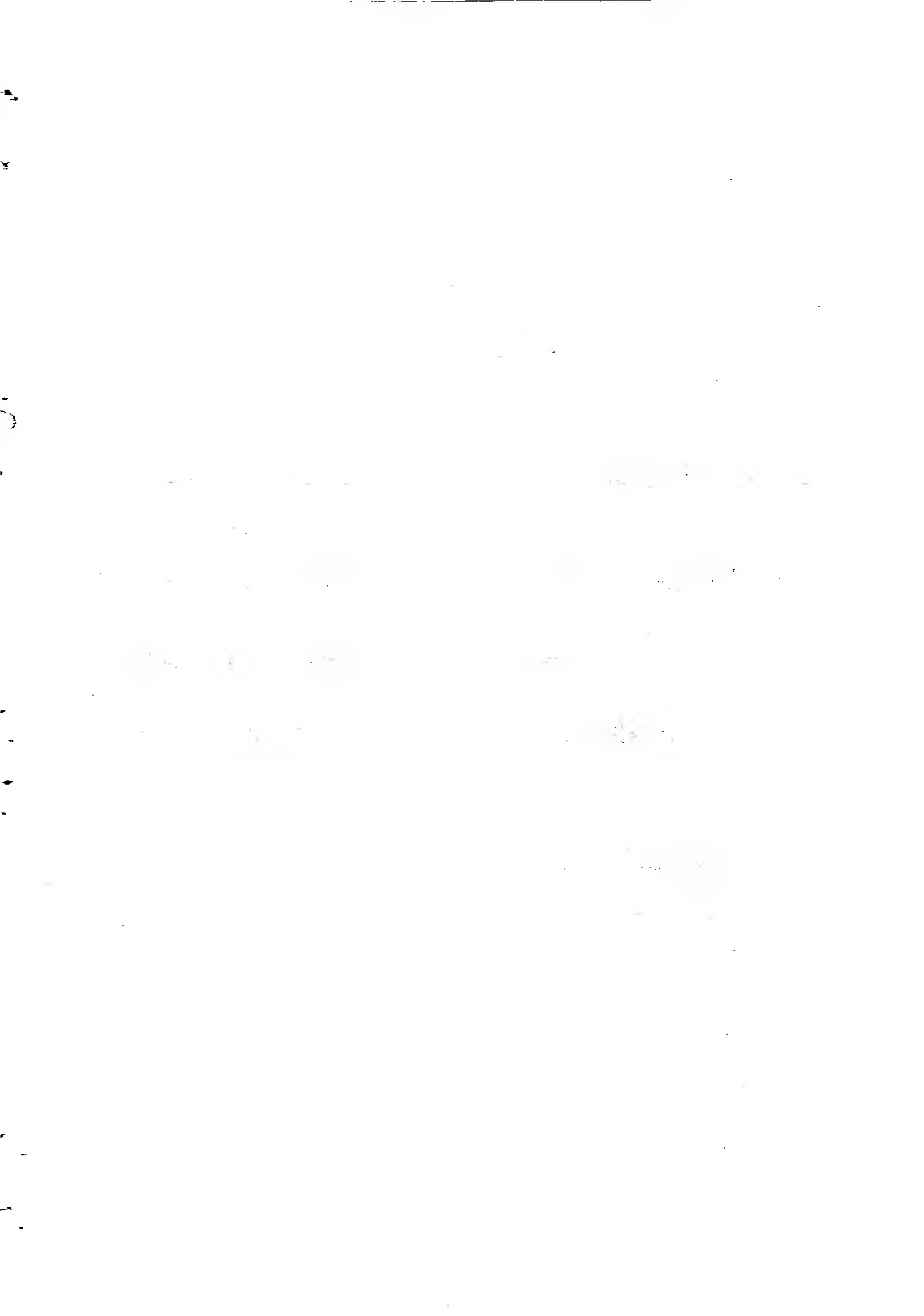
إلى.. من علمنا البحث فى دهاليز الكتب على اختلافها،

إلى .. من أرشدنا إلى ما وراء الكلمات،

إلى ..أستاذنا الدكتور / سيف الدين عبد الفتاح .

حافظ الفضل لأهل الفضل

أيمن البحيرى





وبالله ثقتنا

مقدمة التحقيق

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وإمام المتقين، محمد النبى الأمى العربى، وآله وصحبه وسلم .

أما بعد؛ فعجيبٌ أمر المسلمين، كلما قرأ المرء فى تراث أجدادهم وأسلافهم وما تفجرت به ينابيع عقولهم، ازداد تعجبًا لحالهم وما آل إليه أمرهم؛ ليس فقط التعجب والاندهاش والحيرة، بل السؤال الملح، الذى يطرح نفسه كثيرًا ، ودائمًا ما يطرق آذاننا، ويصمها بضجيجه، وهو لماذا توقف التدافق الحضارى للمسلمين؟! هل نضب معينهم؟ هل جفت ينابيع الحكمة فى عقولهم؟ هل فقد المسلمون آليات تواجدهم الحضارى؟! أسئلة كثيرة تنصب فى محيط واحد، وهو أين المسلمون؟

وإن كثيرًا من الكتب تحاول جاهدة أن تجيب عن هذه الأسئلة ، واعتقد البعض أنه أجاب، ووضع يده على الداء، ثم وصف الدواء، ثم نادى: هيا خذوا مشفاكم ومبراكم، فبعدُ سوف نعيد سيرة أجدادنا وأسلافنا، ونحيا القرون الأولى للإسلام.

ثم سرعان ما نجد من يمسك بطرف الخيط، ويُكَوِّنُ الأعوان والأتباع وينظر وينظم وينفخ فى روع أصحابه بأنه وأنهم المجددون المبعوثون على رأس المائة -ولا أدرى أى مائة- ثم بعد ذلك نسمع الخلافات، والقصور، والعثرات، ثم الزلات والسقطات .

فى حقيقة الأمر إنَّا لا نتكلم عن فئة بعينها، ولكن الأمر الذى لا مرية فيه، ويظهر جليًا واضحًا كوضوح الشمس يراه الأعمى فضلاً عن البصير أننا مازلنا على ما نحن عليه، منذ أن فقدنا الحضور الحضارى من بضعة قرون.

الأمر يا سادة لا ينحل وتنفك عقدته ببضع كلمات، وصب سواد في بياض، وخطب تذرف لها الدموع.

فليس الأمر هو النظر، ثم الوقوف على الأطلال، ثم الرثاء، كما نراه في كتبنا المعاصرة بأقلام النابهين والأفذاذ .

لقد عانينا التراث الإسلامى وعانى منّا أكثر من بضع عشرة سنة نجول ونصول في حقوله، ونرتوى بماء ينابيعه، ولا ننكر أننا تجرعنا ماء آباره، فأصابتنا في أوقات متفاوتة غصة المرارة والحسرة، ولا عجب، فهذه طبيعة الحضارة الإنسانية حتى ولو كانت إسلامية، ولا عيب في الإسلام نفسه.

فبعقد مقارنة ذهنية بسيطة بين ما أنتجته العقول الإسلامية في القرون الأولى، وما أنتجته الأقلام الإسلامية في القرنين الماضيين نتطلع على بضع نقاط :

أولها: أن نتاج العقول في القرون الأولى كون أُمَّة، وأخذت عقول القرون التى تليهم في ترسيخ وتجميل البناء الحضارى، وأن أقلام القرنين الماضيين تمخضت عن جماعات وأحزاب غير مكتملة الخلقة؛ عجزاء شلاء .

ثانيا: الكم الفكرى، فلا مقارنة، فإن كمية الأفكار والأسس المبدعة تظهر لكل ذى عينين.

ثالثا: الموسوعية، فإن كتب الموسوعات الإسلامية تعج بها المكتبة العربية، والعجيب أنها إنتاج فردى لعلماء أفذاذ، ضن علينا الزمان بمثلهم.

رابعًا: التنوع والإجادة، فلقد تنوع الإنتاج الفكرى ليشمل مناحى الحياة ولم يدع بابًا إلا طرقه.

خامسًا: التناغم والتناسق، فالناظر إلى الإنتاج الفكرى للعلماء المتقدمين يجد كأنهم ينسجون لوحة فنية، تعاونوا جميعا دون أن يعاصر بعضهم البعض، ومع اختلاف تخصصاتهم.

فهذا بعضٌ من أوجه الخلاف التى نراها بين الإنتاج الفكرى للمتقدمين والمتأخرين.

لذلك فسوف نشرع فى الحديث عن التراث السياسى الإسلامى، وليس (فى) التراث السياسى الإسلامى، كأحد المداخل الحضارية والبحث عن الذات أو الهوية، هو نفسه البحث فى التراث، والإنسان بطبيعة حاله لا يبحث عن إرث أجداده إلا إذا اعترته الأزمات، وأخذت التيارات الوافدة عليه تمزقه .

وفقدان الهوية، أو الذات له عدة عوامل، منها: قوة الوافد وسطحية العلم بالذات التاريخية، وأيضًا عدم تفعيل الموروث العلمى والفكرى، وتجديد آلياته، ليتلاءم مع الزمان والمكان، ومنها: الانبهار بالوافد، والنظر إلى الموروث على أنه أساطير عفا عليها الزمان.

من هنا لابد من البحث عن الهوية فى الموروث الفكرى.

فالتراث الإسلامى، هو ثمرات العقول الإسلامية ولا يجوز بحال إطلاق لفظ التراث على القرآن الكريم والسنة النبوية ، إلا بالمعنى اللغوى المشار إليه فى قوله تعالى ﴿**ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا**﴾[فاطر:٣٢] وذلك تنزيها للقرآن والسنة من أن يسوى بينهما وبين ثمرات العقول الإسلامية التى هى عرضة للصواب والخطأ، ولنخرج من جدلية (المعاصرة والتراث) التى يحلو لبعضهم وضعها فى مقابلة بعضها البعض. وجعلها إشكالية كبيرة يضيع فيها الوقت والجهد.

ويقول الدكتور: حامد ربيع -رحمه الله تعالى- ولإحياء التراث يجب أن ينبع من فكرة أن تلك العملية هى بمثابة الدواء للداء، أو على الأقل أداة التخفيف من حدة تلك الأزمات، لو أطلقنا النظر فى عالمنا الذى نعيشه لوجد أن عملية الخلق الجماعى تدور حول ثلاث كليات: الضمير الأوربى، ثم الوعى الغربى، وأخيرًا الإنسانية العالمية، وهنا لابد أن نتساءل من منطلق تراثنا: أين الوجدان العربى؟ وأين الإنسانية المسلمة؟

وهذان السؤالان يجب أن يمثل كل منهما أحد القطبين الذى يجب أن تنبع منه جميع أنواع المعاناة الفكرية المرتبطة بإحياء التراث السياسى الإسلامى.

وهناك بعض الملاحظات التى تثيرها عملية الرفض للدلالة السياسية للخبرة الإسلامية تفرض علينا بعض التأملات التى لابد وأن توضح معالم الطريق الذى سوف يتعين علينا أن نسلكه فى عملية إحياء التراث السياسى الإسلامى.

أول هذه الملاحظات: تنبع من ذلك التناقض الغريب- الذى يفرضه العالم الإسلامى فى أوضاعه المعاصرة- تناقضات عديدة تدعو للتساؤلات، وتخلق مسلك التحلل، وتفرض على كل من يتصدى لتحليل التراث الإسلامى السياسى نوعا من الغربة إزاء العالم الذى نعيشه فى مواجهة هذا الصراع الفكرى بمختلف عناصره، فأين موقف العالم العربى؟ وأين جهود الجامعات ومراكز البحوث العربية والإسلامية من عملية إحياء التراث السياسى الإسلامى؟

فلنتذكر بعض الوقائع لندع التساؤلات تفرض نفسها:

أولا: أن الأسماء الحقيقية التى قدرت لها الدراسة العميقة ولو جزئيا للفكر السياسى الإسلامى تعود إلى الحركات القومية فى إيطاليا وألمانيا فعلينا أن نعود إلى (كوادرى) أو إلى (هوتك) لنستطيع أن نفهم شيئًا عن حقيقة تراثنا السياسى فى العالم الغربى.

ثانيا: إذا أردنا أن نبحث عن عرض علمى للفكر السياسى الإسلامى فى واقعه العربى لما وجدنا سوى بضع مؤلفات نستطيع أن نجد من خلالها عرضا كاملا بطريقة علمية تأبى إلا التحليل الوضعى المحايد ولو شكليا لنواحى الفكر السياسى الإسلامى.

ثالثا: أضف إلى ذلك أننا نعلم أنه توجد حاليا بالمكتبات العتيقة مئات المخطوطات من علم السياسة، الغالبية العظمى منها لم يقدر لها بعد النشر

ولا التحقيق ولا الدراسة ولا التحليل ، نستطيع أن نذكر منها على سبيل المثال علم السياسة للإمام الرازى؛ الذى يعود إلى القرن الرابع الهجرى ثم جوامع السياسة الذى ينسب إلى الفارابى .

رابعا: كذلك فمن المعلوم أن الفكر اليونانى انتقل من الحضارة الأوربية عن طريق ملخصات الفارابى وابن سينا لأرسطو وأفلاطون والتى ترجمت إلى اللاتينية بفضل المترجمين اليهود ، هذه المؤلفات اليوم موضع دراسة وتحليل فى جميع المعاهد المتخصصة الأوربية والأمريكية، ومع ذلك فلا يوجد فى منطقة الشرق العربى بأجمعها أى متخصص أو معهد يتناول هذه النصوص بما تستحقه من اهتمام، بل ويكفى أن نتصور أن هذه الأصول اللاتينية لا توجد منها أى نسخة فى أى مكتبة عربية، وإذا أردنا أن نطلع عليها علينا أن نلجأ إلى مكتبات باريس، أو برلين، أو روما، أو مدريد.

إن التراث الإسلامى السياسى ظل ولا يزال حتى هذه اللحظة مجهولا من أبنائه، مجهلا من غير أبنائه .

ويبدو من هذا أن الاهتمام بالتراث الإسلامى حديث لا يعد إلى أكثر من عدة أعوام فإنه فى إحدى الدراسات القيمة[١]، نجد أن ما تم التعرف عليه ودراسته من مصادر التراث السياسى الإسلامى لا يتعدى عند جميع المؤلفين فيه أكثر من (١٨٪) ولم يتعد عند أى منهم أكثر من (٦٪) من مجمل الكتابات الإسلامية فى علم السياسة وذلك على شريحة لم تستوعب إلا نسبة صغيرة من خزائن المخطوطات فى العالم، وهى (٧٦٪).

فهذه الخلاصة كما تقول الدكتورة منى أبو الفضل: صيحة إنذار تنبه إلى إشكالية بحثية خطيرة لا فى حقل أكاديمى وعلمى واحد فقط، بل فى سائر الحقول الأكاديمية العلمية.

---

(١) انظر: فى مصادر التراث السياسى الإسلامى، د. نصر عارف.

على أن هناك فارقا بين الاهتمام بالتراث ومعالجة التراث بقصد إحياء ينابيع الفكر، والتطور الذى يعانيه المعاصرون فى إعادة تقييم التراث بالبحث عن مصادره الحقيقية والذاتية، وبقصد تحديد وظيفته الخلاقة فى التراث الإنسانى، وفى إبراز وجوده المستقل سياسيا وغير السياسى عن مختلف التيارات الأخرى المتسارعة بغض النظر عن مسمياتها ولعل ذلك لا يمكن أن يعود لأكثر من عدة أعوام.

لقد ظل العالم العربى وحتى وقت قريب يؤمن بأن أصالته فى الابتعاد عن مصادره، وأن قوته هى فى استقبال الخبرة الأجنبية، وهو اليوم فى هذه المحاولة فى البحث عن مصادره الأولى فى تاريخه الذاتى.

ويرتبط بالدافع الأول لإحياء التراث السياسى الإسلامى، وهو البحث عن الذات والهوية دافع آخر يتعلق بوظيفة التراث فى بلورة الوعى الجماعى التاريخى للأمة العربية على وجه الخصوص.

على أننا يتعين علينا بهذه المناسبة أن نطرح ملاحظة أولية: إلى متى سوف يظل العالم العربى غير قادر على أن يواجه مشاكله بنفس القدرة والمقدرة التى يستطيع العلماء الأجانب أن يتعرضوا من خلالها لما يرتبط بمصيرنا ومصير أمتنا ؟

قد يبدو لأول وهلة أن هذا التساؤل لا صلة له بعملية إحياء التراث ، على أن هذا غير صحيح، إن إحياء التراث لا يعنى مجرد عملية آلية جامدة ولكن هو تعامل فكرى مع الموروث بقصد تقييم كلى وجزئى لذلك الموروث الفكرى، وذلك بقصد اكتشاف ما هو صالح للتشبث به وما هو طالح لاستبعاده أو لإعادة تطويعه.

كيف نستطيع أن نحقق هذه الوظيفة فى إطار من العبودية الفكرية والخوف من الإعلان عن كلمة الحق؟ حتى أن الكثير من علمائنا عندما يكتب بلغته القومية يصوغ أفكاره ويتناول المشاكل بأسلوب يختلف وبلغة

تختلف عما إذا تعرض لتلــك المشــاكل بلغــة أجنبيــة؛ بـل ولا يـتردد بعـض العلماء المستشرقين من أن يذكروننا فى أكثر من مناسبة بـأن إحـدى مزايـا اللقـاءات الدوليـة هـو أننـا نسـتطيع أن نواجــه مشــاكلنا العلميــة بالحريــة والصراحة التى تفرضها التقاليد الأكاديمية الحقيقية.

أليست العودة إلى تراثنا هى أيضا أحد المسالك التـى سـوف تسـمح لنـا بأن نفهم حقيقة ووظيفة الحرية الفكرية ؟

ولعله لم يوجد نموذج للتعامل السياسى فى تاريخ الإنسانية عرف وقدس الحرية الفكرية لا فقط كأسلوب للتعامل من جانب الحاكم؛ ولكـن كحـق للمفكر والتزام عليه؛ بحيث إن عليه -وقد قبل مسئولية الوظيفـة الفكريـة- أن يقدس ذلك الالتزام حتى لو خــاطر بحياتـه وحريتـه الشـخصية، ولنذكـر على سبيل المثال الأئمة الأربعة وعلى وجه التحديد أبا حنيفـة، وابـن حنبـل ومواقفهم بخصوص الدفاع عن حريتهم فـى الإعـلان عـن الـرأى ، كذلـك الذى تطرحه لنا خبرة الأمبراطورية الإسلامية الأولى.

إن الانتماء إلى التراث السياسى الإسلامى ظل ثابتا وأصيـلا فـى الضمـير والوعى الجماعى كحقيقة باطنة لم تنقطع أيضا طيلة فـترة الحكـم العثمـانى علـى الرغـم مـن أنهـا اختفـت، أو علـى الأقـل انتقلـت مـن الإرادة القوميـة الصريحة إلى الوعى الجماعى اللاشعورى بسبب ظاهرة الخلافة التى خلقت نوعا من الأمل الثابت والمساندة اللاشعورية حول الدولة غير العربية.

لقد ظل العالم العربـى متماسـكا يحيـط بالدولـة العثمانيـة؛ لأنهـا كـانت تعبيرا عن استمرارية التراث الإسلامى.

وإلغاء الخلافة بما يعنيه من تمزيق لتلك الاستمرارية كان كافيـا لأن تتخلـى الإرادة العربية عن جميع أنواع الثقة والترابط مع الدولة التركية الجديدة.

ولعل الإشكاليات التى تطرح بقـوة، هـى العـودة إلـى المدينـة الإسـلامية

الأولى، تلك المرتبطة بالنموذج العربى الذى ينتهى مع العصر العباسى الأول فتمثل فى الواقع، المنطلق الحقيقى لفهم طبيعة الإطار الفكرى للسلطة كممارسة يومية للتعامل بين الحاكم والمحكوم للواقع الذى نعيشه مع بدايات القرن الواحد والعشرين، مما لا شك فيه أن هذه العملية لم تستطع بعد أن تجد البلورة الفكرية للتعبير عنها بلغة العصر؛ لأن الإرادة لم تخلق بعد أدواتها المنطقية لخلق مسالك الإدراك التى تسمح بالانتقال من اللاشعور إلى التصور الإرادى المتكامل.

ورغم ذلك فعلينا أن نعترف بأننا لا نزال فى بداية تطور تاريخى لم تُقدَّر له بعد مراحل التكامل.

وتقول الدكتورة منى أبو الفضل: إن أحد هذه المنطلقات التى يجب أن تسمى عملية إحياء التراث السياسى؛ للمساهمة فى خلق قنوات الاتصال الواعية والشعورية لذلك التراث؛ لتمكين الإرادة الباحثة عن الهوية والذات المعاصرة من اكتشاف ذاتها وخلق قنوات الاتصال مع خلفياتها اللاشعورية المرتبطة بحقيقة الحركة التى يعيشها الوطن العربى فى الربع الأخير من القرن العشرين.

إن من سنن الله فى خلقه، سنة الدفع والتدافع ﴿**ولولا دفع الله الناس....**﴾[البقرة:٢٥١، الحج:٤٠] إلى آخر الآيتين، وهى سنة تفترض أن الأصل فى الخلق الحياة، والحيوية، والبقاء، والتفاضل، وابتغاء الوسيلة إلى مكرمة الفضيلة، ومن ثم التطلع إلى السبق، ومن هنا يتحقق الدفع، فالدافعية، والحركة الواثبة الهادفة، التى تسعى إلى التجاوز؛ تجاوز العوامل التى تثبط الهمم، وتلجم الأفئدة، وتعوق الدافعية، التى هى أساس الحيوية فى صيرورة الخلق، والتى أنشأها الله قوة دافعة، وأودعها الكون وفطر عليها مخلوقاته، ومع سنة الدفع، تأتى سنة الإخراج باعتبارها سنة كونية خَلقية، وسنة عمرانية خُلقية، فالله يُخرج الحى من الميت والميت من الحى،

ويجعل رسالته حيث شاء، ويخرج خير أمة للناس من أمة مغمورة أقعدها الدهر، واستنفد قواها إلى خير أمة تبلغ الغاية فى خيريتها، وإن كان إخراج مثل هذه الأمة فى الزمان والمكان، هو من قبيل الأمر والمشيئة الإلهية التى جعلت لكل شىء قدرًا ، والتى تختص بالهيمنة على أصل الحياة والموت والمعاد والحساب، إلا أننا فى مستوى أدنى من التحليل والتأصيل للحدث العمرانى بمعطياته الزمانية والمكانية، وطاقاته البشرية، ما علينا إلا أن نقف عند الأسباب، وهو سبحانه الذى جعل لكل شىء سببًا وأسبابًا مستحضرة فى الدواعى والمسببات، ضمن منظومة الكونيات والمقدرات، فنربط ما بين سنن الدفع وسنن الإخراج عند تقويم دورة العمران البشرى والترجيح بين المثبطات والمعوقات المؤدية إلى الركود، فالهلاك، والمنشطات، والدافعيات الموجبة لحيويات السبق والاستيعاب والتجاوز للوثوب عبر المعوقات والمثبطات إلى مواقع متقدمة تُؤَمِّن أسباب تجدد وخروج الكيانات الحية، أو بلغة العمران البشرى وأصول الاجتماع ، توجد أسباب النهضة للأمة الواثبة.

وإذا كنا قد وقفنا عند متن التراث نصا فى المدخل الأول، نأتى هنا من مدخل مجاور لنجعل من التراث مادة وموضعًا لكى نعرف من خلال هذا التراث قابليات أمة ما للحياة وللخروج والتجدد، وذلك بفعل مالا يخفى من موقع تراث الأمة من نبض حيويتها، وبما يحمله هذا التراث من آثار وتراكمات الماضى، ومن مؤشرات ودلالات المستقبل فيكون التعامل مع التراث السياسى للأمة جزءًا من تراثها أو بعضا من كل، خاصة عندما نتعرض للمتعارضات المتقابلات من الأطروحات التى يتناول من خلالها الأولون واللاحقون، وكلهم معاصرون، إشكاليات العصر وواقع الحداثة مرورًا بالأصالة حينًا، وتجاوزًا لها أحيانًا.

وتتابع الدكتورة منى أبو الفضل فتقول[1]: وفى كل حال يبقى السؤال الذى يوحى بمحورية المقال فى إشكالية التراث، وفيما شاكل إشكالية التراث من قضايا فى تحديد مسارات الفكر وبيان أبعاد التداخل والتشابك فى الإشكالية- ولذلك تعددت الأسئلة المثيرة لجوانب الإشكالية، فيسألونك عن التراث؟ قل هو الثمين الذى لا تدرك قيمته إلا بافتقاده وتفقده، وهو الزاد الذى لا تحصل الحداثة إلا به. ويسألونك عن الحداثة؟ قل: هى الفتنة التى لا يُردُّ بأسها ولا تُرشَدُ إلى هداها بغير التراث - وهكذا يدور السجال وتحتد النبرات فى لحمة الخطاب المعاصر ليفصح عن بنية من المتلازمات، ونسيج من المتقابلات المتشابكات هى فى الحقيقة مفتاح لخريطة من المتغيرات الفكرية والاجتماعية التى تشكل ملامح العصر وصبغة المعاصرة فى منطقتنا الحضارية العربية الإسلامية اليوم.

إن الذى أكسب الخطاب العربى الراهن حول التراث الطابع الحدى والجدلى الذى درج عليه المتناولون لهذا الموضوع فى العقود الأخيرة، لا شك هو واقع التحدى الحضارى الذى تعيشه الأمة، وهو واقع مأزوم انعكس على خطاب التراث فحوّله إلى خطاب عقيم يستنزف الطاقة الفكرية للأمة بدلاً من أن يغنيها، بل لقد صار هذا الخطاب ذاته من عناصر أزمة الواقع العربى، ومعول هدم فى أسس البناء ، وعقبة فى ترشيد إعادة بناء الوعى الحضارى للأمة ... وربما يرجع ذلك إلى ما أحاط بواقع النهضة العربية المعاصرة التى لم يقف تقصيرها تجاه تراثها عند ترك عمليات إحيائه واستعادته إلى الآخرين، بل تجاوز الأمر ذلك إلى حد جعل الآخر يوظف تراث الأمة ضد مصالحها، ويجعل منه ثغرة تقويض واستنزاف تنفذ منها سهام المناهضين من الخارج وتعشعش فيها جراثيم

---

(١) فى مصادر التراث السياسى الإسلامى، نصر عارف، التقديم.

الواقع المأزوم من داخلها. وبين سموم الحاقدين وأمراض المحبين -كذلك في هذا الواقع- تثار وتتأجج "فتنة التراث" على نحو يستدعى إلى ذاكرة الأمة ظروف الفتنة الكبرى التى اكتوت بلظاها وهى لا تزال تحبو، فى ربيعها الأول بعد أن اكتملت مقوماتها واستوت على الرشادة والهدى فى ظل النبوة، ووضعت أمام مسئوليتها التاريخية، فإذا بها تتعرض لأعاصير الابتلاء والأدواء ليحدث ما لم يقع الشفاء التام منه حتى الآن.

تحقيق الكتاب:

لعل تحقيقنا لهذا الكتاب ، وهو إسهام منا بقدر الطاقة فى إحياء التراث السياسى الإسلامى ، الذى كنا قد بدأناه بتحقيق كتاب الغصون المياسة بأدلة أحكام السياسة ، لأحمد بن عبد الله الصنعانى وهو أيضًا ، خطوة على طريق مشروع كبير فى إعادة صياغة التراث السياسى الإسلامى الذى لم نكتشف حتى الآن أسراره ولم نصوغ نظرية سياسية إسلامية واضحة المعالم، بعيدة عن الجدل ، والطنطنة العلمية.

والكتاب الذى بين أيدينا الآن هو [السلطان] للعالم الإمام لسان أهل السنة، أبي محمد، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، المتوفى سنة (٢٧٦هـ).

وكتاب السلطان ضمن موسوعة عيون الأخبار، للمؤلف وهو يتكون من أربعة مجلدات كبيرة غير أننا وجدنا لهذا الكتاب الأهمية فى مجال علم السياسة الإسلامى، وأنه لم يخدم بما فيه الكفاية.

فتكلفنا عناء البحث عن المخطوطات، وعثرنا بفضل الله على ثلاث نسخ خطية بدار الكتب المصرية ، وقمنا بمقابلة المخطوطات بعضها ببعض إضافة إلى النسخة المطبوعة وقد وجدنا اختلافًا ظاهرًا فى مواضع متفرقة من الكتاب، قمنا بضبطها.

فريق العمل:

وقد ساعد في إخراج هذا الكتاب ليخرج بهذه الصورة الماثلة أمامكم نفر من الباحثين الذين لا نزكيهم على الله ولا يسعنا إلا أن نشكرهم، وهم الأستاذ: **عزت محمد أبو الوفا**، والباحثة: **هيام محمد داود**.

وصف المخطوط:

مصدره: دار الكتب المصرية تصنيف [أدب (٤٢٩٧) ميكروفيلم (٥٦٤٦٤] عدد اللوحات (٨٦) لوحة من القطع الكبير، عدد الأسطر (٢٧) سطرًا ، نوع الخط: نسخ عادى بخط الناسخ:.... وكان الفراغ من نسخة سنة (.... هـ).

عملنا في هذا الكتاب:

١- ضبط النص، وتقويم العبارة، وتصحيح التحريف والتصحيف، وملاحظة السقط من الكلمات.

٢- رقمنا الكتاب، وبخاصة الروايات المسندة، لسهولة البحث.

٣- ضبط المشكل من النصوص بالحركات للمساعدة على فهم المعنى، وكان ذلك من خلال مطابقة الروايات بروايات المصادر الموثقة، وأشرنا إلى ذلك بالهامش.

٤- عزو الأخبار (الأحاديث - الآثار - الأقوال ...).

٥- عزو الأشعار والأمثال إلى مصادرها.

٦- شرح الغريب.

٧- التراجم لما يحتاجه المقام في السند أو المتن حسبما يتاح لنا من المصادر.

٨- الفهارس العامة.

وختامًا، نسأل الله تعالى أن نكون وفقنا في هذا العمل، ولا يسعنا إلا أن نشكر كل من ساعدنا بالوقت والجهد على إتمامه وإخراجه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

صبيحة يوم الأحد

من شهر شوال لسنة (١٤٢٢هـ)

الموافق آخر ديسمبر لسنة (٢٠٠١م)

مدير مركز القدس للدراسات والبحوث

أيمن عبد الجابر البحيري

ترجمة المؤلف

عصر المؤلف

بغداد جنة الأرض، ومدينة السلام، وقبة الإسلام، ومجمع الرافدين وغرة البلاد، ومجمع المحاسن والطيبات، كما قال فى مدحها بعض الفضلاء[1]: هى حاضرة الدنيا وماعداها بادية.

ولقد أنجبت لنا هذه المدينة مجموعات من العلماء الفضلاء المجاهدين بعقولهم وأقلامهم فى سبيل نصرة الحق، وتنحية القتام عن وجه الإسلام السمح، وحفظه من الأهواء المدمرة، وضلالات التأويل الفاسد.

وكان من بين هؤلاء العلماء الأفذاذ الإمام الجليل، أبو محمد بن قتيبة، النحوى اللغوى، الخطيب، الأديب، الخبير بالسنن ومعانيها.

وقبل الدخول إلى عالم هذا الكاتب، نود أن نلقى بعض الضوء على بغداد فى عصر ابن قتيبة وما كان بها من تيارات ثقافية وفكرية لعل هذا يوضح لنا بعض معالم هذا الكاتب وكتابه.

فلقد كانت بغداد فى عصر ابن قتيبة تموج بمختلف التيارات الفكرية والثقافية.

فهناك ثقافة يونانية وافدة عن طريق الترجمة، تريد أن تستعلى على غيرها من الثقافات.

وأخرى فارسية، يحاول الفرس أن يُثبِّتوا أركانها بين المسلمين تنفيسا عن آلامهم المكبوتة لضياع سلطانهم، وتعبيرا عن أحقادهم التى تنفث الدخان بين الحين والحين فى صور أفكار غريبة، ومذاهب إلحادية، مستعينين بمالهم من نفوذ فى الدولة ، وبما يملكون من أموال، ومن وسائل الغواية والشهوات، يريدون بذلك أن ينافسوا ثقافة الإسلام الخالصة، وأن يهزوا أركانه فى قلوب المسلمين.

وكانت هناك ثقافة عربية مختلطة بغيرها من الثقافات، تحاول أن تمسك بالأطراف فى محاولة لحل التعارض والتنافس بين مختلف الثقافات.

---

(١) انظر: معجم البلدان (١/٥٤٧).

وكان هناك ثقافة إسلامية خالصة تحاول أن تبرز في وضوح أمام المسلمين لتنقذهم من تلك المتاهات، وتقودهم إلى طريق النور.

ولقد اختار ابن قتيبة طريقه، ووقف في صفوف أهل السنة وآثر طريقة أهل الحديث، وصور عصره من الوجهة الفكرية تصويرا في غاية الدقة في الفصل الأول من كتابه (تأويل مختلف الحديث).

فصوَّر هجوم أعداء الإسلام على السُّنة، وما أحدثه هذا الهجوم من اضطراب الفكر السني نفسه ، فعرض لنا -في هذا الكتاب- كيف تلمَّس الأعداء بعض الشبهات واحتجّوا بها على أهل السنة وكيف تلمس معارضوهم وجوه الرد عليهم من السنة نفسها، وبين لنا كيف نشأ في الفكر الإسلامي ما يسمى بالبداء[1] وهو: (القول بأن الله يرجع في أحكامه بعد أن يبرمها) .

والقدر: تنسب إليه القدرية: وهم الذين ينكرون تقدير الله للأشياء وينسبون للعبد فعل نفسه.

والرفض، ينسب إليه الرافضة[2]: وهم كل من يرفض الشيخين أبي بكر وعمر.

والإرجاء البدعي: ينسب إليه المرجئة[3] ، وهم قوم يقولون: لا يضر مع الإيمان المعصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة.

والخروج عن الجماعة: الذى ينسب إليه الخوارج، وهم كل من خرجوا على عليّ ومعاوية بعد التحكيم، وحكموا بكفرهما، وبكفر من اشترك في التحكيم، وغير ذلك من نحل الهوى.

ويبين لنا كيف سفه أعداء الإسلام مسالك أهل السنة في تدقيقهم وتحرجهم وعدُّوها من الحمق الذى يروج به أهل الحديث، هذا هو رأى أعداء السنة في رجال السنة، فإذا ما أضفت الهجوم الشرس الذى شنه أصحاب الكلام عليهم.

---

(١) انظر: تأويل مختلف الحديث، لابن قتيبة، ص(٣٨).

(٢) المرجع السابق .

(٣) التعريفات، للجرجاني، باب الميم، ص(٢٦٨).

وما قاله النَّظّام، والعلاف، وثمامة وغيرهم، بان لنا عمق المعركة واتساعها، وتنوع السلاح وحدته، وكيف كان صمود أهل السنة عجبا فى تواريخ الفكر الإنسانى كله.

ولقد توج عهد بني العباس هذه المعارك الفرعية بالمعركة الرئيسية التى شنها الفرس في الحقيقة بقيادة القاضى أحمد بن أبى دؤاد، وذلك من وراء ستار الخليفة العربى المأمون ابن الرشيد، والتى اتجهت مباشرة فى صورة القول بخلق القرآن.

لقد كان الهجوم على السنة شرسًا فى عصر المؤلف وما تلاه من الأعصار وكانت العقلانية غير المجنحة بوعى الروح وكان الإغراء عنيفا؛ فأثر فى الكثيرين من الطلاب وصغار العلماء، ولم يسلم منه إلا قلة من أولى العزم التى تُعرِّف الإسلام على حقيقته وكما أراده الله سبحانه وتعالى.

ولقد صوّر الحارث بن أسد المحاسبى الحالة العلمية فى عصره وهو بعينه عصر ابن قتيبة فقال فى أول كتابه "الوصايا" ونظرت أحوال الأمة، ونظرت فى مذاهبها وأقاويلها، فعقلت من ذلك ما قدر لى، ورأيت اختلافهم بحرًا عميقا غرق فيه ناس كثيرون، وسلم منه عصابة قليلة، ورأيت كل صنف منهم يزعم أن النجاة فيمن تبعهم، وأن الهلاك لمن خالفهم؛ ثم رأيت الناس أصنافا، فمنهم العالم بأمر الآخرة لقاؤه عسير، ووجوده عزيز.

ومنهم الجاهل، فالبعد عنه غنيمة، ومنهم المتشبه بالعلماء مشغوف بدنياه، مؤثر لها.

ومنهم حامل علم منسوب إلى العقل والدهاء مفقود الورع والتقى.

ومنهم متوادون، على الهوى يتفقون، وللدنيا يتباذلون ورياستها يطلبون.

ومنهم شياطين الإنس، عن الآخرة يصدون، وعلى الدنيا يتكالبون، وإلى جمعها يهرعون، وفى الاستكثار منها يرغبون فهم فى الدنيا أحياء، وفى العرف موتى، بل العرف عندهم منكر والسوء معروف، فتفقدت فى الأصناف نفسى وضقت بذلك ذرعا.

وفى كتاب "الرعاية لحقوق الله" يحاول المحاسبى أن يصور حالة الاضطراب التى سيطرت على الحركة العلمية والسلوكية فى عصره فيقول:

".... وكذلك أهل السنة، لن يدعوا العدو أن يدعوهم إلى البدع عند غفلاتهم، من حيث لا يشعرون".

"ولولا ذلك -يقصد الغفول أو الغفلة- ما ابتدع أحد بدعة بعد اعتقاد بالسنة، في عبادة ولا في غيرها، لأنه قد يدعوه العدو إلى الابتداع في زهده ورضائه وتوكله، فيخالف زهد الأئمة المتقدمين ورضاءهم وتوكلهم ويقينهم بمخالفته للسنة واعتقاد البدعة، وهو يرى أنها سنة، كما اعتقد قوم الزهد بتضييع العيال، وبترك وجوب حق الوالدين، والتوكل بترك الاكتساب على الأهل والأولاد، والخروج إلى السفر بلا زاد، والرضا بالسرور بالبلاء إذا وقع بالمسلمين، وبتحريم الدواء، وترك الفرائض والنوافل، ودعوى البصائر، واستنارة القلوب بادعاء علم الغيوب، من القطع على ضمائر الخلائق وما يسرون ويكتمون ويحتجون في ذلك بآثار مثل قوله صلى الله عليه وسلم: «**المؤمن ينظر بنور الله**».

ويقول المحاسبي أيضا:

وكل فرقة مما ذكرنا تحتج بالآثار والكتاب والمقاييس، ولكن يطول ذكرها، وإنما أردنا التحذير من جملتها ليعرفها العالم المتثبت بالكتاب والسنة.

ويضيف قائلاً:

وكذلك الخطرات التي تدعو إلى تدين القلوب من غير عبادات بالأعمال كالقدر ورأى جهم -يقصد به جهم بن صفوان وأصحابه هم[1] الجهمية قالوا: لا قدرة للعبد أصلاً، لا مؤثرة ولا كاسبة، بل هو بمنزلة الجمادات- والرفض والاعتزال ونحوه، فلن يميز العبد بين ذلك وبين ما أحب الله عز وجل من الأعمال والسنن إلا بشاهد العلم.

ولو أن كل معسكر من المعسكرات الثقافية التي ظهرت في ذلك العصر استمسك بمبادئه على ما كان فيها من الخطأ لكان الأمر هينا، وكان العلاج ميسورا، ولكن الواقع الأليم برز في أن كل معسكر منها قد اختل في داخله، فاهتزت صفوفه، وتباينت أهواؤه، حتى رمى كل منها بعضه بعضًا بالكفر أو الضلال.

وهكذا تظهر صورة العصر في:

١- معسكرين عظيمين : أولهما أهل السنة والجماعة، وثانيهما أعداء أهل السنة والجماعة.

---

(١) التعريفات، للجرجاني، باب الجيم، ص(١٠٨).

٢- معسكرات فرعية ناشئة عن المعسكرين الرئيسيين.

٣- صراع بين المعسكرين الأعظمين، وصراع داخلى بين أنصار كل معسكر.

٤- اتجاه جميع القوى نحو الكتاب والسنة لاستنباط الدليل على صحة ما يذهب إليه كل فريق، وإبطال أدلة خصومه.

٥- معسكر الشهوات الثائرة الذى يهدد كل فريق، ويسحق كل معسكر، ويغشى البصائر عن الالتزام بأصل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

وبين هذه الأعاصير ظهرت مجموعات من العلماء الأفذاذ المجاهدين بعقولهم وأقلامهم فى سبيل نصرة الحق، وتنحية القتام عن وجه الإسلام السمح... وحفظه من ضلالات التأويل الفاسد، والأهواء المدمرة.

وكان من بين هؤلاء الأفذاذ الإمام أبو محمد بن قتيبة الإمام النحوى اللغوى الخطيب الأديب الخبير بالسنن ومعانيها، وخطيب السنة.

التعريف بالمؤلف:

هو: عبد الله بن مسلم بن قتيبة، أبو محمد الكاتب الدينورى نسبة إلى الدِّينَور : بكسر الدال المهملة وسكون الياء آخر الحروف وفتح النون والواو، وهى بلدة من بلاد الجبل قرب قرميسين[1]، وبين الدينور وهمذان نيف وعشرون فرسخا، وهى كثيرة الثمار والزروع ولها مياه ومستشرف، وأهلها أجود صنعا من أهل همذان وينسب إلى الدينور جماعة كثيرة من أهل الأدب والحديث[2]. ويقال أن ابن قتيبة قد أقام فى الدينور مدة قاضيًا فنسب إليها .

وقد عُرف ابن قتيبة بالمَرْوزى نسبة إلى بلدة أبيه مَرْوُ الرُّوز: والمَرْوُ، الحجارة البيض تقتدح بها النار، ولا يكون أسود ولا أحمر ولا تقتدح بالحجر الأحمر ولا يسمى مروا، والروذ بالذال المعجمة: هو بالفارسية

---

(١) الأنساب ، للسمعانى، الجزء الثانى.

(٢) معجم البلدان، (٦١٦/٢).

النهر، فكأنه يقصد بمَرو الرُّوذ حجارة النهر. وهذه المدينة على نهـر عظيـم ولهذا سميت بذلك خرج منها خلـق مـن أهـل الفضـلِ ينسـبون مـروروذى ومرُّوذى[١] وابن قتيبة يعرف فى المصادر كذلك بـالقُتبى، أو القتيبـى وهـى تصغير "قتبة" واحد الأقتاب، والقتـب: هـو مـافى بطـون الذبـائح مـن الرئـة والكرش والأسقاط، ولا نعلم لماذا نسب إليها والقتـب: تـأتى أيضـا بمعنـى الرحل الصغير على قدر سنام البعير فى الصحاح[٢].

ولقد ولد ابن قتيبة ببغداد عام (٢١٣هـ) وسـكن الكوفـة ثـم ولـى قضـاء الدينور مدة؛ فنسب إليها، وتوفى ببغـداد عـام (٢٧٦هـ) علـى الأصـح فـى شهر ذى القعدة أو فى شهر رجب فيكون قد عاش ثلاثا وستين عامًـا كلهـا خير وبركة على الفكر الإسلامى، وحلقات الدرس، وأجيال المثقفين المسلمين وغير المسلمين ... فقد استمر يقرىء كتبه فى بغداد حتـى مـات، وتـرك ثـروة هائلة من الكتب النافعة مازلنا نرجع إليها فى مختلف فروع المعرفة الإسلامية.

وقد ورث ابنه عنه طموحه العلمى، وهو أبو جعفر أحمد بـن عبـد اللـه، وكان فقيهًا، روى عن أبيه كتبـه كلهـا، وتولـى القضـاء بمصـر، وكـان قـد قدمها فى عام (٣٢١هـ).

ولقد كان ابـن قتيبـة إمامًـا خبـير بالسنن ومعانيهـا وصـاحب التصـانيف النافعة، وخطيب أهل السنة.

ولقد ألَّف كتبًا كثـيرة فـى فـروع المعرفـة تـدل علـى شـخصية متمـيزة، فبنظرة إلى قائمة المؤلفات التى تركها ابن قتيبـة يتبيـن لنـا محيطـه الفكـرى المتعدد المواهب والتصانيف. فهو أديب صاحب ملكة متميزة فـى الكتابـة، وهو القوى يلم بأشتات اللغة وغرائبها وأساليبها؛ كما يبدو مـن ثنايـا كتابـه (تأويل مختلف الأحاديث) الذى جمع فيه قدرًا هائلا مـن ألفـاظ اللغـة غـير

---

(١) المرجع السابق نفسه (١٣٢/٥).

(٢) انظر: لسان العرب ، مادة [قتب].

المتداولة إلا على ألســنة الخاصــة ممــن برعــوا فــى ذوق اللغــة العربيــة وفــى اشتقاقاتها الواسعة الأطراف[1].

وهو مع ذلك رجل أخبار ونوادر، ورجــل علــوم ومعــارف شــتى يمكــن على أساسها أن نسميه رجل ثقافة واسعة، وليس رجلاً مغلقًا فى دائرة ضيقة من فرع من فروع المعرفة.

وهو رجل خبير بالنقد الأدبى ودرجات الشعراء العــرب، كمــا أنــه خبـير بتقاليد العرب القدامى، وبما كان يشغلهم من أمور الخيل والميسر والأنــواء وما يتبعها من بذور علم الفلك أو الفراسة الحوية.

ومــن خــلال هــذه الثقافــة الواســعة مــن التــاريخ والأخبــار والتقــاليد والشــعر والأدب واللغة ألّف فى غريب القــرآن وغريــب الحديــث كــان مصــدرًا رئيسـيًّا لابن الأثير فى كتابه "النهاية فى غريب الحديث" ولغيره ممن طرقوا هذا الباب.

كما ألّف فى تأويل مشكل القرآن، وتــأويل مشــكل الحديــث ومختلفــه، فكان بكل الحق -كما قال الإمام ابن تيمية- خطيب أهل السنة، كما كــان الجاحظ خطيب المعتزلة.

ولقد كان ابن قتيبة مدافعًا بارعًا عن الكتاب والسنة فى نطاق أهل السنة، ولم يكن قط ناشزا عن مذهبهم، ولا موغلاً فــى طريــق غــير طريقهــم كمــا زعم ذلك ابن فورك وكما نقل عنه ابن الجوزى (حدث ذلك حينمــا تكلــم ابن فورك عن حديث الصور، فاتهم ابن قتيبة بأن له فى تفسيره مذهبا قبيحًا يزج به فى عداد المجسمة والمشبهة ... وقفى على أثره ابــن الجــوزى فــى كتابه "دفع شبه التشبيه" ...

وابن قتيبة فى أكثر من موضع من كتابه (تأويل مختلــف الحديــث) وفــى غيره من المواضع ينادى نداء صريحًا بأنه على مذهب السلف الذين يؤمنون بالنص كما جاء فى القرآن وفى صحيح السنة، من غــير دخــول بــالعقل فــى تأويله ولا تفسيره.

---

(١) تأويل مختلف الحديث، لابن قتيبة، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، ص(١١).

ولا ندرى من أين جاء هذا الاتهام الخطير، وإن كنا لا نشك فى أن الرجلين ربما وقعا على شيء من ذلك فى مسودات كتب ابن قتيبة، كما لا نشك فى أنه كان مدسوسا عليه إن كان قد حدث، فابن قتيبة ليس من اضطراب العقل بحيث يقرر الشيء ونقيضه فى وقت واحد، بل إنه فى ثنايا كتبه يدافع عن السنة ذاتها ، وعن كبار العلماء أن يكون عندهم الشيء ونقيضه.

وابن قتيبة، من مدرسة الإمام أحمد بن حنبل، وكان يميل إلى مذهب إسحاق، وكان معاصرًا لإبراهيم الحربى، ولكنه كان يرى أن الراسخين فى العلم يعلمون تأويل المتشابه على حقيقته ... وهو بهذا القول ينطلق من الدائرة المغلقة التى أغلقت أطرافها حول المتشابه عند أهل السنة ولكنه لم ينطلق كما انطلق المعتزلة فى كل اتجاه حتى أباحوا لأنفسهم أن يدخلوا إلى حرم الذات الإلهية والأفعال الربانية يخضعون كل ذلك للعقل والقول الحر الذى لا يتحرج.

بل إنما هو ملتزم -رغم قوله هذا- بمذهب أهل السنة حينما يكون الكلام فى الذات الإلهية، إذ يقف عند النص لا يتعداه إلا حينما يرد على ضلال الفرق الأخرى بتأويل سائغ فى اللغة، تعارف عليه العرب فى أساليبهم، أو بدفع الشبهة من الوجهة العقلية، أما أن يدخل فى تفسير مراد الله من المتشابه فهو مالم يكن منه فيما وقع لنا من النصوص .

هذا هو مذهب السلف، وإن كان الخلف يرون تأويل النص تأويلاً ينسب إلى الله تعالى كل وصف حميد، ويدفع عنه المماثلة والمشابهة لخلقه فى مواجهة المجسمة والمشبهة الذين استشرى خطرهم ، وكادوا يصبحون امتدادًا للوثنيات الغابرة فى ظل الإسلام الخاتم.

ولكن يظهر أن ابن قتيبة كان هدفًا لأعدائه، شأنه شأن كبار العلماء لا يخلون من الحُساد الذين يفترون عليهم الكذب ويرمونهم بالعظائم.

فابن تيمية يقول عنه: أن أهل المغرب كانوا يعظمونه ويقولون: من استجاز الوقيعة فى ابن قتيبة يتهم بالزندقة.

ومعنى هذا أن هناك من كان يطعن فى ابن قتيبة، ويستجيز ذلك، ولم يخل من ذلك عالم من العلماء، بل ولا نبى من الأنبياء، بل ولا رب العزة جل اسمه، عز ذكره.

ولقد سكن بغداد كما قلنا وحدث فيها عن: إسحاق بن راهويه وهو إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم، أبو يعقوب الحنظلى المروزى المعروف بابن راهويه كان أحد أئمة المسلمين، وعلمًا من أعلام الدين، اجتمع له الحديث والفقه، والحفظ والصدق، والورع والزهد وتوفى عام (٢٣٨هـ)[(١)].

كما حدَّث عن محمد بن زياد الزيادى، وأبى الخطاب زياد بن يحيى الحسائى، وأبى حاتم السجستانى.

وروى عنه ابنه أحمد، وعبيد الله بن عبد الرحمن السكرى، وإبراهيم بن محمد بن أيوب الصائغ، وعبيد الله بن أحمد بن بكير التميمى، وعبد الله بن جعفر بن درستويه الفارسى ولقد ألّف ابن قتيبة كتبًا -كما ذكرنا- فى فروع من المعرفة تدل على شخصية متميزة ومنها:

كتاب المعانى الكبير، ويحتوى على اثنى عشر كتابا منها:

كتاب الفرس، ستة وأربعون بابًا، كتاب الإبل، ستة عشر بابًا، كتاب الجرب وفى طبعات كتاب "الحرب" بالحاء المهملة وهو عشرة أبواب. كتاب القدور عشرون بابًا، كتاب الديار ، عشرة أبواب، كتاب الرياح أحد وثلاثون بابًا، كتاب السباع والوحوش سبعة عشر بابًا ، كتاب الهوام أربعة وعشرون بابًا، كتاب الأيمان والدواهى سبعة أبواب ، كتاب النساء والغزل باب واحد، كتاب الشيب والكبر: ثمانية أبواب. كتاب تصحيف العلماء باب واحد ، كتاب عيون الشعر ويحتوى على عشرة كتب منها:

كتاب المراتب . كتاب القلائد. كتاب المحاسن. كتاب المشاهد. كتاب الشواهد. كتاب الجواهر. كتاب المراكب. كتاب المناقب. كتاب المعانى. كتاب المدائح.

---

(١) تاريخ بغداد (٣٤٥/٦).

كتاب عيون الأخبار ويحتوى على عشرة كتب: كتاب السلطان. كتاب الحرب. كتاب السؤدد. كتاب الطبائع. كتاب العلم. كتاب الزهد. كتاب الإخوان. كتاب الحوائج. كتاب الطعام. كتاب النساء. كتاب التفقيه هذا الكتاب منه ثلاثة أجزاء نحو ستمائة ورقة بخط نزك[1].

وكانت تنقص على التقريب جزءين.

ومن كتبه: كتاب غريب الحديث (وقد أحسن فيه).

كتاب أدب الكاتب . كتاب الشعر والشعراء. كتاب الخيل. كتاب جامع النحو. كتاب مختلف الحديث . كتاب إعراب القرآن. كتاب القراءات. كتاب التسوية بين العرب والعجم. كتاب الأنواء . كتاب المشكل. كتاب المعارف. كتاب جامع الفقه. كتاب إصلاح غلط أبي عبيد في غريب الحديث. كتاب المسائل والجوابات . كتاب العلم (نحو خمسين ورقة) . كتاب الميسر والقداح . كتاب جامع النحو الصغير. كتاب الرد على المشبهة. كتاب الحكاية والمحكى. كتاب ديوان الكتاب. كتاب فوائد الدر. كتاب خلق الإنسان. كتاب المناقب والمراتب من عيون الشعر. كتاب دلائل النبوة. كتاب اختلاف تأويل الحديث. كتاب حكم الأمثال. كتاب الأشربة. كتاب آداب العشرة[2] .

ومن هذه القائمة من المؤلفات التي تركها ابن قتيبة يتبين لنا محيطه الثقافي المتعدد الاتجاهات والمواهب.

فنجد شيخ الإسلام ابن تيمية يقول عنه:

"يقال هو لأهل السنة مثل الجاحظ للمعتزلة، فإنه خطيب السنة، كما أن الجاحظ خطيب المعتزلة".

ويقول عنه كذلك "أحد الأئمة والعلماء والفضلاء أجودهم تصنيفًا، وأحسنهم ترصيفًا، له زهاء ثلاثمائة مصنف وكان يذهب ويميل إلى مذهب

---

(١) نزك: كلمة فارسية: تعني الناعم.

(٢) الفهرست، ابن النديم ص(١٢٣) طبعة دار الكتب العلمية ببيروت لبنان.

أحمد وإسحاق، وكان معاصرًا لإبراهيم الحربى، ومحمد بن نصر المروزى، وكان أهل المغرب يعظمونه ويقولون: من استجاز الوقيعة فى ابن قتيبة يتهم بالزندقة. ويقولون: كل بيت ليس فيه شىء من تصانيفه لا خير فيه".

وقال عنه الذهبى فى ميزان الاعتدال: "عبد الله بن مسلم بن قتيبة صاحب التصانيف، صدوق قليل الرواية".

وقال الخطيب البغدادى: كان ثقة دينا فاضلاً.

وقال ابن خلكان عنه: "كان فاضلاً ثقة. سكن بغداد وحدث بها عن إسحاق بن راهويه وغيره".

وقال عنه الدارقطنى فى "مرآة الزمان": "كان ابن قتيبة يميل إلى التشبيه".

ويرى الإمام الذهبى فى كتابه "ميزان الاعتدال" أن "هذه مجازفة قبيحة وكلام من لم يخف الله" .

أما عن وفاته:

ذكر الخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد أنه مات فجأة ، صاح صيحة من بعد ثم أغمى عليه ومات .

وقال ابن المنادى: "ثم إن أبا القاسم إبراهيم بن محمد بن أيوب بن بشير الصائغ أخبرنى أن ابن قتيبة أكل هريسة فأصاب حررة، ثم صاح صيحة شديدة ثم أغمى عليه إلى وقت صلاة الظهر، ثم اضطرب ساعة ثم هدأ. فمازال يتشهد إلى وقت السحر، ثم مات وذلك أول ليلة من رجب سنة ست وسبعين ومائتين. رحمه الله بما أثرى المكتبة العربية والإسلامية من كتب ومؤلفات . فلقد كان من بين الأفذاذ المجاهدين بعقولهم وأقلامهم فى سبيل نصرة الحق، وتنحية القتام عن وجهه السمح، وحفظه من ضلالات التأويل الفاسد والأهواء المدمرة.

السلطان

تأليف

الإمام العالم

أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة

المتوفى سنة (٢٧٦هـ)

دراسة وتحقيق

القدس

للدراسات والبحوث

أيمن عبد الجابر البحيرى



الله الرحمن الرحيم

كتاب الشفعات

الصفحة الأولى للمخطوط

الصفحة الثانية للمخطوط

الصفحة قبل الأخيرة للمخطوط

الصفحة الأخيرة للمخطوط

السلطان

تأليف

الإمام العالم

أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة

المتوفى سنة (٢٧٦هـ)

دراسة وتحقيق

القدس

للدراسات والبحوث

أيمن عبد الجابر البحيرى

الفصل الأول

محل السلطان وسيرته وسياسته

محل السلطان وسيرته وسياسته

[١] **حدثنا** محمد بن خالد بن خِدَاش قال: حدثنا سَلْم بن قُتَيْبة، عن ابن أبي ذئب، عن المَقْبُرِىّ، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ستحرصون على الإمارة، ثم تكون حسرة وندامة يوم القيامة، فنعمت المرضعة وبئست الفاطمة**»[١].

[٢] **حدثني** محمد بن زياد الزيادى، قال: حدثنا عبد العزيز الدراوردى، قال: حدثنا شريك، عن عطاء، عن يسار، أن رجلاً قال عند النبى : بئس الشيء الإمارة. فقال النبى ﷺ : «**نعم الشيء الإمارة لمن أخذها بحقها وحِلِّهَا**»[٢] .

[٣] **حدثني** زيد بن أخْزَم الطائى، قال: حدثنا ابن قتيبة، قال: حدثنا أبو المنهال، عن عبد العزيز بن أبي بكرة، عن أبيه، قال: لما مات كسرى[٣] قيل ذلك للنبى ﷺ فقال: «**من استخلفوا؟**» فقالوا: ابنته بوران، قال: «**لن يفلح قوم أسندوا أمرهم إلى امرأة**»[٤].

[٤] **حدثني** زيد بن أَخْزَم، قال: حدثنا وهب بن جرير، قال: حدثنا أبى، قال: سمعت أيوب يحدث، عن عكرمة، عن ابن عباس أنه قدم المدينة زمن الحرة[٥].

---

(١) الحديث: أخرجه البخارى، كتاب الأحكام، باب ما يكره من الحرص على الإمارة (٧١٤٨).

(٢) الحديث: أخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير (١٢٧/٥) وزاد «**وبئس الشيء الإمارة لمن أخذها بغير حقها، فتكون عليه حسرة يوم القيامة**»، وقال الحافظ الهيثمى فى مجمع الزوائد (٢٠٠/٥): رواه الطبرانى عن شيخه حفص بن عمر بن الصباح الرقى، ووثقه ابن حبان وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٣) كسرى أنوشروان؛ هو: ابن قباذ فيروز بن يزدجرد بن بهرام جور، أحد ملوك فارس، قام بفتح الإسكندرية وما دونها. انظر: تاريخ الطبرى (٤٢٢/١).

(٤) الحديث: أخرجه الترمذى، كتاب الفتن، باب (٧٢) (٢٢٦٢) قال أبو عيسى: هذا حديث صحيح.

(٥) الحرة: أرض بظاهر المدينة بها حجارة سود كبيرة وكانت بها موقعة بين جنود يزيد بن معاوية وأهل المدينة من الصحابة والتابعين فى ذى الحجة سنة (٦٣هـ). انظر: تاريخ الطبرى (٣٥٧/٣).

فقال: من استعمل القوم؟

قالوا: على قريش عبد الله بن مطيع[1]، وعلى الأنصار عبد الله بن حنظلة ابن الراهب[2].

فقال: أميران، هلك والله القوم.

[٥] **حدثنا** محمد بن عبيد، قال: حدثنا معاوية بن عمرو، عن أبى إسحاق، عن هشام بن حسان، قال: كان الحسن[3] يقول: أربعة من الإسلام إلى السلطان: الحكم، والفيء[4] والجمعة، والجهاد.

[٦] **وحدثني** محمد، قال: حدثنا أبو سلمة، عن حماد بن سلمة، عن أيوب، عن أبي قلابة، قال: قال كعب[5] : مَثَلُ الإسلام والسلطان والناس؛ مثل: الفسطاط، والعمود، والأطناب، والأوتاد؛ فالفسطاط الإسلام، والعمود السلطان، والأطناب، والأوتاد الناس، لا يصلح بعضه إلا ببعض.

---

(١) عبد الله بن مطيع؛ هو: ابن الأسود بن عبد المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصى القرشي، الأسدى ولد فى حياة النبى ﷺ وروى عن أبيه، توفى سنة (٧٣هـ). انظر: الإصابة (٢٠٤/٤)، أسد الغابة (٣١٩٠).

(٢) عبد الله بن حنظلة؛ هو: ابن أبى عامر الأنصارى، أبو بكر، حفظ عن النبى ﷺ وروى عنه وعن عمر وعبد الله بن سلام، كان من خيار أهل المدينة توفى سنة (٦٣هـ). انظر: الإصابة (٥٧/٤)، طبقات ابن سعد (٤٦/٥).

(٣) الحسن؛ هو: ابن يسار البصرى، أبو سعيد، تابعى، كان إمام أهل البصرة، وحبر الأمة فى زمانه، وهو أحد العلماء الفقهاء شب فى كنف على بن أبى طالب، توفى سنة (١١٠هـ). انظر: تهذيب التهذيب (١٣٨٨/١)، ميزان الاعتدال (٢٥٢/١).

(٤) الفيء: الغنيمة والخراج؛ أو ما حصل عليه المسلمون من أموال الكفار من غير حرب. انظر: اللسان، مادة [فيأ].

(٥) كعب؛ هو: ابن ماتع الحميرى، أبو إسحاق، المعروف بكعب الأحبار، ثقة، مخضرم، كان من الطبقة الأولى من تابعى أهل الشام، روى عن النبى ﷺ مرسلاً. مات بحمص سنة (٣٢هـ) . انظر: الإصابة (٤٨١/٥)، حلية الأولياء (٣٦٤/٥).

[٧] **حدثنى** سهل بن محمد قال: حدثنى الأصمعى قال: قال أبو حازم[١] لسليمان بن عبد الملك[٢]: السلطان سوق فما نفق عنده أتى به[٣].

[٨] **وقرأت فى كتاب لابن المقفع**[٤]: الناس على دين السلطان إلا القليل، فليكن للبر والمروءة عنده نفاق فسيكسد بذلك الفجور والدناءة فى آفاق الأرض.

[٩] **وقرأت فيه أيضًا**: الملك ثلاثة: ملك دين، وملك حزم، وملك هوى.

فأما ملك الدين: فإنه إذا قام لأهله دينهم فكان دينهم هو الذى يعطيهم مالهم ويلحق بهم ما عليهم، أرضاهم ذلك وأنزل الساخط منهم منزلة الراضى فى الإقرار والتسليم.

وأما ملك الحزم: فإنه تقوم به الأمور ولا يسلم من الطعن والتسخط ولن يضره طعن الضعيف مع حزم القوى.

وأما ملك الهوى: فلعب ساعة ودمار دهر.

[١٠] **حدثنى** يزيد بن عمرو، عن عصمة بن صقير الباهلى، قال: حدثنا إسحاق بن نجيح، عن ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان، قال: قال رسول الله ﷺ **«إن لله حراسًا فحراسه فى السماء الملائكة وحراسه فى الأرض الذين يأخذون الديوان»**.

---

(١) أبو حازم؛ هو: سلمة بن دينار، الأعرج الأفزر التمار المدنى القاص، مولى الأسود بن سفيان المخزومى كان ثقة كثير الحديث، توفى سنة (١٤٠هـ). انظر: تهذيب التهذيب (٢/٧١)، صفة الصفوة (٢/٨٨).

(٢) سليمان بن عبد الملك؛ هو: ابن مروان، أبو أيوب، الخليفة الأموى، كان عاقلاً فصيحًا طموحًا إلى الفتح، كانت خلافته أقل من ثلاث سنوات. انظر: تاريخ الطبرى (٨/١٢٦)، الكامل لابن الأثير (٥/١٤).

(٣) انظر: حلية الأولياء (٣/٢٤٠).

(٤) عبد الله بن المقفع، كاتب، شاعر، فارسى الأصل، أحد النقلة من اللسان الفارسى إلى العربى، نشأ بالبصرة وولى كتابة الديوان للمنصور العباسى، ترجم بعض الكتب من الفارسية إلى العربية مثل كليلة ودمنة، من آثاره: الأدب الصغير، الجوهرة، توفى سنة (١٤٥هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (٥/٢٢٢) معجم المؤلفين (٢/٣٠١).

[١١] **حدثنى** أحمد بن الخليل، قال: حدثنى سعيد بن سلم الباهلى، قال: أخبرنى شعبة، عن شرقى، عن عكرمة فى قول الله عز وجل ﴿**له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله**﴾[الرعد:١١] قال: الجَلاوِزَةُ يحفظون الأمراء[(١)].

[١٢] **وقال الشاعر:**

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة خليًّا من اسم الله والبركات

يعنى: باسم الله وفيه قول الله ﴿**يحفظونه من أمر الله**﴾ أى بأمر الله.

[١٣] **وقرأت فى كتاب من كتب الهند:** شر المال ما لاينفق منه، وشر الأخوان الخاذل[(٢)]، وشر السلطان من خافه البرىء، وشر البلاد ما ليس فيه خصب[(٣)] ولا أمن.

[١٤] **وقرأت فيه:** خير السلطان من أشبه النسر حوله الجيف[(٤)] لا من أشبه الجيفة حولها النسور.

وهذا معنى لطيف، وأشبه الأشياء به قول بعضهم: سلطان تخافه الرعية خير للرعية من سلطان يخافها.

[١٥] **حدثنى** شيخ لنا، عن أبى الأحوص، عن ابن عم لأبى وائل، عن أبى وائل، قال: قال عبد الله بن مسعود[(٥)]: إذا كان الإمام عادلاً؛ فله الأجر وعليك الشكر، وإذا كان جائرًا فعليه الوزر وعليك الصبر.

---

(١) انظر: تفسير الطبرى (١٦/٣٧٣).

(٢) الخاذل: ضد الناصر وخذله ترك نصرته وعونه. انظر: لسان العرب، مادة [خذل].

(٣) الخصب: نقيض الجدب، وهو كثرة العشب، ورفاهة العيش. انظر: لسان العرب، مادة [خصب].

(٤) الجيف: جثث الموتى. انظر: لسان العرب، مادة [جيف].

(٥) عبد الله بن مسعود؛ هو: ابن غافل بن حبيب بن شمخ بن فات بن مخزوم بن سعد بن هذيل، أبو عبد الرحمن، حدث عن النبى ﷺ بالكثير وهو من الصحابة العبادلة، هاجر الهجرتين وشهد بدرًا والمشاهد بعدها، توفى سنة (٣٢هـ). انظر: الإصابة (٤/١٩٨).

[١٦] **وأخبرني أيضًا**، عن أبي قدامة، عن علي بن زيد، قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ثلاث من الفواقر[1]: جار مقامه إن رأى حسنة سترها وإن رأى سيئة أذاعها، وامرأة إن دخلت عليها لسنتك وإن غبت عنها لم تأمنها، وسلطان إن أحسنت لم يحمدك وإن أسأت قتلك[2].

[١٧] **وقرأت في يتيمة**[3]: مثل قليل مضار السلطان في جنب منافعه مثل الغيث الذي هو سقيا الله، وبركات السماء، وحياة الأرض ومن عليها.

وقد يتأذى به السفر ويتداعى له البنيان، وتكون فيه الصواعق، وتدر سيوله فيهلك الناس والدواب، وتموج له البحار فتشتد البلية منه على أهله.

فلا يمنع الناس إذا نظروا إلى آثار رحمة الله في الأرض التي أحيا، والنبات الذي أخرج، والرزق الذي بسط، والرحمة التي نشر، أن يعظموا نعمة ربهم ويشكروها ويلغوا ذكر خواص البلايا التي دخلت على خواص الخلق.

ومثل الرياح التي يرسلها الله نشرًا بين يدي رحمته؛ فيسوق بها السحاب ويجعلها لقاحًا للثمرات، وأرواحًا للعباد يتنسمون منها ويتقلبون فيها، وتجري بها مياههم وتقد بها نيرانهم، وتسير بها أفلاكهم.

وقد تضر بكثير من الناس في برهم وبحرهم ويخلص ذلك إلى أنفسهم وأموالهم، فيشكوها منهم الشاكون، ويتأذى بها المتأذون ولا يزيلها ذلك عن منزلتها التي جعلها الله بها وأمرها الذي سخرها له من قوام عباده وتمام نعمته.

ومثل الشتاء والصيف اللذين جعل الله حرهما وبردهما صلاحًا للحرث والنسل ونتاجًا للحَب والثمر، يجمعها البرد بإذن الله ويحملها ويخرجها الحر بإذن الله وينضجها مع سائر ما يعرف من منافعها.

---

(١) الفواقر؛ جمع فاقرة: وهي الداهية . انظر: القاموس المحيط، مادة [فقر].

(٢) انظر: فيض القدير (٣/٢٥٧) ، ميزان الاعتدال (١/٤٢٥).

(٣) اليتيمة : كتاب لابن المقفع في الرسائل. انظر: الفهرست لابن النديم ص (١٩٠).

وقد يكون الأذى والضر فى حرهما وبردهما وسمائهما وزمهريرهما، وهما مع ذلك لا ينسبان إلا إلى الخير والصلاح.

ومن ذلك الليل الذى جعله الله سكنًا ولباسًا .

وقد يستوحش له أخو القفر[1]، وينازع فيه ذو البلية والريبة، وتعدو فيه السباع، وتنساب فيه الهوام[2]، ويغتنمه أهل السرق والسلة[3]، ولا يزرى صغير ضرره بكثير نفعه، ولا يلحق به ذمًّا ولا يضع عن الناس الحق فى الشكر لله على ما مَنَّ به عليهم منه.

ومثل النهار الذى جعله الله ضياءً ونشورًا.

وقد يكون على الناس أذى الحر فى قيظهم[4] وتصحبهم فيه الحروب والغارات، ويكون فيه النصب، والشخوص وكثير مما يشكوه الناس ويستريحون فيه إلى الليل وسكونه.

ولو أن الدنيا كان شيء من سرائها يعم عامة أهلها بغير ضرر على بعضهم وكانت نعماؤها بغير كدر وميسورها من غير معسور كانت الدنيا هى إذًا الجنة التى لايشوب مسرتها مكروه ولا فرحها ترح، والتى ليس فيها نصب ولا لغوب فكل جسيم من أمر الدنيا يكون ضره خاصة فهو نعمة عامة وكل شيء منه يكون نفعه خاصًّا فهو بلاء عام.

[١٨] **وكان يقال:** السلطان والدين أخوان لا يقوم أحدهما إلا بالآخر.

---

(١) القفر: المكان الخلاء من الناس، وربما كان به كلأ قليل، وأخو القفر: ساكن هذا المكان. انظر: لسان العرب، مادة [قفر].

(٢) الهوام: الحيات وكل ذى سم يقتل سمه. انظر: لسان العرب، مادة [همم].

(٣) السلة: السرقة، وقيل: السرقة الخفيفة. انظر: لسان العرب، مادة [سلل].

(٤) القيظ: هو صميم الصيف، وهو من طلوع النجم إلى طلوع سهيل. انظر: لسان العرب، مادة [قيظ].

[١٩] **وقرأت فى التاج**[1] **لبعض الملوك:** هموم الناس صغار، وهموم الملوك كبار، وألباب الملوك مشغولة بكل شيء يجل، وألباب السوق مشغولة بأيسر الشيء.

فالجاهل منهم يعذر نفسه بدعة ما هو عليه من الرسلة ولا يعذر سلطانه مع شدة ما هو فيه من المؤنة، ومن هناك يعذر الله سلطانه ويرشده وينصره.

[٢٠] **سمع زياد**[2] **رجلاً يسب الزمان، فقال:** لو كان يدرى ما الزمان لعاقبته، إنما الزمان هو السلطان[3].

[٢١] **وكانت الحكماء تقول:** عدل السلطان أنفع للرعية من خصب الزمان.

[٢٢] **وروى الهيثم،** عن ابن عياش، عن الشعبى،[4] قال: أقبل معاوية[5] ذات يوم على بنى هاشم[6] .

---

(١) التاج: كتاب لابن المقفع، واسمه التاج فى سيرة أنوشروان. انظر: الفهرست، لابن النديم ص (١٩٠).

(٢) زياد؛ هو: ابن أبى سفيان، ابن أبيه، أمير من الدهاة ولى إمرة فارس، وولى البصرة والكوفة وسائر العراق وهو أول من اتخذ العسس والحرس فى الإسلام. توفى سنة (٥٣هـ). انظر: تاريخ الطبرى (١٦٢/٦)، الكامل لابن الأثير (١٩٥/٣).

(٣) انظر: الكامل، للمبرد (٣٤٩/١).

(٤) الشعبى؛ هو: عامر بن شراحيل بن عبد ذى كبار، الحميرى، أبو عمرو راوية من التابعين، يضرب المثل بحفظه، ولد ونشأ بالكوفة، كان نديم وسمير عبد الملك بن مروان واستقضاه عمر ابن عبد العزيز وكان فقيهًا شاعرًا. توفى سنة (١٠٣هـ). انظر: تهذيب التهذيب (٦٥/٥) والوفيات (٢٤٤/١).

(٥) معاوية؛ هو: ابن أبى سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس، القرشى، الأموى، أمير المؤمنين، ولى الشام فى عهد عمر، وأقره عثمان ثم استمر ولم يبايع على ثم حاربه واستقل بالشام ثم أضاف إليها مصر. ثم استقل بالخلافة بعد الحكمين. توفى سنة (٦٠هـ) الإصابة (١٢٠/٦).

(٦) بنو هاشم؛ هم: رهط سيد الخلق صلى الله عليه وسلم، وبطن من قريش، من العدنانية، وكانت لهم الرفادة والسقاية ومن خصالهم كما قال على بن أبى طالب رضي الله عنه فصاحة وصباحة، وسماحة ونجدة ، وحظوة. انظر: معجم قبائل العرب (١٢٠٧/٣).

فقال: يا بنى هاشم، ألا تحدثونى عن ادعائكم الخلافة دون قريش بم تكون لكم أبالرضا بكم، أم بالاجتماع عليكم دون القرابة، أم بالقرابة دون الجماعة، أم بهما جميعًا؟.

فإن كان هذا الأمر بالرضا والجماعة دون القرابة، فلا أرى القرابة أثبتت حقًّا ولا أسست ملكًا.

وإن كان بالقرابة دون الجماعة والرضا، فما منع العباس عم النبى ﷺ ووارثه وساقى الحجيج وضامن الأيتام أن يطلبها وقد ضمن له أبو سفيان بنى عبد مناف[1].

وإن كانت الخلافة بالرضا والجماعة والقرابة جميعًا، فإن القرابة خصلة من خصال الإمامة لا تكون الإمامة بها وحدها وأنتم تدعونها بها وحدها.

ولكنا نقول: أحق قريش بها من بسط الناس أيديهم إليه بالبيعة عليها، ونقلوا أقدامهم إليه للرغبة، وطارت إليه أهواؤهم للثقة، وقاتل عنها بحقها، فأدركها من وجهها.

إن أمركم لأمر تضيق به الصدور، إذا سئلتم عمَّن اجْتُمِعَ عليه من غيركم، قلتم حق.

فإن كانوا اجتمعوا على حق؛ فقد أخرجكم الحق من دعواكم.

انظروا فإن كان القوم أخذوا حقكم؛ فاطلبوهم.

وإن كانوا أخذوا حقهم؛ فسلموا إليهم؛ فإنه لا ينفعكم أن تروا لأنفسكم ما لا يراه الناس لكم.

فقال ابن عباس[2]: ندعى هذا الأمر بحق من لولا حقه لم تقعد مقعدك هذا.

---

(١) عبد مناف بن قصي: بطن من قصي بن كلاب من العدنانية، من أفخاذه: عبد شمس، هاشم، المطلب، ونوفل. انظر: معجم قبائل العرب (٢/٧٣٥).

(٢) ابن عباس؛ هو: عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، القرشي، أبو العباس، ابن عم رسول الله ﷺ ، دعا له النبى ﷺ بالحكمة، شهد مع على الجمل وصفين، ووصف بأنه ترجمان القرآن، كف بصره فى آخر عمره، فسكن الطائف، وتوفى بها سنة (٦٨هـ). انظر: الإصابة (٤/١٢١).

ونقول: كان تركُ الناس أن يرضوْا بنا ويجتمعوا علينا حقًّا ضيعوه وحظًّا حُرِمُوه، وقد اجتمعوا على ذى فضل لم يخطئ الوِرْدَ والصَّدر، ولا ينقص فضلَ ذى فضلٍ فضل غيره عليه، قال الله عز وجل﴿**ويؤت كل ذى فضل فضله**﴾[هود:٣].

فأما الذى منعنا من طلب هذا الأمر بعد رسول الله ﷺ ؛ لَعَهْدٌ مِنْهُ إلينا قَبِلْنا فيه قولَه ودًّا بتأويله، ولو أمرنا أن نأخذه على الوجه الذى نهانا عنه؛ لأخذناه أو أعذرنا فيه، ولا يعاب أحد على ترك حقه؛ إنما المعيب من يطلب ما ليس له، وكل صواب نافع وليس كل خطأ ضارًّا.

انتهت القضية إلى داود وسليمان، فلم يفهمها داود، وفهمها سليمان، ولم يضر داود.

فأما القرابة فقد نفعت المشرك وهى للمؤمن أنفع.

قال رسول الله ﷺ : «**أنت عمى وصنو أبى، ومن أبغض العباس فقد أبغضنى، وهجرتك آخر الهجرة كما أن نبوتى آخر النبوة**» .

وقال لأبى طالب عند موته: «**يا عم قل لا إله إلا الله، أشفع لك بها غدًا وليس ذاك لأحد من الناس**» قال الله تعالى ﴿**وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إنى تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذابًا أليمًا**﴾[النساء:١٨](١) .

[٢٣] **حدثنا** الرياشى، عن أحمد بن سلام مولى ذُفيف، عن مولى يزيد بن حاتم، عن شيخ له، قال: قال كسرى: لا تنزل ببلد ليس فيه خمسة أشياء: سلطان قاهر، وقاض عادل، وسوق قائمة، وطبيب عالم، ونهر جار.

---

(١) الحديث: أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت (٣٩).

[٢٤] **حدثنا الرياشي،** قال: حدثنا مسلم بن إبراهيم، قال: حدثنا القاسم ابن الفضل، قال: حدثنا ابن أخت العجاج، عن العجاج[1]، قال: قال لي أبو هريرة[2]: ممن أنت؟

قال: قلت: من أهل العراق.

قال: يوشك أن يأتيك بُقْعَانُ[3] الشأم فيأخذوا صدقتك، فإذا أتوك فتلقهم بها، فإذا دخلوها فكن في أقاصيها وخل عنهم وعنها، وإياك وأن تسبهم فإنك إن سببتهم ذهب أجرك وأخذوا صدقتك، وإن صبرت جاءتك في ميزانك يوم القيامة.

[٢٥] **وفي رواية أخرى، أنه قال:** إذا أتاك المصدق فقل: خذ الحق ودع الباطل، فإن أبى فلا تمنعه إذا أقبل، ولا تلعنه إذا أدبر فتكون عاصيًا خفف عن ظالم.

[٢٦] **وكان يقال:** طاعة السلطان على أربعة أوجه؛ على الرغبة، والرهبة، والمحبة، والديانة.

[٢٧] **وقرأت في بعض كتب العجم:** كتابًا لأردشير بن بابك[4] إلى الرعية، نسخته:

---

(١) العجاج؛ هو: عبد الله بن رؤبة بن لبيد بن صخر السعدي، التميمي، وهو راجز مجيد، من الشعراء، ولد في الجاهلية وقال الشعر بها ثم أسلم وهو أول من رفع الرجز وشبهه بالقصيد، وكان لا يهجو وهو والد رؤبة الراجز المشهور، توفي سنة (٩٠هـ). انظر: الشعر والشعراء (٢٣٠)، الأعلام (٨٦/٤).

(٢) أبو هريرة؛ هو: عبد الرحمن بن صخر بن عامر بن عبد ذي الشرى، الدوسي من أكثر الرواة عن النبي ﷺ، ولي إمارة المدينة مدة، واستعمل على البحرين في عهد عمر، فرآه عمر لين العريكة مشغولاً بالعبادة فعزله، توفي سنة (٥٩هـ). انظر: الإصابة (٣٤٨/٧).

(٣) بقعان الشام: خدمهم وعبيدهم، وسموا بذلك لبياضهم وحمرتهم. انظر: القاموس المحيط، مادة [بقع].

(٤) أردشير؛ هو: ابن بابك معروف بالحكمة، وقد اختار ابن قتيبة، طائفة من أقواله في عيون الأخبار. انظر: تاريخ الطبري (٣٤١/١).

من أردشير الموبذ ذى البهاء ملك الملوك ووارث العظماء، إلى الفقهاء؛ الذين هم حملة الدين، والأساورة؛ الذين هم حفظة البيضة، والكُتّاب؛ الذين هم زينة المملكة، وذوى الحرث؛ الذين هم عمرة البلاد، السلام عليكم. فإنا بحمد الله صالحون وقد وضعنا عن رعيتنا بفضل رأفتنا إتاوتها الموظفة عليها، ونحن مع ذلك كاتبون إليكم بوصية:

لا تستشعروا الحقد فيدهمكم العدو.

ولا تحتكروا فيشملكم القحط.

وتزوجوا فى القرابين فإنه أمس للرحم وأثبت للنسب.

ولا تعدُّوا هذه الدنيا شيئًا فإنها لا تبقى على أحد.

ولا ترفضوها مع ذلك فإن الآخرة لا تنال إلاَّ بها.

[٢٨] **وقرأت كتابًا من أرسطاطاليس[١] إلى الإسكندر[٢] وفيه:**

املك الرعية بالإحسان إليها تظفر بالمحبة منها، فإن طلبك ذلك منها بإحسانك هو أدوم بقاءً منه باعتسافك[٣].

واعلم أنك إنما تملك الأبدان فتخطها إلى القلوب بالمعروف.

واعلم أن الرعية إذا قدرت على أن تقول قدرت على أن تفعل، فاجهد ألا تقول تسلم من أن تفعل.

---

(١) أرسطاطليس؛ هو: أرسطو مُربِّى الإسكندر، فيلسوف يونانى من كبار مفكرى البشرية، وهو مؤسس مذهب فلسفة المشائين، ومن آثاره كتاب : ما بعد الطبيعة، النفس. توفى (٣٢٢ ق.م). انظر: الفهرست، لابن النديم، ص٤٠٢.

(٢) الإسكندر؛ هو: الإسكندر الكبير، من أشهر الغزاة الفاتحين، لُقِّب بذى القرنين. ابن فيليبس ملك مقدونيا، وهو مؤسس الإسكندرية. توفى عام (٣٢٣ ق.م) انظر: أخباره فى الإغريق تاريخهم وحضارتهم، من ص(٤٦١).

(٣) العسف: هو الظلم . انظر: لسان العرب، مادة [عسف].

[٢٩] **وقرأت فى كتاب الآيين**[1] : أن بعض ملوك العجم قال فى خطبة له:

إنى إنما أملك الأجسام لا النيات، وأحكم بالعدل لا بالرضا، وأفحص عن الأعمال لا عن السرائر.

[٣٠] **ونحوه قول العجم:** أسْوَس الملوك من قاد أبدان الرعية إلى طاعته بقلوبها.

[٣١] **وقالوا:** لا ينبغى للوالى أن يرغب فى الكرامة التى ينالها من العامة كرهًا، ولكن فى التى يستحقها بحسن الأثر وصواب الرأى والتدبير.

[٣٢] **حدثنا** الرياشى، عن أحمد بن سلاّم، عن شيخ له قال: كان أنوشروان[2] إذا ولى رجلاً أمر الكاتب أن يدع فى العهد موضع أربعة أسطر؛ ليوقع فيه بخطه، فإذا أتى بالعهد وقع فيه: سُسْ خيار الناس بالمحبة، وامزج للعامة الرغبة بالرهبة، وسس سفلة الناس بالإخافة.

[٣٣] **قال المدائنى**[3]: قدم قادم على معاوية بن أبى سفيان.

فقال له معاوية: هل من مُغَرِّبَة خبر؟

قال: نعم، نزلت بماء من مياه الأعراب فبينا أنا عليه إذ أورد أعرابى إبله، فلما شربت ضرب على جنوبها، وقال: عليك زيادًا[4].

فقلت له: ما أردت بهذا؟

---

(١) كتاب آئين نامه فى الآيين، لابن المقفع. انظر: الفهرست لابن النديم ص (١٩٠).

(٢) تقدم فى [٣].

(٣) المدائنى؛ هو: على بن محمد بن عبد الله، البصرى، أبو الحسن، مؤرخ، إخبارى وراوية للشعر، ولد ونشأ بالبصرة. من آثاره: أمهات النبى ﷺ التعازى، توفى سنة (٢٢٥هـ). انظر: تاريخ بغداد (٥٤/١٢)، سير أعلام النبلاء (٢٣٠/٧).

(٤) تقدم فى [٢٠].

قال: هي سدى، ما قام لي بها راعٍ مذ ولي زياد. فسر ذلك معاوية وكتب به إلى زياد.

[٣٤] **قال عبد الملك بن مروان**(١): أنصفونا يا معشر الرعية، تريدون منا سيرة أبي بكر وعمر، ولا تسيرون فينا ولا في أنفسكم بسيرة رعية أبي بكر وعمر، نسأل الله أن يعين كلاًّ على كل.

[٣٥] **قال عمر بن الخطاب**: إن هذا الأمر لايصلح له إلا اللين في غير ضعف والقوى في غير عنف.

[٣٦] **وقال عمر بن عبد العزيز**(٢): إني لأجمع أن أخرج للمسلمين أمرًا من العدل، فأخاف أن لا تحتمله قلوبهم، فأخرج معه طمعًا من طمع الدنيا، فإن نفرت القلوب من هذا سكنت إلى هذا.

[٣٧] **قال معاوية**: لا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي، ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني، ولو أن بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت.

قيل: وكيف ذاك؟

قال: كنت إذا مدوها خليتها وإذا خلوها مددتها.

[٣٨] **ونحو هذا قول الشعبي فيه**: كان معاوية كالجمل الطب، إذا سكت عنه تقدم، وإذا رد تأخر.

والجمل الطب: الحاذق بالمشي، وهو الذي لا يضع يديه إلا حيث يبصر.

---

(١) عبد الملك بن مروان؛ هو: ابن الحكم بن أبي العاص بن أمية، أبو الوليد، الخليفة الفقيه، كان من العباد الفقهاء في المدينة، ولما ولي الحكم جهز جيشًا لمحاربة الزبير، وكان من أدهى العرب وأمكرهم، توفي سنة (٦٨هـ). انظر: تاريخ بغداد (٣٨٨/١٠)، سير أعلام النبلاء (٢٤٦/٤).

(٢) عمر بن عبد العزيز؛ هو: ابن مروان بن الحكم الأموي، القرشي، أبو حفص الخليفة الصالح، والملك العادل خامس الخلفاء الراشدين، كانت سياسته تتسم بالعدل وحسن التدبير، توفي سنة (١٠١هـ). انظر: تهذيب التهذيب (٤٧٥/٧)، النجوم الزاهرة (٢٤٦/١).

[٣٩] **وقول عمر فيه:** احذروا آدم قريش وابن كريمها، من لا ينام إلا على الرضا ويضحك فى الغضب ويأخذ ما فوقه من تحته[1].

[٤٠] **قيل:** وأغلظ له رجل فحلم عنه، فقيل له: أتحلم عن هذا؟

فقال: إنى لا أحول بين الناس وبين ألسنتهم ما لم يحولوا بيننا وبين سلطاننا.

[٤١] **وكان يقال:** لا سلطان إلا برجال ولا رجال إلا بمال، ولا مال إلا بعمارة، ولا عمارة إلا بعدل وحسن سياسة.

[٤٢] **قال زياد:** أحسنوا إلى المزارعين، فإنكم لا تزالون سمانًا ما سمنوا.

[٤٣] **وكتب الوليد**[2] إلى الحجاج[3]، يأمره أن يكتب إليه بسيرته .

فكتب إليه: إنى أيقظت رأيى وأنمت هواى، فأدنيت السيد المطاع فى قومه، ووليت الحرب الحازم فى أمره، وقلدت الخراج الموفر لأمانته، وقسمت لكل خصم من نفسى قسمًا يعطيه حظًّا من نظرى ولطيف عنايتى، وصرفت السيف إلى النطف المسيء، والثواب إلى المحسن البرىء فخاف المريب صولة العقاب، وتمسك المحسن بحظه من الثواب.

[٤٤] **وكان يقول لأهل الشام:** إنما أنا لكم كالظليم[4] الرائح عن فراخه؛ ينفى عنها القذر ويباعد عنها الحجر ويكنها من المطر، ويحميها من الضباب، ويحرسها من الذئاب، يا أهل الشام أنتم الجُنة والرداء، وأنتم العدة والحذاء.

---

(١) انظر: كنز العمال (٥٨٧/١٣).

(٢) الوليد؛ هو: ابن عبد الملك بن مروان، أبو العباس، من ملوك الدولة الأموية، وامتدّت فى زمانه حدود الدولة العربية إلى الهند والصين، بنى المسجد الأقصى فى القدس. وتوفى عام (٦٩هـ). انظر: الكامل لابن الأثير (٣/٥)، تاريخ الطبرى (٩٧/٨).

(٣) الحجاج الثقفى؛ هو: ابن يوسف بن الحكم أبو محمد، قائد داهية خطيب، ولى مكة والمدينة والطائف والعراق وكان سفاكًا سفاحًا، وكان فصيح اللسان، وهو أول من ضرب درهمًا عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله، توفى سنة (٩٥هـ). انظر: تهذيب التهذيب (٢١٠/٢)، وفيات الأعيان (١٢٣/١).

(٤) الظليم: هو ذكَر النعام والجمع أظلمة وظلماتٌ. انظر: لسان العرب، مادة [ظلم].

[٤٥] **قيل:** فخر سليم مولى زياد بزياد عند معاوية.

فقال معاوية: اسكت ما أدرك صاحبك شيئًا قط بسيفه إلا وقد أدركت أكثر منه بلساني[١].

[٤٦] **وقال الوليد لعبد الملك:** يا أبت ما السياسة؟

قال: هيبة الخاصة مع صدق مودتها، واقتياد قلوب العامة بالإنصاف لها واحتمال هفوات الصنائع.

[٤٧] **وفي كتب العجم:** قلوب الرعية خزائن ملوكها، فما أودعتها من شيء فلتعلم أنه فيها.

[٤٨] **ووصف بعض الملوك سياسته فقال:** لم أهزل في وعد ولا وعيد ولا أمر ولا نهي، ولا عاقبت للغضب، واستكفيت على الجزاء، وأثبت على العناء لا للهوى، وأودعت القلوب هيبة لم يشبها مقت وودًّا لم تشبه جرءة، وعممت بالقوت ومنعت الفضول.

[٤٩] **وقرأت في كتاب التاج:** قال أبرويز لابنه شيرويه، وهو في حبسه: لا توسعن على جندك فيستغنوا عنك، ولا تضيقن عليهم فيضجحوا منك، أعطهم عطاءً قصدًا وامنعهم منعًا جميلاً، ووسع عليهم في الرجاء ولا توسع عليهم في العطاء.

[٥٠] **ونحوه قول المنصور[٢] في مجلسه لقواده:** صدق الأعرابي حيث يقول: اجع[٣] كلبك يتبعك.

---

(١) انظر: البيان والتبيين (١/٢٥٩).

(٢) أبو جعفر؛ هو: عبد الله بن محمد بن علي بن العباس، المنصور، ثاني خلفاء الدولة العباسية، هو أول من عني بالعلوم من ملوك العرب، كان عارفًا بالفقه والأدب، مقدمًا في الفلسفة والفلك، محبًّا للعلماء، كان شجاعًا حازمًا. توفي سنة (١٥٨هـ). انظر: النجوم الزاهرة (٢/١٣٣)، تهذيب التهذيب (٦/٩).

(٣) اجع: فعل أمر ماضيه جاع ومعناه: انقص طعامه وقلّله. انظر: لسان العرب، مادة [جوع].

فقام أبو العباس الطوسى[1] فقال: يا أمير المؤمنين أخشى أن يلوح له غيرك برغيف فيتبعه ويدعك.

[٥١] **وكتب عمر إلى أبى موسى الأشعرى**[2]: أما بعد، فإن للناس نفرة عن سلطانهم فأعوذ بالله أن تدركنى وإياك عمياء مجهولة وضغائن محمولة.

أقم الحدود ولو ساعة من نهار، وإذا عرض لك أمران أحدهما لله، والآخر للدنيا؛ فآثر نصيبك من الله؛ فإن الدنيا تنفد والآخرة تبقى.

وأخيفوا الفساق واجعلوهم يدًا يدًا ورجلاً رجلاً.

وعد مرضى المسلمين واشهد جنائزهم وافتح لهم بابك وباشر أمورهم بنفسك فإنما أنت رجل منهم؛ غير أن الله جعلك أثقلهم حملاً.

وقد بلغنى أنه قد فشا لك ولأهل بيتك هيئة فى لباسك ومطعمك ومركبك ليس للمسلمين مثلها، وإياك يا عبد الله أن تكون بمنزلة البهيمة مرت بواد خصيب فلم يكن لها هم إلا السمن، وإنما حتفها فى السمن.

واعلم أن العامل إذا زاغ زاغت رعيته، وأشقى الناس من شقى الناس به، والسلام[3].

[٥٢] **هشام بن عروة**[4] **قال:** صلى يومًا عبد الله بن الزبير[5] فوجم[6] بعد الصلاة ساعة.

---

(١) أبو العباس الطوسى؛ هو: حميد الطوسى، من كبار قواد المأمون العباسى كان جبارًا فيه قوة وبطش وكان المأمون يندبه للمهمات. انظر: النجوم الزاهرة (٢/١٩٠).

(٢) أبو موسى الأشعرى؛ هو: عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار، كان أحد الحكمين بصفين، وروى أبو موسى عن النبى ﷺ وعن الخلفاء الأربعة وهو مشهور باسمه وكنيته. انظر: الإصابة (٤/١٨١).

(٣) انظر: البيان والتبيين (٢/٢٩٢).

(٤) هشام بن عروة؛ هو: ابن الزبير بن العوام الأسدى، أبو المنذر، ولد سنة مقتل الحسين سنة (٦١هـ) توفى سنة (١٤٦هـ). انظر: تهذيب التهذيب (٤/٢٧٥).

(٥) عبد الله بن الزبير؛ هو: أبو بكر بن العوام بن خويلد بن عبد العزى القرشى الأسدى، ولد عام الهجرة وحفظ عن النبى ﷺ وحدث عن النبى ﷺ وشهد مع أبيه وشهد فتح أفريقية، توفى سنة (٧٣هـ). انظر: الإصابة (٤/٧٨).

(٦) الوجوم: السكوت على غيظ وهو الذى اشتد حزنه حتى أمسك عن الكلام. انظر: لسان العرب، مادة [وجم].

فقال الناس: لقد حدث نفسه، ثم التفت إلينا.

فقال: لا يبعدن ابن هند[1]، إن كانت فيه لمخارج لا نجدها فى أحد بعده أبدًا، والله إن كنا لنفرقه وما الليث الحرب على براثنه بأجرأ منه فيتفارق لنا. وإن كنا لنخدعه وما ابن ليلة من أهل الأرض بأدهى منه؛ فيتخادع لنا، والله لوددت أنَّا مُتِّعنَا به ما دام فى هذا حجر، وأشار إلى أبى قبيس لا يتخون له عقل ولا تنتقص له قوة.

قلنا: أوحش والله الرجل.

قال: وكان يصل بهذا الحديث: كان والله كما قال العذرى[2]:

ركــوب المنــابر وثابهــا   معــن بخطبتــه مجهــر

تريــع إليــه هــوادى الكــلام   إذا خطــل النــثر المهمــر

[٥٣] **حدثنى أبو حاتم قال:** حدثنا الأصمعى قال: حدثنا جد سران وسران عم الأصمعى قال: كلم الناس عبد الرحمن بن عوف[3] أن يكلم عمر بن الخطاب فى أن يلين لهم، فإنه قد أخافهم، حتى إنه قد أخاف الأبكار فى خدورهن.

فقال عمر: إنى لا أجد لهم إلا ذلك، إنهم لو يعلمون ما لهم عندى لأخذوا ثوبى عن عاتقى[4].

---

(١) ابن هند؛ هو: معاوية بن أبى سفيان.

(٢) العذرى؛ هو: ابن عبد الله بن معمر القضاعى، أبو عمرو شاعر من عشاق العرب، افتتن ببثينة، شعره رقيق، أقل ما فيه المدح وأكثره النسيب والغزل والفخر. توفى سنة (٨٢هـ). انظر: وفيات الأعيان (١/١١٥)، الأغانى (٨/٩٠).

(٣) عبد الرحمن بن عوف؛ هو: عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة ابن كلاب القرشى الزهرى. وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى وشهد بدرًا وسائر المشاهد توفى سنة (٣١هـ). انظر: الإصابة (٤/٢٩٠).

(٤) عاتقى: العاتق ما بين المنكب والعنق. انظر: لسان العرب، مادة [عتق].

[٥٤] **قال:** وتقدمت إليه امرأة فقالت: يا أبا عقر حفص، الله لك.

فقال: ما لك أعقرت؟ أى دهشت.

فقالت: صلعت فرقتك.

[٥٥] **قال أشجع السلمى[(١)] فى إبراهيم بن عثمان[(٢)]:**

لا يصلــح السـلطان إلا شــدة ... تعشى البرىء بفضل ذنب المجرم

ومـن الـولاة مقحـم لا يتقـى ... والسيف تقطر شفرتاه من الدم

منعـت مهـابتك النفـوس حديثهـا ... بـالأمر تكرهــه وإن لـم تعلـم

[٥٦] **كان يقال:** شر الأمراء أبعدهم من القراء، وشر القراء أقربهم من الأمراء.

[٥٧] **كتب عامل لعمر بن عبد العزيز على حمص إلى عمر:** إن مدينة حمص قد تهدم حصنها، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لى فى إصلاحه.

فكتب إليه عمر: أما بعد، فحصنها بالعدل، والسلام.

[٥٨] **ذكر أعرابى أميرًا فقال:** كان إذا ولى لم يطابق بين جفونه وأرسل العيون على عيونه، فهو غائب عنهم شاهد معهم، فالمحسن راج والمسيء خائف.

[٥٩] **كان جعفر بن يحيى[(٣)] يقول:** الخراج عمود الملك، وما استغزر ممن بمثل العدل، ولا استنزر بمثل الظلم.

---

(١) أشجع السُّلَمى؛ هو: ابن عمرو ، أبو الوليد من بنى سُليم، وهو شاعر فحل، له مدح فى البرامكة، وله أخبار كثيرة، توفى (١٩٥هـ) تاريخ بغداد (٧/٤٥).

(٢) إبراهيم بن عثمان؛ هو: أبو شيبة، مولى بنى عبس ولى قضاء واسط ، توفى عام (١٦٩هـ). انظر: تاريخ بغداد (٦/١١١).

(٣) جعفر بن يحيى؛ هو: ابن خالد البرمكى أبو الفضل. وزير الرشيد العباسى، وأحد مشهورى البرامكة ومقدميهم، كان ذا قول بليغ . توفى عام (١٥٠هـ). انظر: تاريخ بغداد (٧/١٥٢)، البيان والتبيين (١/٥٨).

[٦٠] **وفى كتاب من كتب العجم، أن أردشير قال لابنه:**

يا بنى، إن الملك والدين أخوان لا غنى بأحدهما عن الآخر، فالدين أس[1] والملك حارس وما لم يكن له أس فمهدوم وما لم يكن له حارس فضائع.

يا بنى اجعل حديثك مع أهل المراتب[2]، وعطيتك لأهل الجهاد، وبشرك لأهل الدين، وسرك لمن عناه ما عناك من أرباب العقول.

[٦١] **وكان يقال:** مهما كان فى الملك فلا ينبغى أن تكون فيه خصال خمس:

لا ينبغى أن يكون كذابًا، فإنه إذا كان كذابًا فوعد خيرًا لم يرج أو أوعد بشر لم يُخف.

ولا ينبغى أن يكون بخيلاً، فإنه إذا كان بخيلاً لم يناصحه أحد ولا تصلح الولاية إلا بالمناصحة.

ولا ينبغى أن يكون حديدًا، فإنه إذا كان حديدًا مع القدرة هلكت الرعية.

ولا ينبغى أن يكون حسودًا فإنه إذا كان حسودًا لم يشرف أحدًا ولا يصلح الناس إلا على أشرافهم.

ولا ينبغى أن يكون جبانًا، فإنه إذا كان جبانًا ضاعت ثغوره واجترأ عليه عدوه.

[٦٢] **وقدم معاوية بالمدينة، فدخل دار عثمان.**

فقالت عائشة بنت عثمان[3] : وا أبتاه، وبكت.

---

(١) الأُس: أصل البناء. انظر: لسان العرب، مادة [أسس].

(٢) المراتب: المنازل. انظر: القاموس المحيط، مادة [رتب].

(٣) عائشة بنت عثمان بن عفان : وهى أم أبان بن مروان بن الحكم. انظر: تاريخ الطبرى (٣/٣٥٣).

فقال معاوية : يا ابنة أخي إن الناس أعطونا طاعة وأعطيناهم أمانًا وأظهرنا لهم حلمًا تحته غضب، وأظهروا لنا طاعة تحتها حقد، ومع كل إنسان سيفه وهو يرى مكان أنصاره ، فإن نكثنا بهم نكثوا بنا، ولا ندرى أعلينا تكون أم لنا، ولأن تكونى بنت عم أمير المؤمنين خير من أن تكونى امرأة من عرض المسلمين.

[٦٣] **كتب عبد الله بن عباس[١] إلى الحسن بن على[٢]**: إن المسلمين وَلَّوك أمرهم بعد علىٍّ، فشمر للحرب، وجاهد عدوك، ودار أصحابك، واشتر من الضنين دينه بما لا يثلم دينك، وول أهل البيوتات والشرف تستصلح بهم عشائرهم حتى تكون الجماعة، فإن بعض ما يكره الناس، ما لم يتعد الحق وكانت عواقبه تؤدى إلى ظهور العدل وعز الدين، خير من كثير مما يحبون، إذا كانت عواقبه تدعو إلى ظهور الجور ووهن الدين.

[٦٤] **حدثنى محمد بن عبيد**، عن معاوية بن عمرو، عن أبى إسحاق، عن الأعمش، عن إبراهيم[٣] قال: كان عمر إذا قدم عليه الوفد سألهم عن حالهم وأسعارهم، وعمن يعرف من أهل البلاد وعن أميرهم، وهل يدخل عليه الضعيف، وهل يعود المريض، فإن قالوا: نعم، حمد الله تعالى، وإن قالوا: لا، كتب إليه: أقبل.

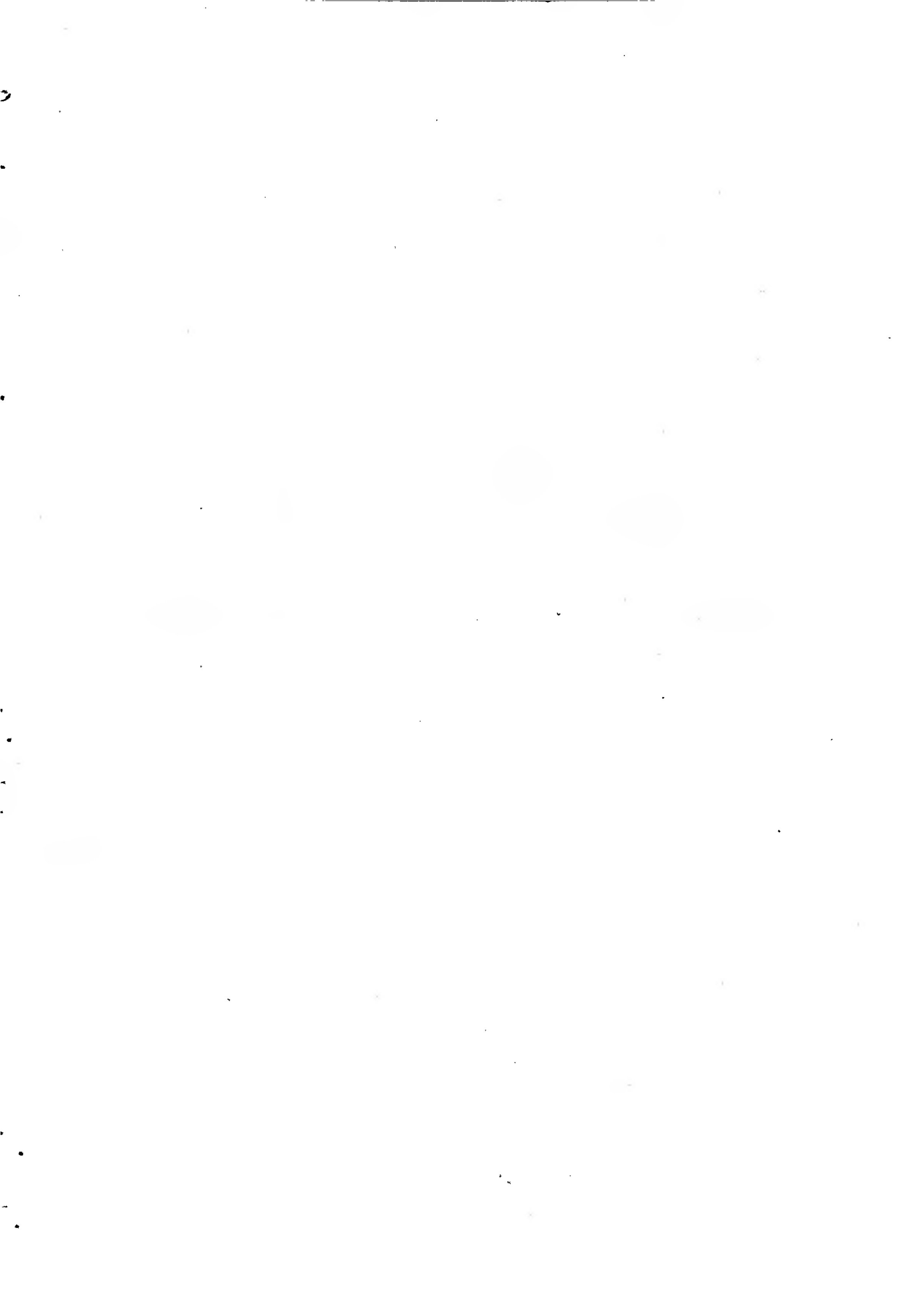
---

(١) تقدم فى [٢٢].

(٢) الحسن بن على؛ هو: ابن أبى طالب الهاشمى القرشى، أبو محمد: خامس الخلفاء الراشدين وآخرهم، سبط رسول الله ﷺ وهو أشهر من أن يعرف به. توفى عام (٥٠هـ). انظر: الإصابة (٦٦/٢).

(٣) إبراهيم؛ هو: ابن يزيد بن قيس بن الأسود، أبو عمران النخعى، من كبار التابعين صلاحًا وصدق رواية وحفظًا للحديث، وهو من أهل الكوفة، كان إمامًا مجتهدًا له مذهب. توفى سنة (٩٦هـ). انظر: طبقات ابن سعد (١٨٨/٦)، حلية الأولياء (٢١٩/٤).

الفصل الثانى
اختيـــار العمـــال



اختيار العمال

[٦٥] **روى أن أبا بكر الصديق** لما حضرته الوفاة كتب عهدًا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهد أبو بكر خليفة رسول الله عند آخر عهده بالدنيا وأول عهده بالآخرة، فى الحال التى يؤمن فيها الكافر ويتقى فيها الفاجر: إنى استعملت عمر بن الخطاب، فإن بر وعدل فذلك علمى به، وإن جار وبدل فلا علم لى بالغيب، والخير أردت، ولكل امرىء ما اكتسب ﴿**وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون**﴾[الشعراء:٢٢٦].

[٦٦] **وفى التاج**: أن أبرويز كتب إلى ابنه شيرويه من الحبس: ليكن من تختاره لولايتك امرأ كان فى ضعة فرفعته، أو ذا شرف وجدته مهتضمًا فاصطنعته، ولا تجعله امرأ أصبته بعقوبة فاتضع عنها، ولا امرأ أطاعك بعد ما أذللته، ولا أحدًا مما يقع فى خلدك أن إزالة سلطانك أحب له من ثبوته، وإياك أن تستعمله ضرعًا غمرًا أكثر إعجابه بنفسه، وقلت تجاربه فى غيره، ولا كبيرًا مدبرًا قد أخذ الدهر من عقله كما أخذت السن من جسمه.

[٦٧] **وقال لقيط فى هذا المعنى**:

فقلدوا أمركم لله دركم	رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعًا
لا مترفٌ إن رخاء العيش ساعده	ولا إذا عض مكروه به خشعًا
ما زال يحلب در الدهر أشطره	يكون متبعًا يومًا ومتبعًا
حتى استمرت على شزر مريرته	مستحكم السن لا فحمًا ولا ضرعًا

[٦٨] **ويقال فى مثل**: رأى الشيخ خير من مشهد الغلام[1].

[٦٩] **ومن أمثال العرب فى المجرب**: العوان لا تعلم الخمرة[2].

---

(١) انظر: جمهرة الأمثال (١/٥٠٢).

(٢) انظر: جمهرة الأمثال (٢/٣٨).

[٧٠] **قال بعض الخلفاء:** دلونى على رجل أستعمله على أمر قد أهمنى.

قالوا: كيف تريده؟

قال: إذا كان فى القوم وليس أميرهم كان كأنه أميرهم، وإذا كان أميرهم كان كأنه رجل منهم.

قالوا: لا نعلمه إلا الربيع بن زياد الحارثى[١].

قال: صدقتم، هو لها.

[٧١] **وروى الهيثم، عن مجالد، عن الشعبى[٢] قال:** قال الحجاج: دلونى على رجل للشرط.

فقيل: أى الرجال تريد؟

فقال: أريده دائم العبوس، طويل الجلوس، سمين الأمانة أعجف الخيانة لا يخفق فى الحق على جر، يهونْ عليه سبال الأشراف فى الشفاعة.

فقيل له: عليك بعبد الرحمن بن عبيد التميمى، فأرسل إليه يستعمله.

فقال له: لست أقبلها إلا أن تكفينى عيالك وولدك وحاشيتك.

قال: يا غلام ناد فى الناس: من طلب إليه منهم حاجة فقد برئت منه الذمة.

قال الشعبى: فوالله ما رأيت صاحب شرطة قط مثله، كان لا يحبس إلا فى دين، وكان إذا أتى برجل قد نقب[٣] على قوم وضع منقبته فى بطنه حتى تخرج من ظهره، وإذا أتى بنباش[٤] حفر له قبرًا فدفنه فيه، وإذا أتى برجل قاتل بحديدة

---

(١) الربيع بن زياد بن أنس الحارثى،أمير فاتح، أدرك عصر النبوة، ولى البحرين وسجستان، كان شجاعًا تقيًّا ، توفى عام (٥٣هـ). انظر: الإصابة (١/٥٠٤) الكامل لابن الأثير (٣/١٩٥).

(٢) تقدم [٢٢].

(٣) النقب: الثقب. انظر: القاموس المحيط، مادة [نقب].

(٤) نبش الشيء: استخرجه. نبش الموتى: استخرجهم بعد الدفن. النباش: هو الفاعل لذلك حرفته النباشة- النبش. انظر: لسان العرب، مادة [نبش].

أو شهر سلاحًا قطع يده،وإذا أتى برجل قد أحرق على قوم منزلهم أحرقه، وإذا أتى برجل يشك فيه وقد قيل إنه لص ولم يكن منه شيء ضربه ثلثمائة سوط.

قال: فكان ربما أقام أربعين ليلة لا يؤتى بأحد فضم إليه الحجاج شرطة البصرة مع شرطة الكوفة(١).

[٧٢] **وقرأت في كتاب أبرويز إلى ابنه شيرويه:** انتخب لخراجك أحد ثلاثة: إما رجل يظهر زهدًا في المال ويدعى ورعًا في الدين، فإن من كان كذلك عدل على الضعيف، وأنصف من الشريف ووفر الخراج واجتهد في العمارة، فإن هو لم يرع ولم يعف إبقاء على دينه ونظرًا لأمانته كان حريًا أن يخون قليلاً ويوفر كثيرًا استسرارًا للرياء واكتتامًا للخيانة، فإن ظهرت على ذلك منه عاقبته على ما خان ولم تحمده ما وفر، وإن هو جلَّح(٢) في الخيانة وبارز بالرياء نكَّلت به في العذاب واستنظفت ماله مع الحبس، أو رجلاً عالمًا بالخراج غنيًا في المال مأمونًا في العقل فيدعوه عامة للخراج إلى الاقتصاد في الحلب والعمارة للأرضين، والرفق بالرعية ويدعوه غناه إلى العفة، ويدعوه عقله إلى الرغبة فيما ينفعه والرهبة مما يضره ،أو رجلاً عالمًا بالخراج مأمونًا بالأمانة مقترًا من المال فتوسع عليه في الرزق فيغتنم لحاجته الرزق ويستكثر لفاقته اليسير ويزجى بعلم الخراج ليعف بأمانته عن الخيانة.

[٧٣] **استشار عمر بن عبد العزيز** في قوم استعملهم، فقال له بعض أصحابه: عليك بأهل العذر.

قال: ومن هم؟

قال: الذين إن عدلوا فهو ما رجوت منهم وإن قصروا، قال الناس: قد اجتهد عمر.

---

(١) الكوفة، بالضم: المصر المشهور بأرض بابل من سواد العراق، ويسميها قومٌ خدّ العذراء. انظر: معجم البلدان (٤/٥٥٧).

(٢) المجالحة: المجاهرة بالأمر. والمكاشفة بالعداوة، والمكابرة. انظر: القاموس المحيط، مادة [جلح].

[٧٤] **قال عدى بن أرطـأة**[١]: لإياس بن معاويـــة[٢]: دلنـى علـى قـوم مـن القراء أولهم.

فقال له: القراء ضربان: فضرب يعملون للآخـرة ولا يعملـون لـك، وضـرب يعملون للدنيا، فما ظنك بهم إذا أنت وليتهم فمكنتهم منها.

قال: فما أصنع؟

قال: عليك بأهل البيوتات؛ الذين يستحيون لأحسابهم فولّهم.

[٧٥] **قيل**: أحضر الرشيد[٣] رجلاً ليوليه القضاء.

فقال له: إنى لا أحسن القضاء ولا أنا فقيه.

قال الرشيد: فيـك ثـلاث خـلال: لـك شـرف؛ والشـرف يمنـع صاحبـه مـن الدناءة، ولك حلم يمنعك من العجلة، ومن لا يعجـل قـل خطؤه، وأنـت رجـل تشاور فى أمرك؛ ومن شاور كثر صوابه، وأما الفقه فسينضم إليك من تتفقه بـه، فولى فما وجدوا فيه مطعنًا.

---

(١) عدى بن أرطأة، هو: الفزارى، أبو واثلة؛ أمير من أهل دمشق. كـان مـن العقـلاء الشـجعان ولاه عمر بن عبد العزيز، على البصـرة سنة (٩٩هـ) فاستمر إلى أن قتله معاويـة بن يزيد بن المهلب، بواسط فى فتنة أبيه (يزيد) بالعراق سنة (١٠٢هـ). انظر: الكـامل للمبرد ، ورغبـة الآمل (٢/٢٦).

(٢) إياس بن معاوية، هو: ابن قرة المزنى، أبو واثلة؛ قاضى البصرة، وأحـد أعـاجيب الدهـر فـى الفطنة والذكاء. من مفاخر مضر ومن مقدمى القضاة كان صادق الحدس، عجيب الفراسـة، وجيهًا عند الخلفاء. توفي سنة (١٢٢هـ). انظر: وفيات الأعيان (١/٨١) ، مـيزان الاعتـدال (١/١٣١) ، حلية الأولياء (٣/١٢٣).

(٣) الرشيد؛ هو: هارون بن محمـد بـن المنصـور العباسـى، أبـو جعفـر، خـامس خلفـاء الدولـة العباسية في العراق. كان عالـمًـا بالأدب وأخبـار العـرب والحديـث والفقـه فصيحًـا حازمًـا كريمًا متواضعًا، يحـج عامًا ويغـزو عامًـا. توفـى سـنة (١٩٣هـ). انظـر: البدايـة والنهايـة (١٠/٢١٣)، تاريخ الطبرى (١٠/٤٧).

[٧٦] **حدثنى** سهل بن محمد، قال: حدثنا الأصمعى، قال: حدثنى صالح بن رستم أبو عامر الخزاز، قال: قال لى إياس بن معاوية المزنى[١]: أرسل إلىَّ عمر ابن هبيرة[٢] فأتيته، فساكتنى فسكت، فلما أطلتُ، قال: إيه.

قلت: سل عما بدا لك.

قال: أتقرأ القرآن؟

قلت: نعم.

قال: هل تفرض الفرائض؟

قلت: نعم.

قال: فهل تعرف من أيام العرب شيئًا.

قلت: نعم.

قال: فهل تعرف من أيام العجم شيئًا.

قلت: أنا بها أعلم.

قال: إنى أريد أن أستعين بك.

قلت: إن فىَّ ثلاثًا لا أصلح معهن للعمل.

قال: ما هن؟

---

(١) سبقت ترجمته [٧٤].

(٢) عمر بن هبيرة، هو: ابن سعد بن عدى الفزارى، أبو المثنى؛ أمير، من الدهاة الشجعان. كان رجلا من أهل الشام. ولاه عمر بن عبد العزيز الجزيرة. غزا الروم من ناحية أرمينية فهزمهم وأسر منهم خلقًا كثيرًا. وولى إمارة العراق وخراسان فى عهد يزيد بن عبد الملك. توفى نحو (١١٠هـ). انظر: الكامل لابن الأثير (٣٧/٥)، رغبة الآمل (٧٧/٢).

قلت: أنا دميم[1] كما ترى، وأنا حديد[2]، وأنا عيّ[3].

قال: أمَّا الدمامة فإني لا أريد أن أحاسن بك الناس، وأما العيُّ؛ فإني أراك تعبر عن نفسك، وأما سوء الخلق فيقومك السوط، قم، قد وليتك.

قال: فولاني، وأعطاني ألفي درهم، فهما أول مال تمولته.

[٧٧] **قرأت في كتاب للهند:** السلطان الحازم، ربما أحب الرجل؛ فأقصاه وأطرحه مخافة ضره، فِعْلَ التي تلسع الحية إصبعه فيقطعها لئلا ينتشر سمُّها في جسده، وربما أبغض الرجل؛ فأكره نفسه على توليته وتقريبه؛ لغناء يجده عنده؛ كتَكارُهِ المرء على الدواء البَشِع لنفعه.

[٧٨] **حدثني المعلى بن أيوب، قال:** سمعت المأمون يقول: من مدح لنا رجلاً، فقد تضمن عيبه.

(١) دميم: قبيح ، وقيل : حقير. انظر: لسان العرب، مادة [دمم].

(٢) رجل حديد: سيء الخلق في اللسان، والغضب. انظر: لسان العرب، مادة [حدد].

(٣) عييٌّ بالأمر: لم يهتد لوجه مراده، أو عجز عنه. انظر: القاموس المحيط، مادة [عيى].

الفصل الثالث

صحبـة السلطـان وآدابهـا
وتغير السلطان وتلونه

صحبة السلطان وآدابها وتغير السلطان وتلونه

[٧٩] **حدثنى محمد بن عبيد، قال:** حدثنا أبو أسامة، عن مجالد، عن الشعبى، عن عبد الله بن عباس قال: قال لى أبى: يا بُنى إنى أرى أمير المؤمنين يستخليك ويستشيرك ويقدمك على الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ، وإنى أوصيك بخلال أربع: لا تفشين له سرًّا، ولا يجربن عليك كذبًا، ولا تغتابن عنده أحدًا، ولا تَطْوِ عنه نصيحة.

قال الشعبى: قلت لابن عباس: كل واحدة خير من ألف.

قال: إى والله، ومن عشرة آلاف.

[٨٠] **كان يقال:** إذا جعلك السلطان أخًا فاجعله أبًا، وإن زادك فزده.

[٨١] **قال زياد لابنه:** إذا دخلت على أمير المؤمنين، فادع له، ثم اصفح صفحًا جميلاً، ولا يرين منك تهالكًا عليه ولا انقباضًا عنه.

[٨٢] **قال مسلم بن عمرو:** ينبغى لمن خدم السلطان؛ ألا يغتر بهم إذا رضوا عنه، ولا يتغير لهم إذا سخطوا عليه، ولا يستثقل ما حملوه، ولا يلحف فى مسألتهم.

[٨٣] **وقرأت فى كتاب للهند:** صحبة السلطان على ما فيها من العز والثروة؛ عظيمة الخطار[1]، وإنما تشبه بالجبل الوعر؛ فيه الثمار الطيبة والسباع العادية، فالارتقاء إليه شديد، والمقام فيه أشد، وليس يتكافأ خير السلطان وشره؛ لأن خير السلطان لا يعدو مزيد الحال، وشر السلطان قد يزيل الحال ويتلف النفوس التى لها طلب المزيد، ولا خير فى الشىء الذى فى سلامته مال وجاه، وفى نكبته الجائحة والتلف.

---

(١) الخطار: المخاطر، جمع مفرده خطر. انظر: لسان العرب، مادة [خطر].

[٨٤] **وقرأت فيه:** من لزم باب السلطان بصبر جميل وكظم للغيظ واطّراحٍ للأنفة، وصل إلى حاجته.

[٨٥] **وقرأت فيه:** السلطان لا يتوخى بكرامته الأفضل فالأفضل؛ ولكن الأدنى فالأدنى، كالكرم[1] لا يتعلق بأكرم الشجر ولكن بأدناها منه.

[٨٦] **وكانت العرب تقول:** إذا لم تكن من قربان الأمير، فكن من بُعدانه[2].

[٨٧] **وقرأت في آداب ابن المقفع:** لا تكونن صحبتك للسلطان إلا بعد رياضة منك لنفسك على طاعتهم في المكروه عندك، وموافقتهم فيما خالفك، وتقدير الأمور على أهوائهم دون هواك، فإن كنت حافظًا إذًا وَلَّوْكَ، حذرًا إذًا قَربوكَ، أمينًا إذًا ائتمنوكَ، تعلمهم وكأنك تتعلم منهم، وتؤدبهم وكأنك تتأدب بهم، وتشكر لهم ولا تكلفهم الشكر، ذليلاً إن صَرَمُوكَ، وراضيًا إن أسخطوك، وإلا فالبعد منهم كل البعد، والحذر منهم كل الحذر.

وإن وجدت عن السلطان وصحبته غنى؛ فاستغن به، فإنه من يخدم السلطان بحقه يَحُلْ بينه وبين لذة الدنيا وعمل الآخرة، ومن يخدمه بغير حقه يحتمل الفضيحة في الدنيا والوزر في الآخرة.

[٨٨] **وقال:** إذا صحبت السلطان؛ فعليك بطول الملازمة في غير طول المعاتبة، وإذا نزلت منه منزلة الثقة؛ فاعزل عنه كلام الملق[3]، ولا تكثرن له في الدعاء، إلا أن تكلمه على رؤوس الناس، ولا يكونن طلبك ما عنده بالمسألة ولا تستبطئنه إن أبطأ.

---

(١) الكرم: شجرة العنب. انظر: لسان العرب، مادة [كرم].

(٢) البعدان، جمع بعيد: هو عكس قريب، والمقصود تباعد عن الأمير لا يصيبك شره. انظر: لسان العرب، مادة [بعد].

(٣) الملق: الود واللطف وأن تعطى باللسان ما ليس في القلب. انظر: القاموس المحيط، مادة [ملق].

اطلبه بالاستحقاق، ولا تخبرنه أن لك عليه حقًّا، وأنك تعتد عليه ببلاء، وإن استطعت ألا ينسى حقك وبلاءك بتجديد النصح والاجتهاد، فافعل ولا تعطينه المجهود كله فى أول صحبتك له؛ فلا تجد موضعًا للمزيد؛ ولكن دع للمزيد موضعًا.

وإذا سأل غيرك فلا تكن المجيب، واعلم أن استلابك للكلام خفةٌ بك، واستخفاف منك بالسائل والمسئول، فما أنت قائل إن قال السائل: ما إياك سألت، وقال لك المسئول: أجب أيها المعجب بنفسه المستخف بسلطانه.

[٨٩] **وقال:** مثل صاحب السلطان، مثل راكب الأسد يهابه الناس وهو لمركبه أهيب.

[٩٠] **وقال عبد الملك بن صالح**[(١)] لمؤدب ولده، بعد أن اختصه لمجالسته ومحادثته: كن على التماس الحظ بالسكوت أحرص منك على التماسه بالكلام، فإنهم قالوا: إذا أعجبك الكلام فاصمت، وإذا أعجبك الصمت فتكلم.

يا عبد الرحمن لا تساعدنى على ما يقبح بى، ولا تردن علىَّ الخطأ فى مجلسى، ولا تكلفنى جواب التشميت[(٢)] والتهنئة، ولا جواب السؤال والتعزية، ودع عنك كيف أصبح الأمير وأمسى.

وكلمنى بقدر ما استنطقتك، واجعل بدل التقريظ لى حسن الاستماع منى، واعلم أن صواب الاستماع أقل من صواب القول.

---

(١) عبد الملك بن صالح، هو: ابن على بن عبد الله بن عباس، أمير من بنى العباس، ولاه الهادى الموصل، وولاه الرشيد المدينة والصوائف، وولاه مصر، ودمشق، وولاه الأمين الشام والجزيرة. كان من أفصح الناس وأخطبهم، له مهابة وجلالة. توفى سنة (١٩٦هـ). انظر: النجوم الزاهرة (٢/٩٠)، الكامل لابن الأثير (٦/٨٥).

(٢) التشميت: الدعاء بالخير والبركة. انظر: لسان العرب، مادة [شمت].

وإذا سمعتنى أتحدث فأرنى فُهْمَكَ فى طَرْفِكَ وتوقفك، ولا تجهد نفسك فى تَطْرِيةِ صوابى، ولا تستدع الزيادة من كلامى بما تُظهر من استحسان ما يكون منى، فمن أسوأ حالاً ممن يستكد[1] الملوك بالباطل فيدل على تهاونه، وما ظنك بالملك وقد أحلك محلَّ المعجَبِ بما تسمع منه، وقد أحللته محل من لا يُسمع منه، وأقل من هذا يُحبط إحسانك، ويسقط حق حرمة إن كانت لك.

وإنى جعلتك مؤدبًا بعد أن كنت معلمًا، وجعلتك جليسًا مقربًا، بعد أن كنت مع الصبيان مباعدًا، ومتى لم تعرف نقصان ما خرجت منه لم تعرف رجحان ما دخلت فيه، ومن لم يعرف سوء ما يولى لم يعرف حسن ما يلى.

[٩١] **وقيل:** دخل أبو مسلم[2] على أبى العباس[3] وعنده أبو جعفر[4]، فسلم على أبى العباس، فقال له: يا أبا مسلم، هذا جعفر.

فقال: يا أمير المؤمنين، هذا موضع لا يُقضى فيه إلا حقك.

[٩٢] **قال الفضل بن الربيع**[5]: مسألة الملوك عن أحوالهم من تحيات النَّوكَى[6].

---

(١) يستكد: يمكر ويحتال. انظر: لسان العرب، مادة [كيد].

(٢) أبو مسلم، هو: عبد الرحمن بن مسلم، الخراسانى، أبو مسلم، أحد كبار القادة المؤسسين للدولة العباسية، كان فصيحًا بالعربية والفارسية، مقدامًا، حازمًا، وكان أيضًا راوية للشعر، توفى سنة (١٣٧هـ). انظر: الكامل لابن الأثير (١٧٥/٥)، تاريخ الطبرى (١٥٩/٩)، البدء والتأريخ (٧٨/٦).

(٣) أبو العباس، هو: عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، السفاح، أول خلفاء الدولة العباسية، كان أحد الدهاة الجبارين من ملوك العرب، قام بدعوته أبو مسلم الخراسانى، وبويع له بالخلافة جهرًا فى الكوفة، كان شديد العقوبة، عظيم الانتقام، لقب بالسفاح لكثرة ما سفح من دماء الأمويين، هو أول من أحدث الوزارة فى الإسلام. توفى سنة (١٣٦هـ). انظر: الكامل لابن الأثير (١٥٢/٥)، تاريخ الطبرى (١٥٤/٩).

(٤) تقدمت ترجمته [٥٠].

(٥) الفضل بن الربيع؛ هو: ابن يونس، أبو العباس، أحد الوزراء الأدباء، كان حازمًا، ولى للرشيد وابنه الأمين، توفى سنة (٢٠٨هـ). انظر: البداية والنهاية (٢٦٣/١٠)، تاريخ بغداد (٣٤٣/١٢).

(٦) النوكى، جمع الأنوك: الأحمق. انظر: لسان العرب، مادة [نوك].

فإذا أردت أن تقول: كيف أصبح الأمير، فقل: صبَّح الله الأمير بالكرامة.

وإذا أردت أن تقول: كيف يجد الأمير نفسه، فقل: أنزل الله على الأمير الشفاء والرحمة، فإن المسألة توجب الجواب، فإن لم يجبك اشتد عليك، وإن أجابك اشتد عليه.

[٩٣] **وقرأت في آداب ابن المقفع:** جانب المسخوط عليه والظنّين عند السلطان ولا يجمعنك وإياه مجلس ولا منزل، ولا تظهرن له عذرًا، ولا تُثْنِ عليه عند أحد، فإذا رأيته قد بلغ في الانتقام ما ترجو أن يلين بعده، فاعمل في رضاه عنك برفق وتلطف.

ولا تسار في مجلس السلطان أحدًا ولا تومئ إليه بجفنك وعينك، فإن السَّرَّار[1] يخيل إلى كل من رآه من ذي سلطان وغيره أنه المراد به، وإذا كلمك، فاصغ إلى كلامه، ولا تشغل طرفك عنه بنظر ولا قلبك بحديث نفس.

[٩٤] **وقرأت في كتاب للهند:** أنه أُهدي لملك الهند ثياب وحلي، فدعا بامرأتين له خيَّر أحظاهما[2] عنده بين اللباس والحلية، وكان وزيره حاضرًا، فنظرت المرأة إليه كالمستشيرة فغمزها باللباس تغضينًا بعينه، ولحظه الملك، فاختارت الحلية؛ لئلا يفطن للغمزة، ومكث الوزير أربعين سنة كاسرًا عينه؛ لئلا تَقِرَّ تلك في نفس الملك، وليظنَّ أنها عادة أو خلقة وصار اللباس للأخرى.

فلما حضرت الملك الوفاة، قال لولده: توصَّ بالوزير خيرًا، فإنه اعتذر من شيء يسير أربعين سنة.

[٩٥] **قال شبيب بن شيبة**[3]: ينبغي لمن ساير خليفة أن يكون بالموضع

---

(١) السرار: من يعلم غيره بسره. انظر: لسان العرب، مادة [سرر].

(٢) أحظاهما: أفضلهما مكانة لديه. انظر: القاموس المحيط، مادة [حظو].

(٣) شبيب بن شيبة، هو: ابن عبد الله التميمي، المنقري، الأهتمي، أبو معمر، أديب الملوك، وجليس الفقراء، كان شريفًا في قومه، من الدهاة، وكان أحد فصحاء زمانه، توفي سنة (١٧٠هـ). انظر: ميزان الاعتدال (٤٤١/١)، تهذيب التهذيب (٣٠٧/٤).

الذى إذا أراد الخليفة أن يسأله عن شيء لم يحتج إلى أن يلتفت، ويكون من ناحية إن التفت لم تستقبله الشمس، وإن سار بين يديه أن يحيد عن سَنَنِ الريح التى تؤدى الغبار إلى وجهه.

[٩٦] **قال رجل من النساك**[١] **لآخر:** إن ابتليت أن تدخل إلى السلطان مع الناس؛ فأخذوا فى الثناء، فعليك بالدعاء.

[٩٧] **قال ثمامة**[٢]: كان يحيى بن أكثم[٣] يماشى المأمون يومًا فى بستان موسى[٤]، والشمس عن يسار يحيى، والمأمون فى الظل وقد وضع يده على عاتق يحيى، وهما يتحادثان حتى بلغ حيث أراد، ثم كرَّ راجعًا فى الطريق التى بدأ فيها.

فقال ليحيى: كانت الشمس عليك؛ لأنك كنت عن يسارى وقد نالت منك، فكن الآن حيثُ كنتُ وأتحولُ أنا إلى حيثُ كنتَ.

فقال يحيى: والله يا أمير المؤمنين لو أمكننى أن أقيك هول المطلع[٥] بنفسى لفعلت.

فقال المأمون: لا والله ما بُدٌّ من أن تأخذ الشمسُ منى مثل ما أخذت منك.

فتحول يحيى وأخذ من الظل مثل الذى أخذ منه المأمون.

---

(١) النساك، مفردها الناسك: العابد الذى يتقرب إلى الله. انظر: لسان العرب، مادة [نسك].

(٢) ثمامة، هو: ابن أشرس النميرى، أبو معن، أحد كبار المعتزلة، وأحد الفصحاء البلغاء، كان له اتصال بالرشيد، ثم بالمأمون، كان ذا نوادر ومُلح . توفى سنة (٢١٣هـ) . انظر: ميزان الاعتدال (١/١٧٣)، تاريخ بغداد (٧/١٤٥).

(٣) يحيى بن أكثم، هو: ابن محمد بن قطن التميمى الأسيدى المروزى، أبو محمد، أحد القضاة، عالى القدر، بالغ الشهرة، من نبلاء الفقهاء، كانت كتبه فى الفقه من أجل الكتب، توفى سنة (٢٤٢هـ). انظر: وفيات الأعيان (٢/٢١٧)، أخبار القضاة (٢/١٦١).

(٤) بستان موسى: حفر لبنى ربيعة الحوع كثير الزرع والنخل. انظر: معجم البلدان (٥/٢٥٨).

(٥) هول المطلع: تشبيه لما يشرف عليه من أمر الآخرة. انظر: القاموس المحيط، مادة [طلع].

وقال المأمون: أول العدل أن يعدل الرجل على بطانته[1]، ثم على الذين يلونهم؛ حتى يبلغ العدل الطبقة السفلى.

[٩٨] **المدائنى، قال:** قال الأحنف[2]: **لا تنقبضوا عن السلطان، ولا تهالكوا[3] عليه؛ فإنه من أشرف للسلطان أذراه ومن تضرع له أحظاه[4].**

[٩٩] **حدثنى يزيد بن عمرو، قال:** حدثنى محمد بن عمرو الرومى، قال: حدثنا زهير بن معاوية، عن أبى إسحاق، عن زيد بن يثيع، قال: قال حذيفة بن اليمان: ما مشى قوم قط إلى سلطان الله فى الأرض لِيُذِلُّوه؛ إلا أذلهم الله قبل أن يموتوا.

[١٠٠] **وفى أخبار خالد بن صفوان، أنه قال:** دخلت على هشام بن عبد الملك[5]، فاستدنانى حتى كنت أقرب الناس منه، فتنفس ثم قال: يا خالد، لربَّ خالدٍ قعد مقعدك هذا أشهى إلىَّ حديثًا منك، فعلمت أنه يعنى خالد بن عبد الله[6].

---

(١) البطانة:بطانة الرجل: صاحب سِرِّه وداخلة أمره الذى يشاوره فى أحواله. انظر: القاموس المحيط، مادة [بطن].

(٢) الأحنف، هو: ابن قيس بن معاوية بن حصين المرى السعدى المنقرى التميمى، أبو بحر، من سادة تميم وأحد عظمائها الدهاة، كان ذا فصاحة وشجاعة، كان يضرب به المثل فى الحلم، توفى سنة (٧٢هـ). انظر: طبقات ابن سعد (٦٦/٧) وفيات الأعيان (٢٣٠/١).

(٣) تهالكوا: من هلك فلان على فلان أى تقرب منه بشدة ورمى نفسه عليه. انظر: لسان العرب، مادة [هلك].

(٤) أحظاه: قربه إليه وسعد بقربه. انظر: القاموس المحيط، مادة [حظى].

(٥) هشام بن عبد الملك؛ هو: ابن مروان، أحد ملوك الدولة الأموية فى الشام، نشبت فى أيامه حرب هائلة مع خاقان الترك فى ما وراء النهر، كان حسن السياسة، يقظًا فى أمره. توفى سنة (١٢٥هـ). انظر: الكامل لابن الأثير (٩٦/٥)، تاريخ الطبرى (٢٨٣/٨).

(٦) خالد بن عبد الله؛ هو: ابن يزيد بن أسد القسرى، أبو الهيثم، أمير العراقيين، من خطباء العرب وأجوادهم، ولى مكة للوليد بن عبد الملك، والكوفة والبصرة زمن هشام بن عبد الملك. توفى سنة (١٢٦هـ). انظر: الكامل (٢٠٥/٤)، تهذيب ابن عساكر (٦٧/٥).

فقلت: يا أمير المؤمنين، أفلا تعيده؟

فقال: إن خالدًا أدل فأمل وأوجف فأعجف[1]، ولم يدع لراجع مرجعًا، على أنه ما سألنى حاجة.

فقلت: يا أمير المؤمنين، ذاك أحرى .

فقال: هيهات:

إذا انصرفت نفسى عن الشيء لم تكن إليـــــه مـــــن الدهـــــر تقبـــــل

[١٠١] **حدثنا الفضل بن محمد بن منصور:** بمعنى هذا الحديـث، وببعضـه نهيك[2]: اعتل يحيى بن خالد[3] فبعث إلى منكه الهندى، فقال له: ما تـرى فـى هذه العلة؟

فقال منكه: داؤك كبير ودواؤه يسير، وأيسر منه الشكر، وكان متفننًا.

فقال له يحيى: ربما ثقل على السمع خَطْرَةُ الحق به، فإذا كـان ذاك، كـانت الهجرة له ألزم من المفاوضة فيه.

قال منكه: صدقت، ولكنى أرى فى الطوالع أثـر، والأمـد فيـه قريـب، وأنـت قسيم فى المعرفة، وقد نُبهت، وربما كانت الصورة الحركـة للكواكـب عقيمـة ليست بذات نتاج؛ ولكن الأخذ بالحزم أوفر حظ الطالبين.

قال يحيى: للأمور منصرف إلى العواقب وما حتم لا بد من أن يقع، والمنعـة بمسالمة الأيام نُهْزة[4]، فاقصد لما دعوتك له من هذا الأثر الموجود بالمزاج.

---

(١) أعجف: لم يؤاخذه. انظر: القاموس المحيط، مادة [عجف].

(٢) ضد أمرة، وهو نهو عن المنكر أمور بالمعروف. انظر: القاموس المحيط، مادة [نهى].

(٣) يحيى بن خالد؛ هو: ابن برمك، أبو الفضل، أحد الوزراء، سيد بنى برمـك وأفضلهـم، وهـو مؤدب الرشيد العباسى ومربيه، اشتهر بجوده وحسن سياسته، كان من أعقـل النـاس وأكملهـم، توفـى سنة (١٩٠هـ). انظر: البداية والنهاية (١٠/٢٠٤)، وفيات الأعيان (٢/٢٤٣).

(٤) النهزة: الفرصة. انظر: القاموس المحيط مادة [نهز].

قال منكه: هى الصفراء مازجتها مائية من البلغم، فحدث لها بذلك ما يحدث للهب[1] عند مماسته رطوبة المادة من الاشتعال، فخذ ماء رمانتين، فدقهما بإهليلجة[2] سوداء؛ تنهضك مجلسًا، أو مجلسين، وتسكّن ذلك التوقد الذى تجد إن شاء الله.

فلما كان من حديثهم الذى كان، تلطف منكه حتى دخل على يحيى فى الحبس، فوجده جالسًا على لبد[3]، ووجد الفضل بين يديه يَمهن؛ أى يخدم، فاستعبر منكه وقال: كنت ناديت لو أُعِرْتُ الإجابة.

قال له يحيى: أتراك علمت من ذلك شيئًا جهلته؟ كلا ولكنه كان الرجاء للسلامة بالبراءة من الذنب أغلب من الشَّفَق، وكان مزايلة القدر الخطير عبئًا، قلما تنهض به الهمة، وبعد فقد كانت، نعم أرجو أن يكون أولها شكرًا وآخرها أجرًا، فما تقول فى هذا الداء؟

قال له منكه: ما أرى له دواء أنجع[4] من الصبر، ولو كان يفدى بمال، أو مفارقة عضو كان ذلك مما يجب لك.

قال يحيى: قد شكرت لك ما ذكرت، فإن أمكنك تعهدنا؛ فافعل .

قال منكه: لو أمكننى تخليف الروح عندك ما بخلت بذلك، فإنما كانت الأيام تحسن لى بسلامتك، قال الفضل: كان يحيى يقول: دخلنا فى الدنيا دخولاً أخرجنا منها.

[١٠٢] **وقرأت فى كتاب الهند:** إنما مثل السلطان فى قلة وفائه للأصحاب

---

(١) اللهب: لسان النار. انظر: القاموس المحيط، مادة [لهب].

(٢) الإهليلجة: ثمر منه أصفر ومنه أسود وهو البالغ النضج. انظر: القاموس المحيط، مادة [هلج].

(٣) اللبد: بالتحريك: الصوف . انظر: القاموس المحيط، مادة [لبد].

(٤) أنجع: أفلح . انظر: القاموس المحيط، مادة [نجع].

وسخاء نفسه عمن فقد منهم؛ مثل البَغِيّ[1] والمكتِّب[2]، كلما ذهب واحد جاء آخر.

[١٠٣] **والعرب تقول:** السلطان ذو عَدَوان، وذو بَدَوان، وذو تُدْرأ. يريدون: أنه سريع الانصراف، كثير البدوات، هَجُوم على الأمور.

[١٠٤] **قال معاذ بن مسلم**[3]: رأيت أبا جعفر وأبا مسلم دخلا الكعبة، فنزع أبو جعفر نعله، فلما أراد الخروج قال: يا عبد الرحمن، هات نعلى، فجاء بها، فقال: يا معاذ ضعها فى رجلى. فألبسه إياها، فحقد ذلك أبو مسلم، ووجه أبو جعفر يقطين بن موسى[4] إلى أبى مسلم لإحصاء الأموال.

فقال أبو مسلم: أفعلها ابن سلامة الفاعلة؟ لا يكنى.

فقال يقطين: عجلت أيها الأمير.

قال: وكيف؟

قال: أمرنى أن أحصى الأموال، ثم أسلمها إليك لتعمل فيها برأيك. ثم قدم يقطين على المنصور فأخبره.

فلما قدم أبو مسلم المدائن فى اليوم الذى قتل فيه، جعل يضرب بالسوط

---

(١) البغى: الظالم المجاوز للحد . انظر: لسان العرب، مادة [بغا].

(٢) المكتِّب: المعلم الذى يعلم الكتابة. انظر:لسان العرب، مادة [كتب].

(٣) معاذ بن مسلم؛ هو: الفراء، أبو مسلم، أحد الأدباء المعمرين، كان يكتب الشعر، وهو من أهل الكوفة، عُرف بالهَرَّاء لبيعه الثياب الهروية، له أخبار عديدة، توفى سنة (١٨٧هـ). انظر: وفيات الأعيان (٢/٩٩)، الأعلام (٧/٢٥٨).

(٤) يقطين بن موسى؛ هو: داعية عباسى، من العلماء الدهاة، كان حازمًا شجاعًا، عارفًا بالحروب والوقائع، ولاه المهدى بناء الزيادة الكبرى فى المسجد الحرام. توفى سنة (١٨٦هـ). انظر: البداية والنهاية (١٠/١٨٨)، النجوم الزاهرة (٢/٥٢).

مَعَرَفَة بِرْذَوْنه[1]، ويقول بالفارسية كلامًا معناه: ما تغنى المعرفة إذا لم يقدر على دفع المحتوم.

ثم قال: جارة ذيلها، تدعو يا ويلها، بدجلة أو حولها. كأنا بعد ساعة، قد صرنا فى دجلة.

[١٠٥] **قال المنصور:** ثلاث كنَّ فى صدرى شفى الله منها:

كتاب أبى مسلم إلىَّ وأنا خليفة: عافانا الله وإياك من السوء.

ودخول رسوله علينا، وقوله: أيكم ابن الحارثية؟

وضرب سليمان بن حبيب ظهرى بالسياط[2].

[١٠٦] **قال المنصور؛ لسَلْم بن قتيبة**[3]: ما ترى فى قتل أبى مسلم؟

فقال سلم ﴿**لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا**﴾[الأنبياء:٢٢].

فقال: حسبك يا أبا أمية.

[١٠٧] **قال أبو دلامة**[4]:

أبا مجرم ما غير الله نعمة	على عبده حتى يغيرها العبد
أفى دولة المهدى حاولت غدره	ألا إن أهل الغدر آباؤك الكرد
أبا مجرم خوفتنى القتل فانتحى	عليك بما خوفتنى الأسد الورد

(١) معْرَفة البرْذَوْن: منبت عرف الدابة من رقبتها. انظر: لسان العرب، مادة [برذن].

(٢) السياط، جمع سوط:وهو الذى يجلد به ويجمع أيضًا على أسواط. انظر:لسان العرب، مادة [سوط].

(٣) سلم بن قتيبة؛ هو: ابن مسلم الباهلى الخراسانى، أبو عبد الله، والى البصرة، كان من عقلاء الأمراء، وكان من الموثوق بهم فى الدولة الأموية والعباسية، كان عادلاً، وحسنت سيرته، توفى سنة (١٤٩هـ). انظر: النجوم الزاهرة (١١/٢)، الكامل، لابن الأثير (٢١٨/٥).

(٤) أبو دلامة؛ هو: زند بن الجون الأسدى بالولاء، شاعر من أهل الظرف والدعابة، اتصل بالخلفاء من بنى العباس، توفى سنة (١٦١هـ). انظر: تاريخ بغداد (٤٨٨/٨)، الأغانى (٢٣٥/١٠).

[١٠٨] **قال مروان بن محمد**[1]؛ لعبد الحميد[2] حين أيقن بزوال ملكه: قد احتجت إلى أن تصير مع عدوى، وتظهر الغدر بى، فإن إعجابهم بأدبك، وحاجتهم إلى كتابتك؛ تدعوهم إلى حسن الظن بك، فإن استطعت أن تنفعنى فى حياتى وإلا لم تعجز عن حفظ حرمتى بعد وفاتى.

فقال عبد الحميد: إن الذى أمرتنى به أنفع الأمرين لك، وأقبحهما بى، وما عندى إلا الصبر حتى يفتح الله لك، أو أقتل معك، وقال:

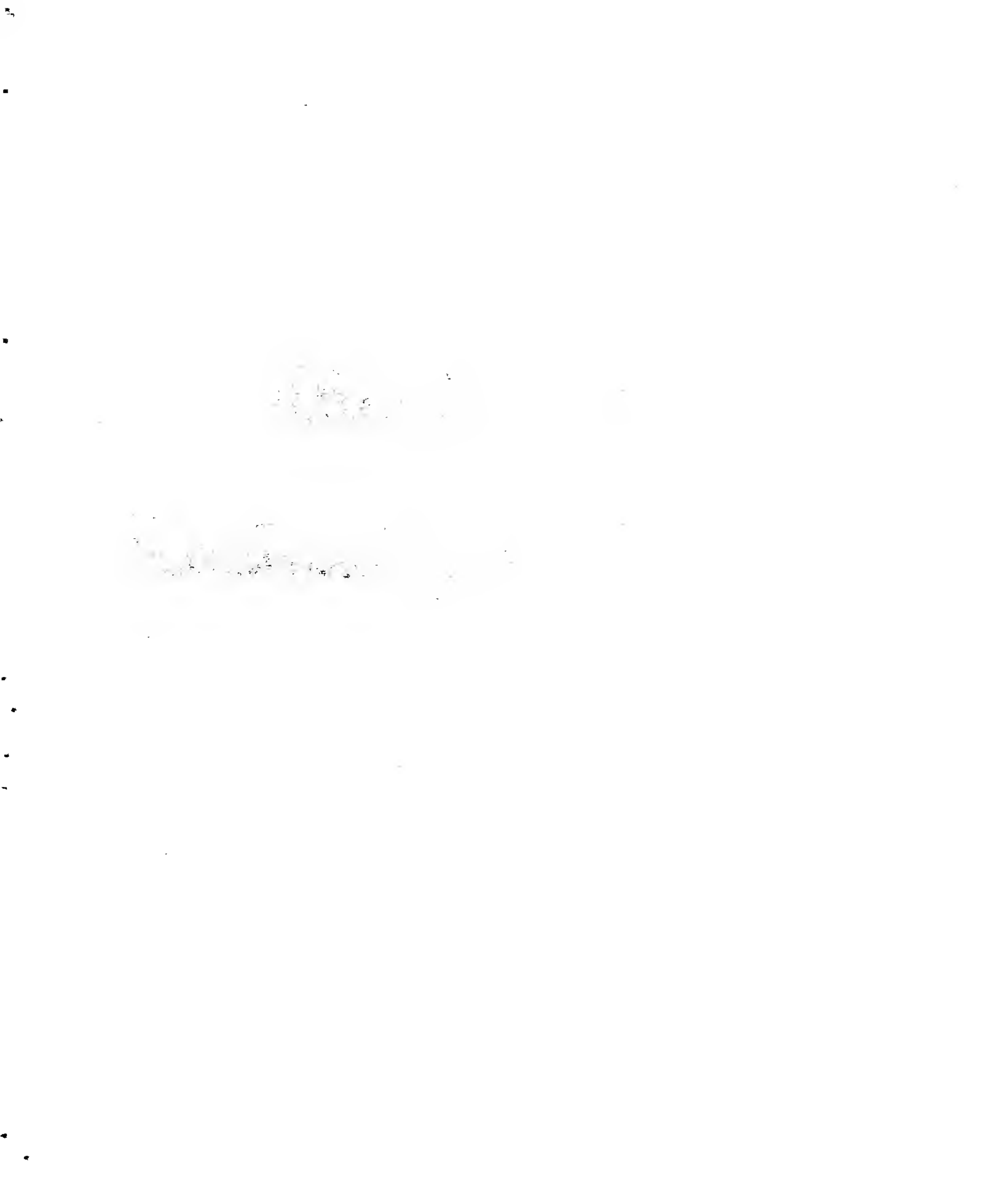
أسر وفاء ثم أظهر غدرة فمن لى بعذر يوسع الناس ظاهره

---

(١) مروان بن محمد؛ هو: ابن مروان بن الحكم، الأموى، أبو عبد الملك، القائم بحق الله، الجعدى، الحمار، آخر ملوك بنى أمية فى الشام، افتتح عدة فتوحات وخاض حروبًا كثيرة. توفى سنة (١٣٢هـ). انظر: تاريخ الطبرى (٩/٥٤)، النجوم الزاهرة (١/١٩٦).

(٢) عبد الحميد؛ هو: ابن يحيى بن سعد، العامرى، بالولاء المكاتب، من أئمة الكتاب، عالم بالأدب، له رسائل تقع فى نحو ألف ورقة. توفى سنة (١٣٢هـ). انظر: وفيات الأعيان (١/٣٠٧)، الوزراء والكتاب ص (٧٢).

الفصل الرابع
المشـــاورة والـــرأى



المشاورة والرأى

[١٠٩] **حدثنا الزيادى، قال:** حدثنا حماد بن زيد، عن هشام، عن الحسن قال: «**كان النبى ﷺ يستشير حتى المرأة فتشير عليه بالشىء فيأخذ به**».

[١١٠] **قرأت فى التاج:** إن بعض ملوك العجم استشار وزراءه .

فقال أحدهم: لا ينبغى للملك أن يستشير منا أحدًا إلا خاليًا به، فإنه أَمْوتُ للسّر، وأحزم للرأى، وأجدر بالسلامة، وأعفى لبعضنا من غائلة بعض، فإن إفشاء السر إلى رجل واحد أوثق من إفشائه إلى اثنين، وإفشاءه إلى ثلاث كإفشائه إلى العامة ؛لأن الواحد رهن بما أفشى إليه، والثانى يطلق عنه ذلك الرهن، والثالث علاوة فيه، وإذا كان سر الرجل عند واحد كان أحرى ألا يظهره رهبة منه ورغبة إليه، وإذا كان عند اثنين دخلت على الملك الشبهة واتسعت على الرجلين المعاريض، فإن عاقبهما؛ عاقب اثنين بذنب واحد، وإن اتهمهما اتهم بريئًا بجناية مجرم، وإن عفا عنهما كان العفو عن أحدهما ولا ذنب له، وعن الآخر ولا حجة معه.

[١١١] **وقرأت فى كتاب للهند:** إن ملكًا استشار وزراء له.

فقال أحدهم: الملك الحازم يزداد برأى الوزراء الحزمة، كما يزداد البحر بمواده من الأنهار، وينال بالحزم والرأى ما لا يناله بالقوة والجنود، وللأسرار منازل منها: ما يدخل الرهط فيه، ومنها: ما يستعان فيه بقوم، ومنها: ما يستغنى فيه بواحد، وفى تحصين السر الظفر بالحاجة، والسلامة من الخلل، والمستشير وإن كان أفضل رأيًا من المشير؛ فإنه يزداد برأيه رأيًا كما تزداد النار بالسليط ضوءًا وإذا كان الملك محصنًا بسره بعيدًا من أن يعرف ما فى نفسه، متخيرًا للوزراء، مهيبًا فى أنفس العامة، كافيًا بحسن البلاء، لا يخافه البرىء، ولا يأمنه المريب، مقدارًا لما يفيد وينفق؛ كان خليقًا لبقاء ملكه، ولا يصلح لسرنا هذا إلا لسانان وأربع آذان ثم خلا به.

[١١٢] **قال أبو محمد**[١]: كتبت إلى بعض السلاطين كتابًا، وفى فصل منه: لم يزل حَزَمَةُ الرجال يستحلون مرارة قول النصحاء، ويستهدون العيوب ويستثيرون صواب الرأى من كلٍّ حتى الأَمَةِ الوَكْعَاء[٢] ومن احتاج إلى إقامة دليل على ما يدعيه من مودته ونقاء طويته، فقد أغنانى الله عن ذلك بما أوجبه الاضطرار، وإذ كنت أرجو بدوام نعمتك، وارتفاع درجتك، وانبساط جاهك ويدك زيادة الحال.

[١١٣] **وفى فصل آخر**: وقد تحملت فى هذا الكتاب بعض العتب، وخالفت ما أعلم، إذ عرضت بالرأى ولم استشر، وأحللت نفسى محل الخواص، ولم أُحل، ونزعت بى النفس، حين جاشت وضاقت بما تسمع، عن طريق الصواب لها إلى طريق الصواب لك، وحين رأيت لسان عدوك منبسطًا بما يدعيه عليك وسهامه نافذة فيك، ورأيت وليك معكومًا[٣] عن الاحتجاج، إذ لايجد العذر، ورأيت عوام الناس يخوضون بضروب الأقاويل فى أمرك، ولا شىء أضر على السلطان فى حال ولا أنفع فى حال منهم، وبما يجريه الله على ألسنتهم تسير الركبان، وتبقى الأخبار، ويخلد الذكر على الدهر، وتشرف الأعقاب، وظاهر الخبر عندهم أعدل من شهادة العدول الثقات.

[١١٤] **وفى فصل منه**: وسائس الناس ومدبر أمورهم؛ يحتاج إلى سعة الصدر، واستشعار الصبر، واحتمال سوء أدب العامة، وإفهام الجاهل، وإرضاء المحكوم عليه، والممنوع مما يسأل بتعريفه من أين منع، والناس لا يجمعون على الرضا إذا جُمع لهم كل أسباب الرضا؛ فكيف إذا مُنعوا بعضها، ولا يعذرون العذر الواضح؛ فكيف بالعذر الملتبس، وأخوك من صَدَقك وارتمض[٤] لك لا من تابعك على هواك ثم غاب عنك بغير ما أحضرك.

---

(١) **أبو محمد**، هو: صاحب الكتاب ابن قتيبة.

(٢) **الوكعاء**: الحمقاء. انظر: القاموس المحيط، مادة [وكع].

(٣) **معكومًا**: العكوم المنصرف. وما عنده عكوم أى منصرف. انظر: لسان العرب، مادة [عكم].

(٤) **ارتمض** : حزن ، ارتمضت لفلان: حزنت له. انظر: لسان العرب، مادة [رمض].

[١١٥] **قال زياد لرجل يشاوره:** لكل مستشير ثقة، ولكل سر مستودع، وإن الناس قد أبدعت بهم خصلتان: إضاعة السر، وإحراج النصيحة.

وليس موضع السر إلا أحد رجلين: رجل آخرة يرجو ثواب الله، أو رجل دنيا له شرف فى نفسه وعقل يصون به حسبه وقد عجمتهما لك.

[١١٦] **وكتب بعض الكتاب:** اعلم أن الناصح لك المشفق عليك؛ من طالع لك ما وراء العواقب، برؤيته ونظره، ومَثَّلَ لك الأحوال المخوفة عليك، وخلط لك الوعر بالسهل من كلامه ومشورته؛ ليكون خوفك كفئًا لرجائك، وشكرك إزاء النعمة عليك.

وإن الغاش لك الحاطب[1] عليك؛ من مد لك فى الاغترار، ووطأ لك مِهاد الظلم، وجرى معك فى عنانك، منقادًا لهواك.

[١١٧] **وفى فصل:** إنى وإن كنت ظنينًا عندك فى هذه الحال؛ ففى تدبرك صفحات هذه المشورة ما دلك على أن مخرجها عن صدق وإخلاص.

[١١٨] **إبراهيم بن المنذر قال:** استشار زياد بن عبيد الله الحارثى، عبيد الله بن عمر[2]، فى أخيه أبى بكر أن يوليه القضاء؛ فأشار عليه به، فبعث إلى أبى بكر فامتنع عليه، فبعث زياد إلى عبيد الله يستعين به على أبى بكر.

فقال أبو بكر لعبيد الله: أنشدك بالله أترى لى أن أَلِيَ القضاء؟

قال: اللهم لا.

قال زياد: سبحان الله، استشرتك، فأشرت على به، ثم أسمعك تنهاه.

---

(١) الحاطب: الذى لا يَزُمُّ لسانه، ويهجو الناس ويذمهم . انظر: لسان العرب، مادة [حطب].

(٢) عبيد الله بن عمر؛ هو: ابن حفص بن عاصم، ابن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، العدوى المدنى، أبو عثمان أحد الفقهاء السبعة والعلماء الأثبات بالمدينة ومن أشراف قريش فضلاً وعلمًا. توفى سنة (١٤٧هـ). انظر: تهذيب التهذيب (٣٨/٧)، تذكرة الحفاظ (١٥١/١).

قال: أيها الأمير استشرتني، فاجتهدت لك رأيي، ونصحتك، واستشارني فاجتهدت له رأيي ونصحته.

[١١٩] **وقيل:** كان نصر بن مالك[1]، على شُرط أبي مسلم، فلما جاءه إذن أبو جعفر في القدوم عليه، استشاره، فنهاه عن ذلك وقال: لا آمنه عليك.

قال له أبو جعفر لما صار إليه: استشارك أبو مسلم في القدوم عليَّ، فنهيته.

قال: نعم.

قال: وكيف ذاك.

قال: سمعت أخاك إبراهيم[2] الإمام، يحدث عن أبيه محمد بن علي[3] قال: لا يزال الرجل يزاد في رأيه، ما نصح لمن استشاره. وكنت له كذلك، وأنا اليوم لك كما كنت له.

[١٢٠] **قال معاوية:** لقد كنت ألقى الرجل من العرب أعلم أن في قلبه عليَّ ضغنًا فأستشيره، فيثير إلي منه بقدر ما يجده في نفسه، فلا يزال يوسعني شتمًا وأوسعه حلمًا، حتى يرجع صديقًا أستعين به فيعينني، فأستنجده فينجدني.

---

(١) نصر بن مالك؛ هو: الخزاعي ، من أمراء المهدى العباسي تولى شرطة المهدى . توفي ببغداد سنة (١٦١هـ). انظر: النجوم الزاهرة (٣٩/٢)، والكامل لابن الأثير (١٩/٥).

(٢) إبراهيم؛ هو: ابن محمد بن علي بن عبد الله ابن العباس بن عبد المطلب؛ زعيم الدعوة العباسية قبل ظهورها. أوصى له أبوه بالإمامة، كان فصيح اللسان راجح العقل يروى الحديث والأدب توفي سنة (١٣١هـ) . انظر: تاريخ الطبرى (١٣٢/٩)، الكامل لابن الأثير (١٥٨/٥).

(٣) محمد بن علي؛ هو: ابن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمي، القرشي، أول من قام بالدعوة العباسية، وهو والد السفاح والمنصور، كان عاقلاً، حليمًا، مات بالشراة (١٢٥هـ). انظر: وفيات الأعيان (٤٥٠/١)، حلية الأولياء (٨٠/٣).

[١٢١] **وقرأت فى كتاب أبرويز**[1]؛ إلى ابنه شيرويه وهو فى حبسه: عليك بالمشورة فإنك واجد فى الرجال من ينضج لك الكي، ويحسم عنك الداء، ويخرج لك المستكن، ولا يدع لك فى عدوك فرصة إلا انتهزها ولا لعدوك فيك فرصة إلا حصَّنها، ولا يمنعك شدة رأيك فى ظنك، ولا علُو مكانك فى نفسك من أن تجمع إلى رأيك رأى غيرك، فإن أَحْمَدتَ اجتنيت، وإن ذممت نفيت؛ فإن فى ذلك خصالاً، منها: أنه إن وافق رأيك ازداد رأيك شدة عندك، وإن خالف رأيك عرضته على نظرك، فإن رأيته معتليًا لما رأيت قبلت، وإن رأيته متضعًا[2] عنه استغنيت، ومنها: أنه يجدد لك النصيحة ممن شاورت وإن أخطأ، ويمحض لك مودته وإن قصر.

[١٢٢] **وفى كتاب للهند:** من التمس من الإخوان الرخصة عند المشُورة، ومن الأطباء عند المرض، ومن الفقهاء عند الشبهة؛ أخطأ الرأى وازداد مرضًا وحمل الوزر.

[١٢٣] **وفى آداب ابن المقفع:** لايُقْذَفنَّ فى رُوعك أنك إن استشرت الرجال ظهر للناس منك الحاجة إلى رأى غيرك، فيقطعك ذاك عن المشاورة، فإنك لا تريد الرأى للفخر به؛ ولكن للانتفاع به.

ولو أنك أردت الذكر كان أحسنُ الذكر عند الألبَّاء أن يقال: لا ينفرد برأيه دون ذوى الرأى من إخوانه.

[١٢٤] **قال عمر بن الخطاب:** الرأى الفرد كالخيط السحيل[3]، والرأيان كالخيطين المبرمين، والثلاثة مرار[4] لا يكاد ينتقض[5].

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) متضعًا، الوَضْعُ: ضد الرفع، والوضيع الدنىء من الناس، والضعة خلاف الرِّفعة فى القدر. انظر: لسان العرب ، مادة [وضع].

(٣) السحيل: الخيط غير المفتول. انظر: لسان العرب، مادة [سحل].

(٤) مرار: جمع مرير، مريرة وهى : الحبال المفتولة على أكثر من طاق. انظر: لسان العرب، مادة [مرر].

(٥) ذكره صاحب كنز العمال (٣/٧٩٠) وعزاه إلى الدينورى.

[١٢٥] **وقال أشجع**[1] :

رأىٌ سـرى وعُيـونُ النَّـاس هاجعـةٌ مـا أخَّـرَ الحـزمَ رأىٌ قـدَّمَ الحـذَرا

[١٢٦] **وقيل:** كتب الحجاج إلى المهلب يستعجله في حرب الأزارقة[2].

فكتب إليه المهلب: إن من البلاء أن يكون الرأى لمن يملكه دون من يبصره.

[١٢٧] **وقيل لعبد الله بن وهب الراسبى**[3]؛ يوم عقدت له الخوارج[4]: تكلم.

فقال: ما أنا والرأى الفطير[5] والكلام القضيب[6].

[١٢٨] **وقال أيضًا:** خمير الرأى خيرٌ من فطـيره، ورب شـيء غابُّـه[7] خـير من طريِّه، وتأخيره خير من تقديمه.

[١٢٩] **وقيل لآخر:** تكلم، فقال: ما أشتهى الخبز إلا بائتًا.

---

(١) سبقت ترجمته [٥٥].

(٢) الأزارقة: صنف من الخوارج، وهم أصحاب نافع بن الأزرق الذين خرجوا معه من البصرة إلى الأهواز فغلبوا عليها وعلى كورها. انظر: الملل والنحل (١/١١٨).

(٣) عبد الله بن وهب الراسبى، هو: الأزدى، من أئمة الإباضية، كان ذا علم ورأى وفصاحة وشجاعة، شهد فتوح العراق، وكان مع على ﷺ في حروبه. توفى سنة (٣٨هـ). انظر: الكامل للمبرد (٢/١١٩).

(٤) الخوارج: هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين على ﷺ حين جرى أمر المحكمين. انظر: الملل والنحل (١/١١٤).

(٥) الفطير: الرأى الفطير: كل شيء أدركته عن إدراكه فهو فطير. ويقال: شر الرأى الفطير. انظر: لسان العرب، مادة [فطر].

(٦) القضيب: الكلام القضيب: الكلام من غير تهيئة أو إعداد له. انظر: لسان العرب، مادة [قضب].

(٧) غابُّه :بائته، والمقصود هنا أن التمهل فى الشيء خير من التعجل فيه. انظر: لسان العرب، مادة [غبب].

[١٣٠] **كان ابن هبيرة**[(١)] **يقول:** اللهم إنى أعوذ بك مِنْ صحبةِ مَنْ غَايَتُهُ خاصةُ نَفسِهِ، والانحطاطُ فى هوى مستشيره، وممن لا يلتمس خالص مودتك إلا بالتأتى لموافقة شهوتك، ومن يساعدك على سرور ساعتك ولا يفكر فى حوادث غدك.

[١٣١] **وكان يقال:** من أعطى أربعًا لم يمنع أربعًا:

من أعطى الشكر لم يمنع المزيد.

ومن أعطى التوبة لم يمنع القبول.

ومن أعطى المشورة لم يمنع الصواب.

ومن أعطى الاستخارة لم يمنع الخيرة.

[١٣٢] **وكان يقال:** لا تستشر معلمًا، ولا راعى الغنم، ولا كثير القعود مع النساء.

[١٣٣] **وكان يقال:** لا تشاور صاحب حاجة يريد قضاءها، ولا جائعًا، ولا حاقن[(٢)] بول.

[١٣٤] وقالوا: لا رأى لحاقن، ولا لحازق[(٣)]؛ وهو الذى ضغطه الخف، ولا لحاقب[(٤)]؛ وهو الذى يجد رزًّا[(٥)] فى بطنه.

[١٣٥] **وقالوا أيضًا:** لا تشاور من لا دقيق عنده.

[١٣٦] **وقيل:** كان بعض ملوك العجم إذا شاور مرازبته[(٦)]؛ فقصروا فى الرأى دعا الموكلين بأرزاقهم فعاقبهم.

---

(١) سبقت ترجمته فى [٧٦].

(٢) حاقن: محبوس أو له بول شديد. انظر: لسان العرب، مادة [حقن]

(٣) حازق: وهو الضيق الرأى من الرجال. انظر: لسان العرب، مادة [حزق].

(٤) حاقب: الحاقب هو الذى احتاج إلى الخلاء، فلم يتبرَّز. انظر: لسان العرب، مادة [حقب].

(٥) رزًّا: الرز: الصوت فى البطن من القرقرة ونحوها. انظر: لسان العرب، مادة [ر ز ا].

(٦) المرازبة: الفرسان الشجعان. انظر: لسان العرب، مادة [ر ز ب].

فيقولون: تخطئ مَرازِبَتكَ وتعاقبنا.

فيقول: نعم، إنهم لم يخطئوا إلا لتعلق قلوبهم بأرزاقهم، وإذا اهتموا أخطأوا.

[١٣٧] **وكان يقال:** إن النفس إذا أحرزت قوتها ورزقها اطمأنت.

[١٣٨] **وقال كعب**(١): لا تستشيروا الحاكة(٢)، فإن الله سلبهم عقولهم ونزع البركة من كسبهم.

[١٣٩] **قال الشاعر:**

وأنْفَع من شاورتَ من كان ناصحًا ... شفيقًا فأبْصر بعدهَا مَن تُشَاوِر

وليسَ بشافيك الشفيقُ ورأيه ... غريب ولا ذو الرأى والصدرُ واغر

[١٤٠] **ويقال:** علامة الرشد أن تكون النفس مشتاقة.

[١٤١] **وقال آخر:**

إذا بلغ الرأى النصيحة فاستعن ... برأى نصيح أو نصيحة حازم

ولا تحسب الشورى عليك غضاضة ... فإن الخوافى رافدات القوادم(٣)

وخل الهوينا للضعيف ولا تكن ... نؤوما فإن الحزم ليس بنائم

وأذن من القربى المقرب نفسه ... ولا تشهد الشورى امرأ غير كاتم

وما خير كف أمسك الغُلّ أختها ... وما خير سيف لم يؤيد بقائم

فإنك لن تستطرد الهمَّ بالمنى ... ولن تبلغ العليا بغير المكارم

[١٤٢] **قال أعرابى:** ما غبنت(٤) قط حتى يغبن قومى.

---

(١) سبقت ترجمته [٦].

(٢) الحاكة: من الحكة: هى لعبة كان أصحابها يأخذون عظمًا فيحكونه حتى يبيض ثم يرمونه بعيدًا فمن أخذه فهو الغالب. انظر: لسان العرب، مادة [حكك].

(٣) القوادم: مقاديم الطير وهى مقاديم ريشه، وهى عشر فى كل جناح. انظر: لسان العرب، مادة [قدم].

(٤) غبنت: غلطت، غبن الشيء: نسيه أو أغفله أو غلط فيه. انظر: القاموس المحيط، مادة [غبن].

قيل: وكيف ذلك؟

قال: لأفعل شيئًا حتى أشاورهم.

[١٤٣] **وقيل لرجل من بنى عبس**: ما أكثر صوابكم؟

فقال: نحن ألف رجل، وفينا حازم واحد ونحن نطيعه، فكأنا ألف حازم.

[١٤٤] **ويقال**: ليس بين الملك وبين أن يملِكَ رعيته أو تملكه؛ إلا حزم أو توانٍ.

[١٤٥] **وقال القطامى[١] فى معصية الناصح**:

ومعصية الشفيق عليك مما ... يزيدك مرة منه استماعًا

وخير الأمر ما استقبلت منه ... وليس بأن تتبعه اتباعَا

كذاك وما رأيت الناس إلا ... إلى ما جر غاويهم سراعًا

تراهم يغمزون من استركوا ... ويجتنبون من صدق المصاعا[٢]

[١٤٦] **وقال آخر، أنشدنيه الرياشى[٣]**:

ومولى عصانى واستبد برأيه ... كما لم يطع بالبقتين قصير

فلما رأى أن غب أمرى وأمره ... وولت بأعجاز الأمور صدور[٤]

تمنى بئيسًا أن يكون أطاعنى ... وقد حدثت بعد الأمور أمور

---

(١) عُمير بن شييم بن عمرو بن عباد، أبو سعيد، شاعر غزل نحل من الطبقة الثانية وهو أول من لقب صريع الغوانى. توفى سنة (١٣٠هـ). انظر: الشعر والشعراء ص(٢٧٧) طبقات الشعراء ص (١٢١).

(٢) استركوا: اسْتُضْعِفُوا. المصاع: المجالدة والمضاربة، وماصع قرنه مماصعة ومصاعًا. جالده بالسيف. انظر: لسان العرب مادة [ركك ، مصع].

(٣) الرياشى؛ هو: العباس بن الفرج بن على بن عبد الله، البصرى، أبو الفضل، أحد علماء اللغة، راوية عارف بأيام العرب، وهو من أهل البصرة، من آثاره : ما اختلفت أسماؤه من كلام العرب، توفى سنة (٢٥٧هـ). انظر: وفيات الأعيان (٢٤٦/١)، تهذيب التهذيب (١٢٤/٥)، تاريخ بغداد (١٣٨/١٢).

(٤) غبَّ: بعُدَ. انظر: لسان العرب، مادة [غبب].

[١٤٧] **وقال سبيع لأهل اليمامة** : يا بنى حنيفة[1] بُعْدًا كما بَعُدَتْ عاد وثمود، أما والله لقد أنبأتكم بالأمر قبل وقوعه، كأنى أسمع جرسه وأبصر غيبه؛ ولكنكم أبيتم النصيحة فاجتنيتم الندم.

وأصبحتم وفى أيديكم من تكذيبى التصديق ومن تهمتى الندامة، وأصبح فى يدى من هلاككم البكاء ومن ذلكم الجزع، وأصبح ما فات غير مردود وما بقى غير مأمون.

وإنى لما رأيتكم تتهمون النصيح، وتسفهون الحليم، استشعرت منكم اليأس، وخفت عليكم البلاء.

والله ما منعكم الله التوبة ولا أخذكم على غرة، ولقد أمهلكم حتى مَلَّ الواعظ وَهْنَ الموعوظ، وكنتم كأنما يُعْنَى بما أنتم فيه غيركم.

[١٤٨] **وأشار رجل على صديق له برأى، فقال له:** قد قلت ما يقول الناصح الشفيق الذى يخلط حلو كلامه بمره، وحزنه بسهله، ويحرك الإشفاق منه ما هو ساكن من غيره،وقد وعيت النصح فيه وقبلته؛ إذ كان مصدره من عند من لا يشك فى مودته وصافى غيبه، وما زلت بحمد الله إلى كل خير طريقاً منهجا ومَهْيَعًا[2] واضحًا.

[١٤٩] **وكتب عثمان إلى علىّ حين أحيط به:** أما بعد؛ فإنه قد جاوز الماء الزُّبى[3]، وبلغ الحزام الطِّبيين[4]، وقد تجاوز الأمر بى قدره.

---

(١) بنو حنيفة؛ بطن من الخرشة من الكعابنة، من بنى صخر إحدى قبائل منطقة بادية شرقى الأردن. انظر: معجم القبائل (٣١٢/١).

(٢) المهيع: الطريق الواسع الواضح. انظر: القاموس المحيط، مادة [مهع].

(٣) الزُّبى؛ جمع زُبْية: الرابية التى لا يعلوها الماء. انظر: القاموس المحيط، مادة [زبى].

(٤) الطبيين: جاوز الحزام الطبيين، اشتد الأمر وتفاقم فهى طبية وطبواء. انظر: القاموس المحيط، مادة [طبى].

[١٥٠] وقيل:

فإن كنت مأكولاً فكن خير آكل وإلا فأدركني ولما أمزّق

[١٥١] وقال أوس بن حجر[1]:

وقد أعتِب ابن العم إن كنت ظالماً وأغفر عنه الجهل إن كان أجهلا
وإن قال لي ماذا ترى يستشيرني يجدني ابن عم مخلط الأمر مِزْيلا
أقيم بدار الحزم ما دام حزمها وأحر إذا حالت بأن أتحولا
وأستبدل الأمر القوى بغيره إذا عَقْد مأفون الرجال تحلّلا[2]

[١٥٢] وكان يقال: أناة في عواقبها درك، خير من معاجلة في عواقبها فوت.

[١٥٣] وأنشدني الرياشي:

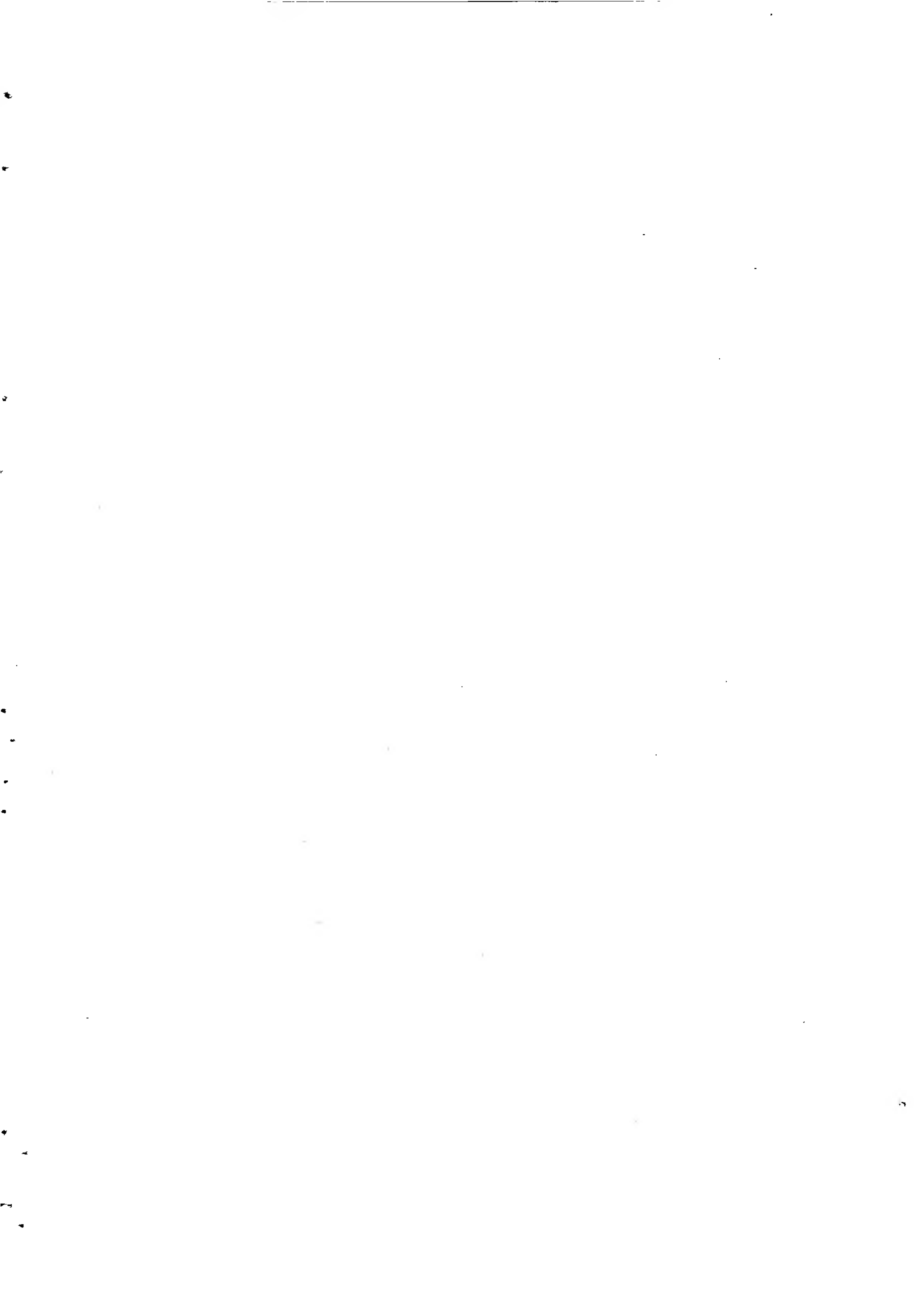
وعاجز الرأى مضياع لفرصته حتى إذا فات أمر عاتب القدرا

[١٥٤] وكان يقال: رو بحزم فإذا استوضحت فاعزم.

---

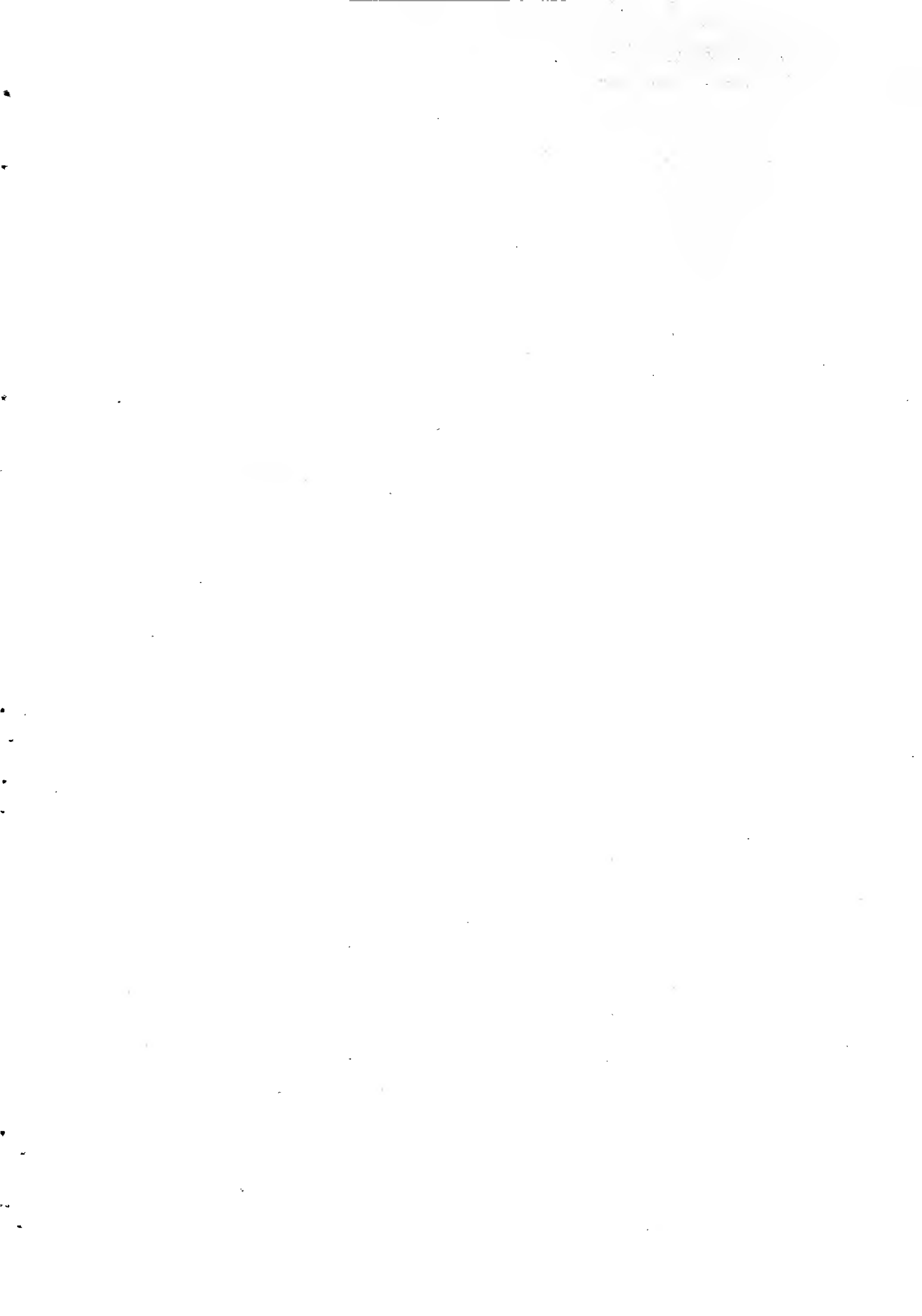
(١) أوس بن حجر، هو: ابن مالك، التميمى، أبو شريح، أحد شعراء الجاهلية، وكان شعره يتميز بالحكمة والرقة، كان غزلاً مغرمًا بالنساء. توفى سنة (٢ ق هـ). انظر: الأغانى (١١/٧٠)، طبقات فحول الشعراء ص (٨١).

(٢) مأفون: هو الذى يعجبك ولا خير فيه. انظر: القاموس المحيط، مادة [أفن].



الفصل الخامس

الإصابة بالظن والرأى



الإصابة بالظن والرأى

[١٥٥] **كان ابن الزبير يقول:** لا عاش بخير ما لم ير برأيه ما لم ير بعينه.

[١٥٦] **وسئل بعض الحكماء:** ما العقل؟

فقال: الإصابة بالظن، ومعرفة ما لم يكن بما كان.

[١٥٧] **وكان يقال:** كفى مخبرًا عما مضى ما بقى، وكفى عِبرًا لأولى الألباب ما جربوا.

[١٥٨] **وكان يقال:** كل شيء محتاج إلى العقل، والعقل محتاج إلى التجارب.

[١٥٩] **ويقال:** من لم ينفعك ظنه لم ينفعك يقينه.

وقال أوس بن حجر : نّ كأنْ قد رأى وقد سَمِعا

الألمعى[1] الذى يَظُنُّ لك الظْـ ـنَّ كأنْ قد رأى وقد سَمِعا

[١٦٠] **وقال آخر:**

وأبغى صواب الظن أعلم أنه إذا طاش ظن المرء طاشت مقاديره

[١٦١] **وقال على بن أبى طالب صلوات الله عليه فى عبد الله بن عباس:** إنه لينظر إلى الغيب من ستر رقيق.

[١٦٢] **ويقال:** ظن الرجل قطعةٌ من عقله.

[١٦٣] **ويقال:** الظنون مفاتيح اليقين.

[١٦٤] **وقال بعض الكتاب:**

أصونك أن أظن عليك ظنا لأن الظن مفتاح اليقين

---

(١) الألمعى : الخفيف الظريف. انظر: لسان العرب، مادة [لمع].

[١٦٥] **وقال الكميت:**

مثل التدبر في الأمر ائتنافُكَه ... والمرء يعجز في الأقوام لا الحيل[1]

[١٦٦] **وقال آخر:**

وكنتُ متى تُهْزَز لخطب تُغَشِّه ... ضرائبَ أمضى من رقاق المضارب[2]

تَجلَّلَته بالرأى حتى أريته ... به ملء عينيه مكان العواقب

[١٦٧] **وقال آخر يصف عاقلاً:**

بصير بأعقاب الأمور كأنما ... يرى بصواب الرأى ما هو واقع

[١٦٨] **وقال آخر في مثله:**

عليم بأعقاب الأمور برأيه ... كأن له في اليوم عينًا على الغد

[١٦٩] **وقال آخر يصف عاقلاً:**

بصير بأعقاب الأمور كأنما ... يخاطبه من كل أمرٍ عواقبه

[١٧٠] **وقال جثامة بن قيس يهجو قومًا:**

أنتم إناس عظام لا قلوب لكم ... لا تعلمون أجاء الرشد أم غابا

وتبصرون رؤوس الأمر مقبلة ... ولا ترون وقد ولين أذنابَا

وقلما يفجأ المكروه صاحبه ... إذا رأى لوجوه الشر أسبابًا

[١٧١] **وقال آخر:**

فلا يحذرون الشر حتى ... ولا يعرفون الأمر إلا تدبرا

[١٧٢] **ويقال:** ظن العاقل كهانة[3].

[١٧٣] **وفي كتاب للهند:** الناس حازمان وعاجز.

---

(١) ائتنافُكَه؛ من ائتنف الأمر؛ أى أخذ أوله وابتداه. انظر: لسان العرب، مادة [أنف].

(٢) تهزز: تحريك الشيء كما تهز القناة فتضطرب وتهتز. انظر: لسان العرب، مادة [هزز].
والمضارب، مفردها مضرب: كالسيف ونحوه وهو أيضا من لا يعرف له أصل.

(٣) كهانة : تكهُّن وقضاءٌ بالغيب. انظر: لسان العرب، مادة [كهن].

فأحد الحازمين: الذى إذا نزل به البلاء لم يبطر، وتلقاه بحيلته ورأيه حتى يخرج منه.

وأحزم منه: العارف بالأمر إذا أقبل فيدفعه قبل وقوعه.

والعاجز: فى تردد وتئن حائر بائر[1]، لا يأتمر راشدًا ولا يطيع مرشدًا.

[١٧٤] **وقال الشاعر:**

وإنــى لأرجــو اللـــه حتــى كــأننى	أرى بجميـل الظــن مـا اللـه صـانع

[١٧٥] **وقال آخر:**

وغِـــرَّة مـــرَّة مـــن فعـــل غِـــرّ	وغِـــرّة مرتيـــن فعـــالُ مُـــوق[2]
فـــلا تفـــرح بـــأمر قـــد تدنـــى	ولا تـــأيس مـــن الأمـــر السّـــحِيق
فـــإن القـــرب يبعـــدُ بعـــد قـــرب	ويدنـــو البعـــد بـــالقَدَر المسُـــوق[3]
ومـــن لـــم يتـــق الضَّحْضَـــاح زلَّـــتْ	بـــه قدمـــاه فـــى البحـــر العميـــق[4]
ومـــا اكتســـب المحـــامدَ طالبوهـــا	بمثـــل البِشْـــر والوجـــه الطَّليـــق

[١٧٦] **وقال مروان بن الحكم[5] لحبيش بن دلجة[6]**: أظنك أحمق.

قال: أحمق ما يكون الشيخ إذا عمل بظنه.

[١٧٧] **وقيل**: نقش رجل على خاتمه: الخاتم خير من الظن.

[١٧٨] **ومثله**: طِينةٌ خير من ظَنَّة.

---

(١) بائر: الرجل الفاسد الهالك الذكاء الذى لا خير فيه. انظر: القاموس المحيط، مادة [بور].

(٢) موق: النمل له أجنحة والغبار والحمق ج أمواق. غرة: الغرة بياض فى الجبهة. غر: مغرور. انظر: القاموس المحيط، مادة [موق ، غرر].

(٣) المسوق: المساق. ساق الإبل وغيرها يسوقها سوقًا. انظر: القاموس المحيط، مادة [سوق].

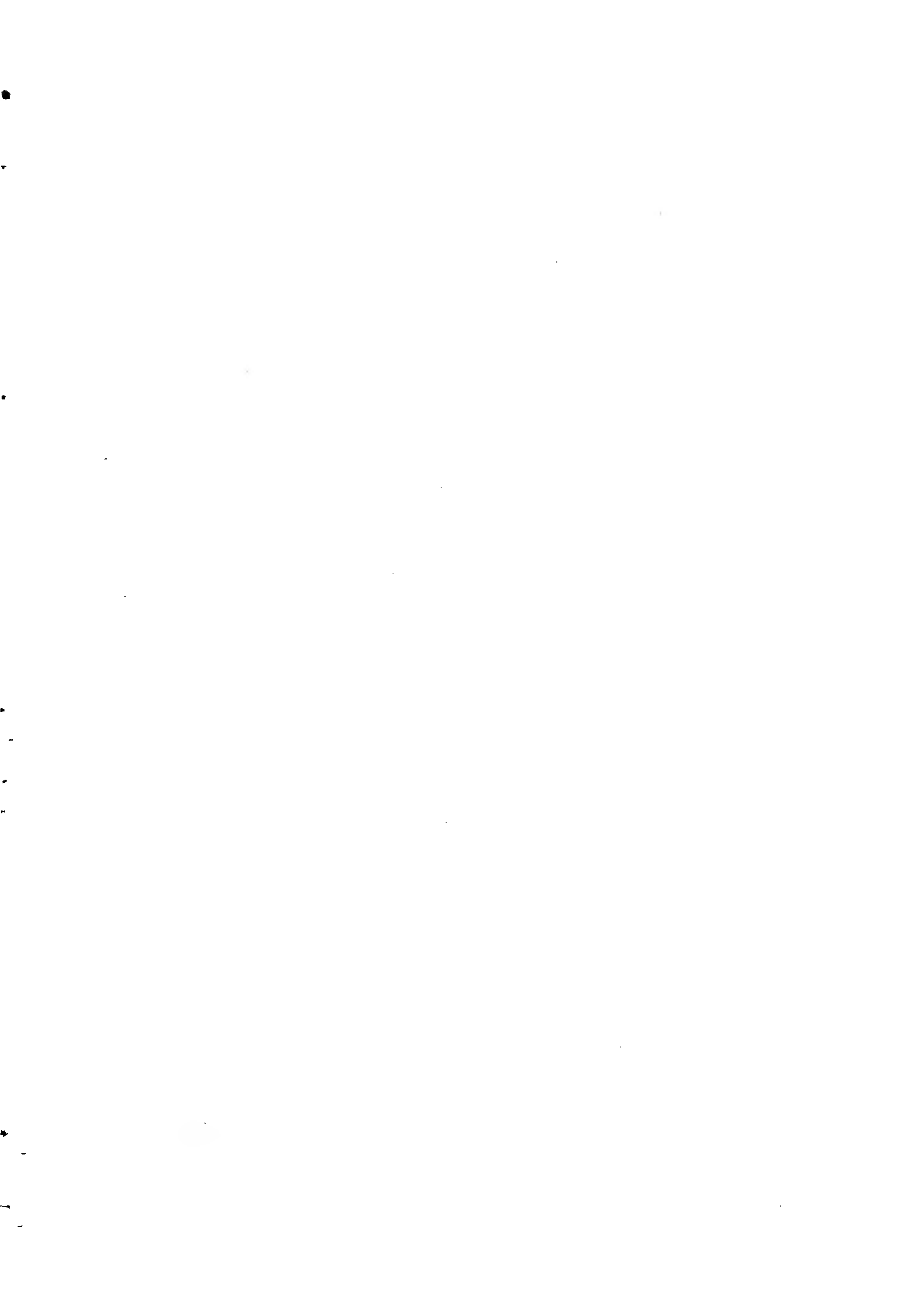
(٤) الضحضاح: الماء اليسير. انظر: القاموس المحيط، مادة [ضحضح].

(٥) مروان بن الحكم، هو: بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس، أبو عبد الملك، من خلفاء بنى أمية، وهو أول من ملك من بنى الحكم بن أبى العاص، هو أول من ضرب الدنانير الشامية وكتب عليها. ﴿قل هو الله أحد﴾ توفى سنة (٦٥هـ). الإصابة (٦/٢٠٣)، تاريخ الطبرى (٧/٣٤).

(٦) حبيش بن دلجة، هو: القينى ، من قادة الجيوش فى العصر الأموى، شهد صفين مع معاوية، ولاه القيادة مروان بن الحكم. توفى سنة (٦٥هـ). انظر: النجوم الزاهرة (١/١٦٨)، الكامل لابن الأثير (٣/٧٤).

الفصل السادس

اتبــاع الهــوى



اتبـــاع الهـــوى

[١٧٩] **كان يقال:** الهوى شريك العمى.

[١٨٠] **وقال عامر بن الظرب**(١): الرأى نائم والهوى يقظان، ولذلك يغلب الرأى الهوى(٢).

[١٨١] **وقال ابن عباس:** الهوى إله معبود. وقرأ ﴿**أفرأيت من اتخذ إلهه هواه**﴾[الجاثية:٢٣].

[١٨٢] **وقال هشام بن عبد الملك ولم يقل غيره :**

إذا أنت لم تعص الهوى قادك الهوى　　إلى بعض ما فيه عليك مقال

[١٨٣] **وقال بزرجمهر:** إذا اشتبه عليك أمران فلم تدر فى أيهما الصواب، فانظر أقربهما إلى هواك فاجتنبه.

[١٨٤] **وقيل:** كان عمرو بن العاص(٣) صاحب عمارة بن الوليد(٤) إلى بلاد الحبشة، ومع عمرو امرأته فوقعت فى نفس عمارة، فدفع عمرًا فى البحر فتعلق بالسفينة وخرج.

فلما ورد بلاد الحبشة سعى عمرو بعمارة إلى النجاشي وأخبره أنه يخالف إلى بعض نسائه، فدعا النجاشى بالسواحر(٥)، فنفخن فى إحليله(٦)، فهام مع الوحش.

---

(١) عامر بن الظرب بن عمرو بن عياذ العدوانى، ذو الحلم من كبار الحكماء الجاهلية، كان خطيبًا فصيحًا، كان إمام مضر وفارسها، كانت العرب لا تعدل بفهمه فهمًا، ولا بحكمه حكمًا. انظر: البيان والتبيين (٢١٣/١)، الأعلام (٢٥٢/٣).

(٢) الهوى: هوى النفس ويكون مداخل الشر. انظر: لسان العرب، مادة [هوى].

(٣) عمرو بن العاص، هو: ابن وائل بن هاشم بن سعيد، أبو عبد الله، أمير مصر، أسلم قبل الفتح، لما أسلم كان النبى ﷺ يقربه منه ويدنيه لمعرفته وشجاعته، توفى سنة (٤٣هـ). انظر: الإصابة (٥٣٧/٤)، أسد الغابة (٣٩٧١).

(٤) عمارة بن الوليد بن سويد بن زيد بن حرام، من جذام، كانت مساكن بنيه بالحوف من شرقية مصر، ويعرفون ببنى عمارة. انظر: سبائك الذهب ص (٤٥)، الأعلام (٣٨/٥).

(٥) السواحر: الساحر العالم. انظر: لسان العرب، مادة [سحر].

(٦) إحليله: الإحليل مخرج البول من ذكر الإنسان واللبن من الثدى. انظر: القاموس المحيط، مادة [حلل].

وقال عمرو في ذلك:

تعلم عمارًا أن من شر شيمة ... لمثلك أن يدعى ابن عم له ابنما
وإن كنت ذا بردين أحوى مُرَجَّلا ... فلست براء لابن عمك مَحْرَمَا[1]
إذا المرء لم يترك طعاماً يحبه ... ولم يعص قلبًا غاويًا حيث يمَّمَا
قضى وطرًا منه يسيرًا وأصبحت ... إذا ذُكرت أمثاله تملأ الفما

[١٨٥] وقال حاتم طيء في مثله:

وإنك إن أعطيت بطنك سُؤلَه ... وفرجك نالا مُنتهى الذم أجمعا

[١٨٦] وقال آخر:

جار الجنيد على محتكما ... جهلاً ولستُ بموضع الظلم[2]
أكل الهوى حججي ورُبّ هوى ... مما سيأكل حجة الخصم

[١٨٧] قال أعرابي: الهوى هوان، ولكن غلط باسمه.

[١٨٨] وقال الزبير بن عبد المطلب[3]:

وأجْتَنِبُ المقاذع حيث كانت ... وأترك ما هَويتُ لما خشيتُ[4]

[١٨٩] وقال البريق الهذلي:

أبنْ لي ما ترى والمرء تأبى ... عزيمته ويغلبه هواه
فيعمى ما يرى فيه عليه ... ويحسب ما يراه لا يراه

[١٩٠] وكان يقال: أخوك من صَدَقك، وأتاك من جهة عقلك لا من جهة هواك.

---

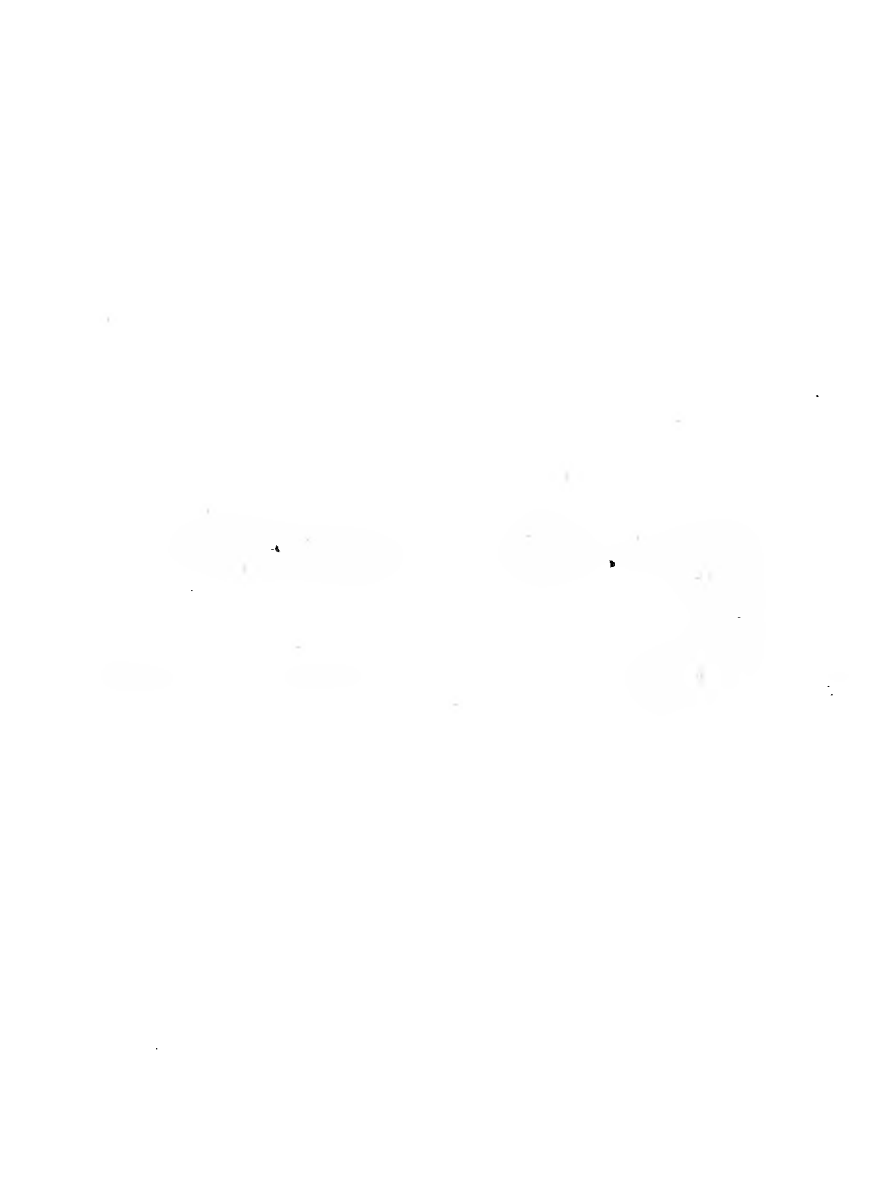
(١) بردين: كسائين مثنى بُردة. والمرجل: ضرب من ثياب الوشي فيه صور المراجل . انظر: لسان العرب، مادة [برد، رجل].

(٢) الجنيد: الجند العسكر والأعوان. انظر: القاموس المحيط، مادة [جند].

(٣) الزبير بن عبد المطلب، هو: ابن هاشم، أكبر أعمام النبي ﷺ في طفولته، وكان يعد من شعراء قريش. انظر: الروض الآنف (١/٧٨)، سمط اللآلىء ص (٧٤٣).

(٤) المقاذع، مفردها قذع: الخنى والفحش. انظر: لسان العرب، مادة [قذع].

الفصل السابع
السر كتمانه وإعلانه



السر وكتمانه وإعلانه

[١٩١] **حدثنى أحمد بن الخليل، قال:** حدثنا محمد بن الحصيب، قال: حدثنى أوس بن عبد الله بن بريدة، عن أخيه سهل، عن بريدة، قال: قال رسول الله ﷺ **«استعينوا على الحوائج بالكتمان، فإن كل ذى نعمة محسود»**[١].

[١٩٢] **وكانت الحكماء تقول:** سرك من دمك.

[١٩٣] **والعرب تقول:** من ارتاد لسره موضعًا؛ فقد أذاعه.

[١٩٤] **حدثنى** عبد الرحمن بن عبد الله بن قريب، عن عمه الأصمعى، قال: أخبرنى بعض أصحابنا، قال: دخل ابن أبى محجن الثقفى[٢] على معاوية.

فقال له معاوية: أبوك الذى يقول:

إذا مُتُّ فادفنى إلى أصل كَرْمة ... تُروِّى عظامى بعد موتى عُروقَها[٣]

ولا تدفِننّى فى الفَلاة فإننى ... أخاف وراءَ الموت أن لا أذوقها[٤]

فقال ابن أبى محجن: لو شئت ذكرت أحسن من هذا من شعره.

فقال معاوية: وما ذاك؟

قال قوله :

لا تسألى القومَ ما مالى وما حسبى ... وسائلى القوم ما حزمى وما خلقى

القوم أعلم أنى من سراتهم ... إذا تطيش يد الرعديدة الفرق[٥]

---

(١) الحديث: أخرجه أبو نعيم فى الحلية (٥/٢١٥)، وابن عبد البر فى التمهيد (١٠/١٥٢).

(٢) أبو محجن الثقفى؛ هو: عمرو بن حبيب بن عمير بن عوف أحد الأبطال الشعراء الكرماء فى الجاهلية والإسلام، أسلم سنة ٩هـ، قد روى عدة أحاديث، أبلى بلاءً حسنًا يوم القادسية توفى سنة ٣٠هـ. انظر: الإصابة (٧/٢٩٨).

(٣) كرمة: الكرم وهو العنب. انظر: لسان العرب، مادة [كرم].

(٤) الفلاة: التى لا ماء بها ولا أنيس. انظر: لسان العرب، مادة [فلو].

(٥) سراتهم: أوسطهم ويقال فلان فى سِر قومه أى فى أفضلهم وفى الصحاح فى أوسطهم. الرعديدة: جبان يرعد عند القتال جبنًا. انظر: لسان العرب، مادة [سرر ،رعد].

أعطِي السِّنان غداة الـرَّوع حِصَّتـه　　وعـامل الرمـح أرويـه مـن العلـق[1]

قـد أركـب الهـول مسـدولاً عسـاكره　　وأكتـم السـر فيـه ضربـة العنـق

[١٩٥] وأنشدني للصلتان العبدى[2]:

وسـرك مـا كـان عنـد امـرىء　　وسـر الثلاثـة غـير الخفـى

[١٩٦] وكان على بن أبي طالب رضي الله عنه يتمثل بهذين البيتين[3]:

فـلا تفـش سِـرَّكَ إلاَّ إليـكَ　　فـإن لكـل نصيـح نصيحَـا

وإنـى رأيـتُ غـواة الرِّجـال　　لا يـتركون أديمـا صحيحَـا[4]

[١٩٧] وقال الشاعر :

ومراقبيـن تكاتمـا بهواهمـا　　جعلا القلـوب لمـا تجـن قبـورًا[5]

يتلاحظـان تلاحظـا فكأنمـا　　يتناسـخان مـن الجفـون سـطورًا

[١٩٨] وقال مسكين الدارمى[6] :

أواخى رجالاً لست أطلـع بعضهـم　　على سر بعض غـير أنـى جماعهـا

يظلـون شـتى فـى البـلاد وسـرهم　　إلى صخرة أعيا الرجال انصداعهـا

[١٩٩] وقال :

ولو قدرت علـى نسيان مـا اشتملت　　منى الضلـوع مـن الأسـرار والخبـر

لكنـت أول مـن ينسـى سـرائره　　إذ كنت مـن نشرها يومًا على خطر

---

(١) غداةالروع: أول الأمر المفزع المخيف . العلق: الدم عامة أو شديد الحمرة أو الجامد. انظر: لسان العرب، مادة [غدو، روع ، علق].

(٢) الصلتان العبدى؛ هو: قثم بن خبية العبدى، شاعر حكيم، توفى سنة ٨٠هـ. انظر: الشعر والشعراء ص (١٩٦) خزانة البغدادى (١/٣٠٨).

(٣) انظر: ديوان الإمام على ص (٥٨).

(٤) غواة: وشاة. أديما: برئ مما يلطخ به انظر: القاموس المحيط، مادة [غوى، أدم].

(٥) تجن: تغطى وتستر. انظر: لسان العرب، مادة [جنن].

(٦) مسكين الدارمى، هو: ربيعة بن عامر بن أنيف بن شريح، التميمى، من شعراء العراق، ومن أشراف تميم وشجعانهم، لقب بالمسكين لأبيات قال فيها. **أنا مسكين لمن أنكرني** له ديوان شعر، توفى سنة (٨٩هـ). انظر: تهذيب بن عساكر (٥/٣٠٠)، إرشاد الأريب (٤/٢٠٤).

[٢٠٠] **وقيل:** أسر رجل إلى صديق له حديثًا، فلما استقصاه قال له: أفهمت؟

قال: لا، بل نسيت.

[٢٠١] **قيل لأعرابى:** كيف كتمانك للسر؟

قال: ما قلبى له إلا قبر.

[٢٠٢] **وقيل لمُزَبِّد**[1]: أى شيء تحت حضنك؟

فقال: يا أحمق لم خبأته.

[٢٠٣] **وقال الشاعر:**

إذا ما ضاق صدرك عن حديث ... فأفشته الرجال فمن تلوم

إذا عاتبت من أفشى حديثى ... وسرى عنده فأنا الظلوم

وإنى حين أسأم حمل سرى ... وقد ضمنته صدرى سؤوم

[٢٠٤] **قيل لرجل:** كيف كتمانك للسر؟

قال: أجحد المخبر، وأحلف للمستخبر.

[٢٠٥] **وكان يقال:** من وهى الأمر إعلانه قبل إحكامه.

[٢٠٦] **وقال الشاعر:**

إذا أنت حملت الخؤون أمانة ... فإنك قد أسندتها شر مسند[2]

[٢٠٧] **وقال عمرو بن العاص**[3]: ما استودعت رجلاً سرًّا فأفشاه فلمته،لأنى كنت أضيق صدرًا حين استودعته، وقال:

إذا أنت لم تحفظ لنفسك سرها ... فسرك عند الناس أفشى وأضيع

---

(١) مزبد؛ هو: المدينى، من أصحاب النوادر والفكاهة.

(٢) الخؤون: الذى يؤتمن فلا ينصح. انظر: لسان العرب، مادة [خون].

(٣) سبقت ترجمته [١٨٤].

[٢٠٨] **وكان يقال:** من ضاق قلبه اتسع لسانه.

[٢٠٩] **وقال الوليد بن عتبة**[١] **لأبيه:** إن أمير المؤمنين أسرَّ إلـيَّ حديثًا ولا أراه يطوى عنك ما يبسطه لغيرك، أفلا أحدثك به؟

[٢١٠] **قال:** لا يا بنى؛ إنه من كتم سره كان الخيار لـه، ومـن أفشاه كـان الخيار عليه، فلا تكونن مملوكًا بعد أن كنت مالكًا.

قال: قلت: وإن هذا ليجرى بين الرجل وأبيه ؟

قال: لا، ولكنى أكره أن تذلل لسانك بأحاديث السر ، فحدثت بـه معاوية فقال: يا وليد؟ أعتقك أخى من رق الخطأ.

[٢١١] **وفى كتب العجم:** أن بعض ملوك فارس قال: صونوا أسراركم، فإنه لا سر لكم إلا فى ثلاثـة مواضـع: مكيـدة تحـاول، أو منزلـة تـزاول، أو سـريرة مدخولة تكتم، ولا حاجة بأحد منكم فى ظهور شيء منها عنه.

[٢١٢] **وكان يقال:** ما كنت كاتمه من عدوك فلا تظهر عليه صديقك.

[٢١٣] **وقال جميل بن معمر**[٢]:

أموت وألقى الله يا بثـن لـم أبـح ... بسـرك والمسـتخبرون كثـير

[٢١٤] **وقال عمر بن أبى ربيعة المخزومى**[٣]:

فلمـا توافقنـا عرفـت الـذى بهـا ... كمثل الذى بـى حَذْوَكَ النَّعلَ بالنَّعْلِ

---

(١) الوليد بن عتبة؛ هو: ابن أبي سفيان بن حرب، الأموى، أمير، كان حليمًا كريمًا فصيحًا ولى المدينة فى أيام معاوية، كان من رجال المشورة ليزيد. توفى سنة (٦٤هـ). انظر: الكامل (٢٠٢/٣) مرآة الجنان (١٤٠/١).

(٢) سبقت ترجمته [٥٢].

(٣) انظر: ديوان عمر بن أبي ربيعة (١٦٢/٢).

فقالت وأرخت جانب الستر إنما معى فتكلتم غير ذى رقبة أهلى[(١)]
فقلت لها ما بى لهم من ترقب ولكن سرى ليس يحمله مثلى[(٢)]

يريد أنه ليس يحمله أحد مثلى فى صيانته وستره، أى فلا أبديه لأحد.

[٢١٥] **وقال زهير:**

الستر دون الفاحشات ولا يلقاك دون الخير من ستر

[٢١٦] **وقال آخر:**

فسرى كإعلانى وتلك خليقتى وظلمة ليلى مثل ضوء نهاريا

[٢١٧] **وقال آخر لأخ له وحدثه بحديث:** اجعل هذا في وعاء غير سرب؛ والسرب السائل.

[٢١٨] **وكان يقال:** للقائل على السامع جمع البال والكتمان وبسط العذر.

[٢١٩] **وكان يقال:** الرعاية خير من الاسترعاء.

[٢٢٠] **وقيل:** أتى رجل عبيد الله بن زياد فأخبره: أن عبد الله بن همام السلولى[(٣)] سبه، فأرسل إليه فأتاه.

فقال: يا ابن همام إن هذا يزعم أنك قلت: كذا وكذا.

فقال ابن همام:

فأنت امرؤ إما ائتمنتك خاليًا فخنت وإما قلت قولا بلا علم
وإنك فى الأمر الذى قد أتيته لفى منزل بين الخيانة والإثم

---

(١) أرخت: أرسلت، أرخيت الشيء وغيره إذا أرسلته. اللسان مادة [رخا].

(٢) ترقب: انتظر وتوقع شيء. انظر: لسان العرب، مادة [رقب].

(٣) عبد الله بن همام السلولى، هو: ابن نبيشة بن رياح، شاعر إسلامى كان يقال له العطار لحسن شعره. أدرك معاوية وبقى إلى أيام سليمان بن عبد الملك. توفى سنة (١٠٠هـ). انظر: الشعر والشعراء (٢٤٨) خزانة الأدب للبغدادى (٣/٦٣٨).

[٢٢١] وقال آخر:

اخفض الصوت إن نطقت بليل	والتفت بالنهار قبل الكلام

[٢٢٢] وقال بعض الأعراب:

ولا أكتم الأسرار لكن أنمها	ولا أدع الأسرار تغلى على قلبى
وإن قليل العقل من بات ليله	تقلبه الأسرار جنبًا إلى جنب

[٢٢٣] وقال أبو الشيص(١):

لا تأمنن على سرى وسركم	غيرى وغيرك أوطى القراطيس(٢)
أو طائر سأحليه وأنعته	ما زال صاحب تنقير وتأسيس(٣)
سود براثنه ميل ذوائبه	صفر حمالقه فى الحسن مغموس(٤)
قد كان هم سليمان ليذبحه	لولا سعايته يومًا ببلقيس

[٢٢٤] وقال أيضًا:

أفضى إليك بسره قلم	لو كان يعرفه بكى قلمه

---

(١) أبو الشيص، هو: محمد بن على بن عبد الله بن رزين بن سليمان بن تميم الخزاعى، أبو جعفر شاعر سريع الخاطر رقيق الألفاظ من أهل الكوفة. توفى سنة (١٩٦هـ). انظر: تاريخ بغداد (٥/٤٠١) البداية والنهاية (١٠/٢٣٨).

(٢) أوطى: أوطأ الشيء: هيَّأه، أوطى: هيأ. القراطيس: الصحف الثابتة التى يكتب فيها. انظر: لسان العرب، مادة [وطأ، قرطس].

(٣) سأحليه: سوف أظفر به واستفيد منه. تنقير: تثقيب، نقرت الشيء: ثقبته بالمنقار. تأسيس: البناء ورفع القواعد. انظر: لسان العرب، مادة [حلا، نقر، أسس].

(٤) براثنه: الكف بكاملها مع الأصابع تسمى البراثن. ذوائبه: شعره المضفور وموضعه من الرأس ذؤابة. حمالقه: ما يلى جفنه من لحمه. أو التى حول مقلتيه بياض لم يخالطه سواد. انظر: لسان العرب، مادة [برثن، ذأب، حملق].

[٢٢٥] وقال مسلم بن الوليد[1] فى الكتاب يأتيك فيه السر:

الحـزم تخريقـه إن كنـت ذا حـذر ... وإنمـا الحـزم سـوء الظـن بالنـاس[2]

إذا أتـاك وقـد أدى أمانتـه ... فـاجعل صيانتـه فـى بطـن أرمـاس[3]

[٢٢٦] وقال آخر:

سـأكتمه سـرى وأحفـظ سـره ... ولا غرنـى أنـى عليـه كريـم

حليـم فينسـى أو جهـول يشـيعه ... ومـا النـاس إلا جـاهل وحليـم

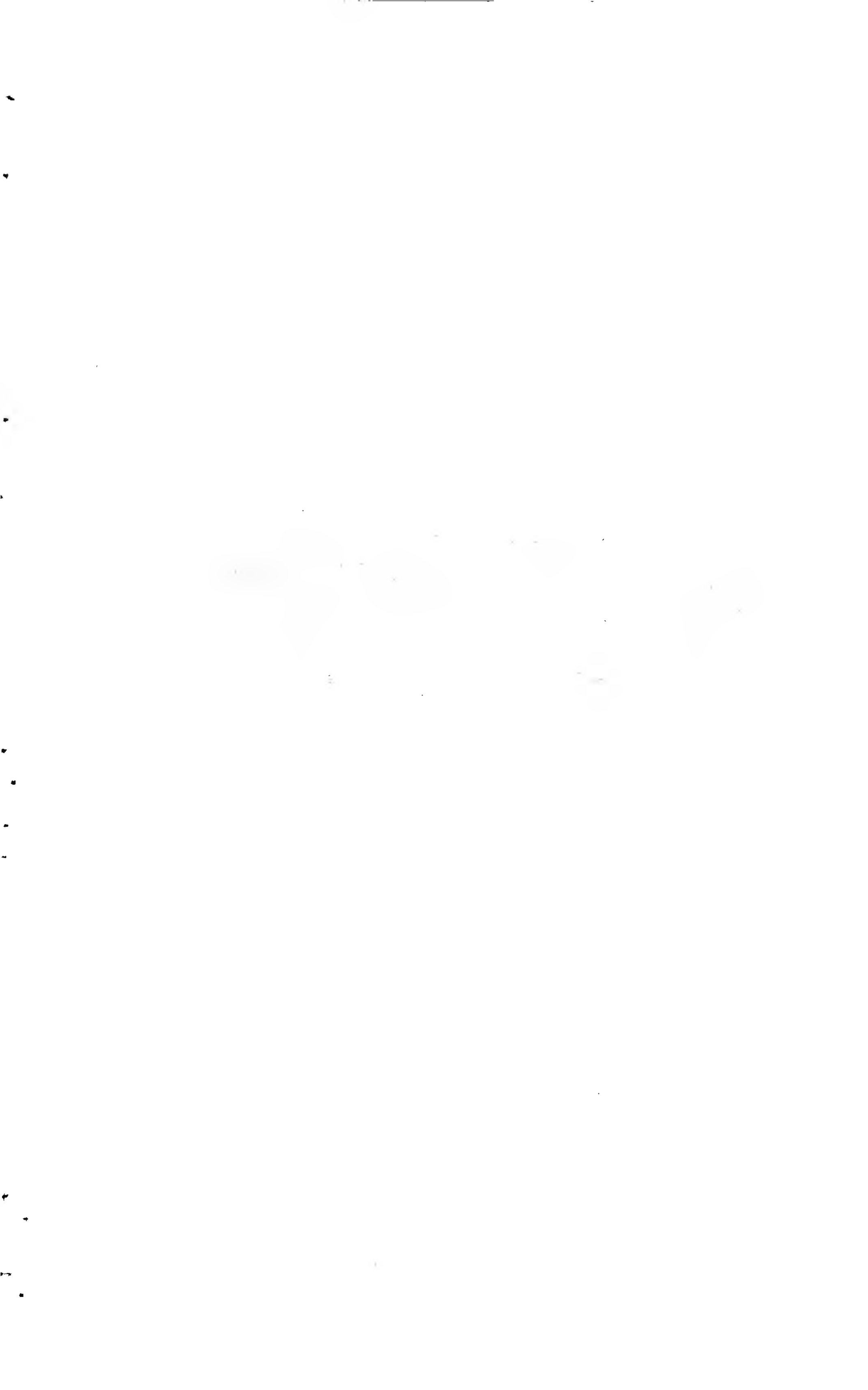
(١) مسلم بن الوليد؛ هو: الأنصارى، بالولاء، أبو الوليد، صريع الغوانى، شاعر غزل أكثر من البديع له مدح فى الرشيد والبرامكة، ولى جرجان. توفى سنة (٢٠٨هـ). انظر: تاريخ بغداد (٩٦/١٣)، النجوم الزاهرة (١٨٦/٢).

(٢) تخريقه: خلق كذبه ومطاوعة التخريف. القاموس المحيط، مادة [خرق].

(٣) أرماس : الرمس وهو القبر. القاموس المحيط، مادة [رمس].

الفصل الثامن

الكتاب والكتابة



الكتاب والكتابة

[٢٢٧] **حدثنا إسحاق بن راهويه،** عن وهب بن جرير، عن أبيه، عن يونس ابن عبيد، عن الحسن، عن عمرو بن تغلب، عن النبى ﷺ قال: **«من أشراط الساعة أن يفيض المال، ويظهر القلم، وتفشو التجار»**.

[٢٢٨] **قال عمرو:** إن كنا لنلتمس فى الحواء[١] العظيم الكاتب، ويبيع الرجل البيع فيقول: حتى أستأمن تاجر بنى فلان.

[٢٢٩] **حدثنا أحمد بن الخليل،** عن إسماعيل بن أبان، عن عنبسة بن عبد الرحمن القرشى، عن محمد بن زاذان، عن أم سعد، عن زيد بن ثابت قال: دخلت على رسول الله ﷺ وهو يملى فى بعض حوائجه، فقال: **«ضع القلم على أذنك فإنه أذكر للمملى به»**[٢].

[٢٣٠] **وحدثنى عبد الرحمن بن عبد المنعم،** عن أبيه، عن وهب[٣]، قال: كان إدريس النبى عليه السلام أول من خط بالقلم، وأول من خاط الثياب ولبسها، وكان من قبله يلبسون الجلود.

[٢٣١] **حدثنا إسحق بن راهويه قال:** أخبرنا جرير، عن يزيد بن أبى زياد، عن عياض بن أبى موسى أنَّ عمر بن الخطاب قال لأبى موسى: ادع لى كاتبك ليقرأ لنا صحفًا جاءت من الشام.

---

(١) الحواء: مجتمع بيوت الحى إذا تدانت . انظر: لسان العرب، مادة [حوى].

(٢) الحديث: أخرجه الترمذى، كتاب الاستئذان، باب ما جاء فى ترتيب الكتاب (٢٧١٤)، وقال: غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإسناده ضعيف وعتبة بن عبد الرحمن ومحمد بن زاذان يُضَعَّفان فى الحديث.

(٣) وهب؛ هو: ابن المنبه بن كامل بن سيج الذمارى، أبو عبد الله الأبناوى. مؤرخ كثير الأخبار، عالم بأساطير الأولين، ولى قضاء صنعاء لعمر بن عبد العزيز. توفى سنة (١١٤هـ). انظر: تهذيب التهذيب (١١/١٦٦) وفيات الأعيان (٢/١٨٠).

فقال أبو موسى: إنه لا يدخل المسجد.

قال عمر: أبه جنابة؟

قال: لا، ولكنه نصراني.

قال: فرفع يده فضرب فخذه حتى كاد يكسرها، ثم قال مالك، قاتلك الله، أما سمعت قول الله عز وجل ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء**﴾[المائدة:٥١] ألا اتخذت رجلاً حنيفيًا .

فقال أبو موسى: له دينه ولى كتابته.

فقال عمر: لا أكرمهم إذ أهانهم الله ، ولا أعزهم إذ أذلهم الله ، ولا أدنيهم إذ أقصاهم الله.

[٢٣٢] **حدثنا إسحاق بن راهويه، قال** : أخبرنا عيسى بن يونس، قال: حدثنا أبو حيان التيمى، عن أبى زنباع عن أبى الرهقانة، قال: ذكر لعمر بن الخطاب غلام كاتب حافظ من أهل الحيرة وكان نصرانيًا.

فقيل له: لو اتخذته كاتبًا.

فقال: لقد اتخذت إذًا بطانة من دون المؤمنين.

[٢٣٣] **حدثنى أبو حاتم، قال:** مرامر بن مرة[١] من أهل الأنبار[٢]، وهو الذى وضع كتابة العربية، ومن الأنبار انتشرت فى الناس.

[٢٣٤] **حدثنى أبو سهل**، عن الطنافسى، عن المنكدر بن محمد، عن أبيه

---

(١) مرامر بن مرة، هو: الطائي أحد من يقال أنهم وضعوا الخط العربى، أو نقلوه من طريقة إلى أخرى فى الجاهلية. انظر: التاج (٥٣٩/٣)، تاريخ العرب قبل الإسلام (١٨٥/١).

(٢) الأنبار: مدينة قرب بلخ، وهى قصبة ناحية جوزجان، وهى أول بلاد العراق. انظر: معجم البلدان (٣٥٠/١).

محمد بن المنكدر، قال: جاء الزبير بن العوام[1] إلى النبى ﷺ فقال: كيف أصبحت، جعلنى الله فداك؟ قال: **«ما تركت أعرابيتك بعد»**[2].

[٢٣٥] **قال عبد الملك بن مروان:** لأخيه عبد العزيز[3] حين وجهه إلى مصر: تفقد كاتبك وحاجبك وجليسك، فإن الغائب يخبره عنك كاتبك، والمتوسم[4] يعرفك بحاجبك، والداخل عليك يعرفك بجليسك.

[٢٣٦] **ابن أبى الزناد،** عن أبيه قال: كنت كاتباً لعمر بن عبد العزيز، فكان يكتب إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب[5] فى المظالم فيراجعه، فكتب إليه: إنه ليخيل إلى أنى لو كتبت إليك أن تعطى رجلاً شاة لكتبت إلى: أضأن أم ماعز، ولو كتبت إليك بأحدهما لكتبت: أذكر أم أنثى، ولو كتبت إليك بأحدهما؛ لكتبت: أصغير أم كبير. فإذا أتاك كتابى هذا فلا تراجعنى فى مظلمة[6].

---

(١) الزبير بن العوام، هو: ابن خويلد بن أسل بن عبد العزى بن قصى القرشى الإسلامى، أبو عبد الله، حوارى رسول الله ﷺ وابن عمته وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة روى عن رسول الله، توفى سنة (٣٦١هـ). انظر: الإصابة (٢/٤٥٧)، أسد الغابة (ت ١٧٣٢).

(٢) الحديث: ذكره صاحب كنز العمال (٣/٨٨٦) وعزاه لابن جرير وقال هذا مرسل رواه المنكدر بن محمد عند أهل النقل ممن لا يعتمد على نقله.

(٣) عبد العزيز، هو: ابن مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية، أبو الأصبغ، ولى مصر، كان يقظًا، عارفًا بسياسة البلاد، شجاعًا جوادًا، توفى سنة (٨٥هـ) انظر: تاريخ الطبرى (٨/٥٣)، الكامل لابن الأثير (٤/١٨٧).

(٤) المتوسم: من توسم أى تخيل الشيء وتفرسه. انظر: القاموس المحيط، مادة [وسم].

(٥) عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب، هو: العدوى، القرشى، أحد الولاة، كان من أتم الرجال خلقًا، روى عن أبيه وغيره، تزوج من فاطمة بنت عمر بن الخطاب، توفى سنة (٦٥هـ). الإصابة (٥/٢٩).

(٦) انظر: البيان والتبيين (٢/٢٨٠).

[٢٣٧] **وكتب**[١] **أبو جعفر:** إلى سلم بن قتيبة يأمره بهدم دور من خرج مع إبراهيم وعقر نخلهم.

فكتب إليه: بأى ذلك نبدأ بالنخل أم بالدور؟

فكتب إليه أبو جعفر. أما بعد؛ فإنى لو أمرتك بإفساد ثمرهم لكتبت إلى تستأذن فى أيه تبدأ أبالبرنى[٢] أم بالشهريز[٣]، وعزله، وولى محمد بن سليمان[٤].

[٢٣٨] **وكان يقول:** للكاتب على الملك ثلاثة: رفع الحجاب عنه، واتهام الوشاة عليه، وإفشاء السر إليه.

[٢٣٩] **كانت العجم تقول:** من لم يكن عالماً بإجراء المياه، وبحفر فرض الماء والمسارب[٥] وردم المهاوى[٦] ومجارى الأيام فى الزيادة والنقصان، واستهلال القمر وأفعاله، ووزن الموازين، وذرع المثلث والمربع والمختلف الزوايا، ونصب القناطر والجسور والدوالى[٧] والنواعير[٨] على المياه، وحال أدوات الصناع ودقائق الحساب؛ كان ناقصًا فى حال كتابته.

---

(١) انظر: البيان والتبيين فى (٢/٢٨٢).

(٢) البرنى: التمر. انظر: القاموس المحيط، مادة [برن].

(٣) الشهريز: تمر شهريز أى تقدم فى السن. انظر: القاموس المحيط، مادة [شهرز].

(٤) محمد بن سليمان؛ هو: ابن على العباسى، أبو عبد الله، ولاه المنصور البصرة ثم عزله عنها وولاه الكوفة. كان غنيا نبيلا، سمت نفسه إلى الخلافة، توفى سنة (١٧٣هـ). انظر: تاريخ بغداد (٥/٢٩١)، النجوم الزاهرة (٢/٤٧).

(٥) المسارب، مفردها المسربة: المرعى. انظر: القاموس المحيط، مادة [سرب].

(٦) المهاوى: الهاوية: كل فارغ. انظر: القاموس المحيط، مادة [هوى].

(٧) الدوالى: واحدة الدّلاء التى يستقى بها. انظر: لسان العرب، مادة [دلو].

(٨) النواعير، مفردها الناعور: يستقى بها ويديرها الماء وله صوت. انظر: القاموس المحيط، مادة [نعر].

[٢٤٠] **قال ميمون بن هارون**[1]: إذا كانت لك إلى كاتب حاجة فليكن رسولك إليه الطمع.

[٢٤١] **وقال:** إذا آخيت الوزير فلا تخش الأمير.

[٢٤٢] **وفى كتاب للهند:** إذا كان الوزير يساوى الملك فى المال والهيبة والطاعة من الناس فليصرعه الملك، وإن لم يفعل فليعلم أنه هو المصروع.

[٢٤٣] **عن المدائنى قال:** خلا زياد يومًا فى أمر ينظر فيه وعنده كاتب له يكتب وابنه عبيد الله[2]، فنعس زياد.

فقال لعبيد الله: تعهد هذا لا يكتب شيئاً.

ونام فوجد عبيد الله مسًّا من البول، فكره أن يوقظ أباه، وكره أن يخلى الكاتب، فشد إبهاميه بخيط وختمه وقام لحاجته.

[٢٤٤] **قال أبو عباد الكاتب:** ما جلس أحد قط بين يدى إلا تخيل إلى أنى جالس بين يديه[3].

[٢٤٥] **وقرأت فى التاج:** أن أبرويز قال لكاتبه: اكتم السر، واصدق الحديث، واجتهد فى النصيحة، واحترس بالحذر، فإن لك علىّ أن لا أعجل بك؛ حتى أستأنى لك، ولا أقبل عليك قولاً حتى أستيقن ولا أُطمع فيك أحدًا فيغتالك.

---

(١) ميمون بن هارون، هو: ابن مخلد بن إبان، أبو الفضل: كاتب، وصاحب أخبار وآداب وأشعار من أهل بغداد. توفى عام (٢٩٧هـ). انظر: تاريخ بغداد (٢١٠/١٣)، الأعلام (٣٤٢/٧).

(٢) ابن زياد، هو: عبيد الله بن زياد بن أبيه، وال فاتح، من الشجعان، جبار، خطيب، وكان مع والده لما مات بالعراق فقصد الشام فولاه "عمه" معاوية خراسان سنة (٥٣هـ) وتوفى عام (٦٧هـ). انظر: الأعلام (١٩٣/٤).

(٣) انظر: البيان والتبيين (٤٠٨/١).

واعلم أنك بمنجاة رفعة؛ فلا تحطنها، وفي ظل مملكة؛ فلا تستزيلنه، وقارب الناس؛ مجاملة عن نفسك، وباعد الناس؛ مشايحة[1] من عدوك واقصد إلى الجميل؛ ادراعًا[2] لغدك، وتحصن بالعفاف؛ صونًا لمروءتك، وتحسن عندى بما قدرت عليه من حسن ولا تشرعن الألسنة فيك، ولا تقبحن الأحدوثة[3] عنك، وصن نفسك صون الدرة الصافية واخلصها إخلاص الفضة البيضاء، وعاتبها معاتبة الحذر المشفق، وحصنها تحصين المدينة المنيعة.

لا تدعن أن ترفع إلى الصغير، فإنه يدل على الكبير، ولا تكتمن الكبير فإنه ليس شاغلى عن الصغير.

هذب أمورك ثم القنى بها، وأحكم لسانك ثم راجعنى به، ولا تجترئن علىَّ فأمتعض[4]، ولا تنقبض منى فأتهم، ولا تمرضن ما تلقانى به ولا تخدجنه[5].

وإذا فكرت فلا تعجل، وإذا كتبت فلا تُعْذِر، ولا تستعينن بالفضول؛ فإنها علاوة على الكفاية، ولا تقصرن عن التحقيق؛ فإنها هجنة[6] بالمقالة، ولا تَلْبِسنَّ كلامًا بكلام، ولا تباعدن معنى عن معنى.

أكرم كتابك عن ثلاث: خضوع يستخفه، وانتشار يُثَبِّجُهُ[7]، ومعان تقعد به.

واجمع الكثير مما تريد في القليل مما تقول، وليكن بَسطة كتابك على السُّوقةِ كبسطة ملك الملوك على الملوك، ولا يكن ما تملك عظيمًا وما تقول صغيرًا؛ فإنما كلام الكاتب على مقدار الملك فاجعله عاليًا كعلوه، وفائقًا كفوقه.

---

(١) مشايحة: مقابلة:، المشيح : المقبل عليك والمانع من وراء ظهره. انظر: القاموس المحيط، مادة [شيح].

(٢) ادراعًا: لبسًا وحفظًا. انظر: القاموس المحيط، مادة [درع].

(٣) الأحدوثة: ما يتحدث به. انظر: القاموس المحيط، مادة [حدث].

(٤) امتعض: أغضب. انظر: القاموس المحيط، مادة [معض].

(٥) تخدجنه: تنقصه. انظر: القاموس المحيط، مادة [خدج].

(٦) هجنة: بالضم من الكلام ما يعيبه ويضيعه. انظر: القاموس المحيط، مادة [هجن].

(٧) يثبجه: الثبج: يجعله مضطربا. انظر: لسان العرب، مادة [ثبج].

واعلم أن جُمَّاعَ الكلام كله خصال أربع:

سؤالك الشيء، وسؤالك عن الشيء، وأمرك بالشيء، وخبرك عن الشيء؛ فهذه الخلال دعائم المقالات؛ إن التمس لها خامس لم يُوْجَد، وإن نقص منها رابع لم تتم.

فإذا أمرت فاحكم، وإذا سألت فأوضح، وإذا طلبت فاسجح[(1)] وإذا أخبرت فحقق؛ فإنك إذا فعلت ذلك أخذت بحزامير[(2)] القول كله فلم يشتبه عليك ورده ولم يعجزك منه صادره.

اثبت فى دواوينك ما أدخلت، واحص فيها ما أخرجت وتيقظ لما تأخذ، وتجرَّد لما تعطى، ولا يغلبنَّك النسيان عن الإحصاء ولا الأناة عن التقدُّم ولا تخرجن وزن قيراط فى غير حق، ولا تعظمن إخراج الكثير فى الحق، وليكن ذلك كله عن مؤامرتى.

[٢٤٦] **قال رجل لبنيه:** يا بنى تَزيُّوا بزى الكتاب، فإن فيهم أدب الملوك وتواضع السوقة.

[٢٤٧] **قال الكسائى**[(3)]: لقيت أعرابيًا فجعلت أسأله عن الحرف بعد الحرف، وعن الشيء بعد الشيء أقرِنه بغيره.

فقال: يالله، ما رأيت رجلاً أقدر، على كلمة إلى جنب كلمة أشبه شيء بها وأبعد شيء منها، منك.

---

(١) اسجح: سجح: سهل، ولان. انظر: القاموس المحيط، مادة [سجح].

(٢) حزاميره: حذافيره. انظر: القاموس المحيط، مادة [حزر].

(٣) الكسائى، هو: على بن حمزة بن عبد الله الأسدى بالولاء، الكوفى، أبو الحسن الكسائى، أحد أئمة اللغة والنحو والقراءة، وهو مؤدب الرشيد العباسى، من آثاره معانى القرآن والنوادر. توفى سنة (١٨٩). انظر: تاريخ بغداد (١١/٤٠٣)، معجم المؤلفين (٢/٤٣٦).

[٢٤٨] **وقال ابن الأعرابى:** رآنى أعرابى وأنا أكتب الكلمة بعد الكلمة من ألفاظه.

فقال: إنك لحتف الكلمة الشرود.

[٢٤٩] **وقال رجل من أهل المدينة:** جلست إلى قوم ببغداد فما رأيت أوْزَنَ من أحلامهم، ولا أطيش[١] من أقلامهم.

[٢٥٠] **وكتب بعض الكتاب إلى صديق له:** وصَلَ إلىَّ كتابك؛ فما رأيت كتابًا أسهل فنونًا، ولا أملس[٢] متونًا، ولا أكثر عيونًا، ولا أحسن مقاطع ومطالع، ولا أشد على كل مفصل حزًّا[٣] منه، أنجزت فيه عدة الرأى وبشرى الفراسة، وعاد الظن بك يقينًا والأمل فيك مبلوغًا.

[٢٥١] **ويقال:** عقول الرجال فى أطراف أقلامها.

[٢٥٢] **ويقال:** القلم أحد اللسانين، وخفة العيال أحد اليسارين[٤]، وتعجيل اليأس أحد الظفرين[٥]، وإملاك العجين أحد الريعين[٦]، وحسن التقدير أحد الكاسبين[٧] ، واللبن أحد اللحمين، وقد يقال: المرق أحد اللحمين.

[٢٥٣] **قيل لبعضهم:** إن فلانًا لا يكتب.

فقال: تلك الزَّمانة الخفية .

---

(١) اطيش: الطيش الخفة والنزق وجواز السهم الهدف. انظر: القاموس المحيط، مادة [طيش].

(٢) أملس: أصح، والأملس : الصحيح الظهر. انظر: القاموس المحيط، مادة [ملس].

(٣) حزا: الحزّ: القطع والاحتزاز: الفرض فى الشىء والزيادة على الشرف والكرم. انظر: القاموس المحيط، مادة [حزز].

(٤) اليسار: السهولة والغنى. انظر لسان العرب، مادة [يسر].

(٥) الظفرين: الظفر. بالفتح الفوز بالمطلوب. انظر: لسان العرب، مادة [ظفر].

(٦) الريعين: الريع: النماء والزيادة. انظر: لسان العرب، مادة [ربع].

(٧) الكاسبين: الكسب: طلب الرزق واصلة قال سيبويه كسب: أصاب. انظر: لسان العرب، مادة [كسب].

[٢٥٤] **وقرأتُ في بعض كتب العجم:** أن موبذان موبذ وصف الكتاب، فقال: كتاب الملوك عَيبتُهم[1] المصونة عندهم، وآذانهم الواعية، وألسنتهم الشاهدة؛ لأنه ليس أحدٌ أعظم سعادة من وزراء الملوك إذا سعدت الملوك، ولا أقرب هلكه من وزراء الملوك إذا هلكت الملوك، فترفع التهمة عن الوزراء إذا صارت نصائحهم للملوك نصائحهم لأنفسهم، وتعظم الثقة بهم حين صار اجتهادهم للملوك اجتهادهم لأنفسهم فلا يتهم روح على جسده؛ ولا يتهم جسد على روحه؛ لأن زوال ألفتهما زوال نعمتهما؛ وأن التئام ألفتهما صلاح خاصتهما.

[٢٥٥] **وقال:**

لئن ذهبت إلى الحجاج يقتلني ... إنّي لأحمق من تخدى به العيرُ
مستحقبًا صُحُفًا تُدْمى طوابعُها ... وفي الصحائف حيات مناكيرُ[2]

[٢٥٦] **وقال بعض الشعراء في القلم:**

عجبت لذى سِنّين في الماء نبتُهُ ... له أثر في كل مصر ومعمر

[٢٥٧] **وقال بعض المحدثين في القلم:**

ضئيل الرُّواء كبير الغناء ... من البحر في المنصب الأخضر[3]
كمثل أخي العشق في شخصه ... وفي لونه من بني الأصفر[4]
يمرُّ كهيئة مَرّ الشجا ... ع في دعص محنية أعفر[5]
إذا رأسُه صح لم ينبعث ... وجاز السبيل ولم يبصر
وإن مُدية صدّعت رأسه ... جرى جرى لا هائب مقصر[6]
يقضي مآربه مقبلاً ... ويحسمها هيئة المدبر
تجود بكفٌ فتى كَفُّه ... تسوق الثراء إلى المعسر

---

(١) عيبتهم: عيبة الرجل: موضع سره على المثل. انظر: لسان العرب، مادة [عيب].
(٢) مستحقبا: حامل لصحف من خلف. انظر: لسان العرب، مادة [حقب].
(٣) الرواء: المقصود به الحبر أو ما يكتب به، والغناء: النفع. انظر: لسان العرب، مادة [روى ، غنا].
(٤) بني الأصفر: الروم. انظر: لسان العرب، مادة [صفر].
(٥) دعص: قور من الرمل. انظر: لسان العرب، مادة [دعص].
(٦) مدية: شفرة أو سكينة. انظر: لسان العرب، مادة [مدى].

[٢٥٨] وقال حبيب الطائي[1] يصف القلم:

لـك القلـم الأعلـى الـذى بشَـبَاتِهِ ... يصـابُ مـن الأمـر الكُلَى والمفـاصلُ
لعـابُ الأفـاعى القـاتلات لعابُـه ... وأرْى الجنَى اشتارته أيد عواسـلُ[2]
لـه ريقـة طَـلٌّ ولكـنٌ وقعهـا ... بآثـاره فـى الشـرق والغـرب وابـلُ
فصيحٌ إذا اسـتنطقته وهـو راكـب ... وأعجـمُ إن خاطبتـه وهـو راجـلُ
إذا مـا امتطـى الخمـس اللطـاف ... عليـه شـعاب الفكـر وهـى حوافـلُ
أطاعتـه أطـراف القننـا وتقوضـت ... لنجـواه تقويـض الخيام الجحـافل[3]
تـراه جليـلاً شـأنه وهـو مرهـف ... ضنـى وسـمينًا خطبـه وهـو نـاحلُ

[٢٥٩] وقال محمد بن عبد الملك بن صالح الهاشمي يصف القلم:

وأسـمر طـاوى الكشـح أخرس نـاطق ... لـه ذمـلانٌ فـى بطـون المهـارق[4]
إذا اسـتعجلته الكـفُّ أمطـر خالـه ... بـلا صـوت إرعـادٍ ولا ضـوء بـارق
كـأن اللآلـى والزبرجـد نَطْفـةُ ... ونور الخزامى فـى بطون الحدائق[5]

[٢٦٠] وقال بعض المحدثين يمدح كاتبًا:

وإذا تـألّق فـى النـدىِّ كلامـه الـ ... منظـوم خلـت لسـانه مـن عضبـه
وإذا دجـت أقلامـه ثـم أنتجـت ... برقـت مصـابيحُ الدجى فى كتبـه[6]
بـاللفظ يقـرب فهمـه فـى بُعـده ... منـا ويبعـد نيلـه فـى قربـه
حكـم فسـائحها خـلال بنانـه ... متدفـق وقليبهـا فـى قلبـه[7]
كـالروض مُؤتلـف بحمـرة نـوره ... وبيـاض زهرتـه وخضـرة عشـبه

---

(١) حبيب الطائي؛ هو: ابن أوس بن الحارث، أبو تمام، شاعر، أديب، أحد أمراء البيان، كان ذا فصاحة يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة من أراجيز العرب، توفى سنة (٢٣١هـ). انظر: وفيات الأعيان (١/١٢١)، تاريخ بغداد (٨/٢٤٨).

(٢) عواسل، الذين يشتارون العسل من موضعه. انظر: لسان العرب، مادة [عسل].

(٣) الجحافل: العريضة الكثيرة. انظر: لسان العرب، مادة [جحفل].

(٤) الكشح: ما بين الخاصرة إلى الضلع. انظر: لسان العرب، مادة [كشح].

(٥) الخزامى: عشبة طويلة العيدان لها نور كنور البنفسج. انظر: لسان العرب، مادة [خزم].

(٦) دجت: هدأت وسكنت. انظر: لسان العرب، مادة [دجا].

(٧) فسائحها: الألفاظ، وقليبها: لبها وقليبها تصغير قلب. انظر: لسان العرب، مادة [سيح، قلب].

[٢٦١] **وقال سعيد بن حميد[1] يصف العود:**

وناطقٌ بلسان لا ضمير له ... كأنَّه فخذ نيطت إلى قدم

يبدى ضمير سواه فى الكلام كما ... يبدى ضمير سواه منطق القلم

[٢٦٢] **وقيل:** بعث الطائى[2] إلى الحسن بن وهب[3] بدواة أبنوس وكتب إليه:

قد بعثنا إليك أمَّ المنايا ... والعطايا زنجية الأحساب[4]

في حشاها من غير حرب حِرابٌ ... هي أمضى من مرهفات الحراب[5]

[٢٦٣] **وقال ابن أبي كريمة[6] يصف الدواة والقلم:**

ومسودة الأرجاء قد خضت ماءها ... ورويت من قعر لها غير مُنبطِ

خميصُ الحشا يُروى على كل مشرب ... أمينا على سر الأمير المسلَّطِ[7]

[٢٦٤] **وقال بعض أهل الأدب:** إنما قيل: ديوان؛ لموضع الكتبة والحُسَّاب؛ لأنه يقال: للكتَّاب بالفارسية: ديوان؛ أى شياطين، لحذقهم بالأمور ولطفهم فسُمِّى موضعهم باسمهم.

---

(١) سعيد بن حميد، هو: ابن سعيد، أبو عثمان، كاتب مترسل من الشعراء شعره رقيق. توفى سنة (٢٥٠هـ). انظر: الأغانى (٢/١٧).

(٢) الطائى، هو: أحمد بن محمد الطائى، أحد القادة الأمراء فى العصر العباسى، ولى الكوفة وسوادها، وشرطة بغداد. توفى سنة (٢٨١هـ) انظر: الكامل (١٣٩/٧).

(٣) الحسن بن وهب، هو: ابن سعيد بن عمرو بن حصين الحارثى، أبو على، كاتب من الشعراء وكان ذا جاه. توفى سنة (٢٥٠هـ). انظر: فوات الوفيات (١٣٦/١) سمط اللآلىء ص(٥٠٦).

(٤) أم المنايا: أم الأحداث، والحِمام الأجل، وزنجية: نسبة إلى الزِّنج وهم جيلٌ من السودان. انظر: لسان العرب، مادة [منى ، زنج].

(٥) مرهفات الحراب: تلك الحراب الرقيقة القاطعة. انظر: لسان العرب، مادة [رهف].

(٦) ابن أبى كريمة، هو: مسلم بن أبى كريمة التميمى بالولاء، البصرى أبو عبيدة، فقيه، من علماء الإباضية. توفى سنة (١٥٤هـ). انظر: لسان الميزان (٣٢/٦).

(٧) خميص: جائع ضامر. انظر: لسان العرب، مادة [خمص].

[٢٦٥] **وقال آخر**: إنما قيل لمدير الأمور عن الملك: وزير؛ من الوزر وهو الحمل يراد أنه يحمل عنه من الأمور مثل الأوزار وهى الأحمال، قال الله عز وجل ﴿**ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم**﴾[طه:١٧] أى أحمالا من حليهم، ولهذا قيل للإثم: وزر، شبه بالحمل على الظهر، قال الله تبارك وتعالى ﴿**ووضعنا عنك وزرك * الذى أنقض ظهرك**﴾[الشرح: ٢ ، ٣] .

[٢٦٦] **وكان الناس يستحسنون لأبى نواس**[١] **قوله**[٢]:

يا كاتبا كتب الغداة يسبنى	**من ذا يطيق براعة الكتاب**
لم ترض بالإعجام حين سببتنى	**حتى شكلت عليه بالإعراب**[٣]
فأردت إفهامى فقد أفهمتنى	**وصدقت فيما قلت غير محابى**

[٢٦٧] **وقال آخر**:

يا كاتبا تنثر أقلامه	**من كفه درا على الأسطر**

[٢٦٨] **وقال عدى بن الرقاع**[٤]:

صلى الإله على امرئ ودعته	**وأتم نعمته عليه وزادها**

ومنه أخذ الكتاب: وأتم نعمته عليك وزاد فيها عندك.

[٢٦٩] **وقال حاتم طيىء**[٥]: فى معنى قولهم؛ مت قبلك:

إذا ما أتى يوم يفرق بيننا	**بموت فكن أنت الذى تتأخر**

---

(١) تأتى ترجمته فى [٣٠٠].

(٢) انظر: ديوان أبو نواس براعة الكاتب (٦٥).

(٣) الأعجام: خلاف العرب، من لا يفصح، والإعراب: الإبانة والإفصاح. انظر: القاموس المحيط، مادة [عجم ، عرب].

(٤) عدى بن الرقاع، هو: ابن زيد بن مالك بن عدى، أبو داود شاعر كبير من أهل دمق كان مقدما عند بنى أمية، مداحً لهم ، توفى سنة (٩٥هـ). انظر: الأغانى (١٨٢/٨).

(٥) حاتم طيىء، هو: ابن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائى القحطانى، أبو عدى، فارس شاعر جواد يضرب المثل بجوده، له ديوان وأخبار كثيرة فى كتب الأدب، توفى سنة (٤٦ق هـ). انظر: تهذيب ابن عساكر (٤٢٠/٣) ، خزانة بغداد (٤٩٤/١).

[٢٧٠] **وقال جرير[١] فى معناه:**

رُدِّى فؤادى وكونى لى بمنزلتى ... يا قبل نفسك لاقى نفسى التلف

[٢٧١] **وقيل:** كتب بعض الملوك إلى بعض الكتاب كتابًا؛ دعا له فيه بأمتع الله بك.

فكتب إليه ذلك الكاتب[٢]:

أحلتَ عمَّا عهدت من أدبك ... أم نِلْتَ ملكا فتهت فى كتبكْ

أم هل ترى أنَّ فى التواضع ... للإخوان نقصا عليك فى حسبكْ

أم كان ما كان منك عن غضب ... فأىُّ شىء أدناك من غضبك

إن جفاء كتاب ذى مقة ... يكتب فى صدره: وأمتع بك[٣]

[٢٧٢] **وقال الأصمعى[٤] فى البرامكة[٥]:**

إذا ذُكِرَ الشرك فى مجلس ... أنارت وجوه بنى برمك

وإن تُلِيَتْ عندهم آيةٌ ... أتوا بالأحاديث عن مَرْوَك[٦]

---

(١) جرير، هو: ابن عطية بن الخطفى التميمى البصرى، أبو حرزة ، شاعر زمانه، كان عفيفا وهو من أغزل الناس شعرًا، له ديوان شعر . توفى سنة (١١٠هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (٥٩٠/٤).

(٢) الكاتب، هو: عبد الله بن طاهر كتب هذا الشعر لوزير المعتصم؛ محمد بن عبد الملك الزيات.

(٣) مقة: بغضاء، ومقته مقتا: أبغضه. انظر: لسان العرب، مادة [مقت].

(٤) الأصمعى، هو: عبد الملك بن قريب بن عبد الملك، أبو سعيد، صاحب اللغة، والغريب من أهل البصرة، وهو أحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان، كثير الطواف فى البوادى. توفى سنة (٢١٦هـ). انظر: تاريخ بغداد (٤١٠/١٠)، وفيات الأعيان (٢٨٨/١).

(٥) البرامكة: اسم لكل من ولى سدانة (النوبهار)، وهو بيت مقدس ببلخ، وكان من يلى سدانته تعظمه الملوك وترجع إلى حكمه وتحمل إليه الأموال. انظر: مروج الذهب (٢٣٨/٢)، والبيتان ذكرهما الجاحظ فى البيان والتبيين (٣٥٠/٣).

(٦) مَرْوَك: اسم رجل من الأعاجيم، وصوابه "مزدك"، وهو صاحب المزدكية، خرج فى أيام قباذ ابن فيروز، فبدل شريعة زرادشت، وسوى بين الناس فى الأموال، واستحل المحارم ولم يزل كذلك حتى ولى كسرى أنوشروان فقتله ونكل بأتباعه . انظر: تاريخ الطبرى (٢٦٤/٥).

[٢٧٣] وقال آخر:

إن الفـــــــراغ دعـــــــانى   إلـــــى ابتنــــاء المســــاجد
وإن رأيــــــــى فيهـــــــا   كـــرأى يحيـــى بـــن خــــالد[١]

[٢٧٤] وقيل: مرّ عبد الله بن المقفع ببيت النار، فقال:

يــا بيــت عاتكــة الــذى أتعــزّل   حذر العــدا وبـه الفـؤاد موكّــل[٢]

[٢٧٥] وقال دعبل[٣] فى أبى عباد[٤]:

أولَـــى الأمــور بضيعـــة وفســـاد   أمـــر يُدَبِّـــرَه أبــــو عبـــــاد
حِنـــقٌ علـــى جلســـائه بدواتـــه   فمرمَّـــل ومضمَّـــخ بمـــــداد[٥]
وكأنَّـــه مـــن ديـــر هِزقَـــل مفلـــتٌ   حـــرد يجـــرُّ سلاســـل الأقيـــاد[٦]

---

(١) إشارة إلى يحيى بن خالد بن برمك، سيد بنى برمك وأفضلهم وكان من أعقل الناس وأكملهم. توفى سنة (١٩٠هـ). انظر: البداية والنهاية (١٠/٢٠٤)، وفيات الأعيان (٢/٢٤٣).

(٢) أتعزل: أتنحى عنه جانبًا. موكّل: مستكفى؛ يقال وكّل فلان فلانًا إذا استكفاه أمره ثقة بكفايته أو عجزًا عن القيام بأمر نفسه. انظر: لسان العرب مادة [عزل ، وكل].

(٣) دعبل، هو: ابن على بن رزين الخزاعى، أبو على ، شاعر متقدم، هجّاء، كان شديد التعصب على النزارية القحطانية، كان خبيث اللسان، توفى سنة (٢٦٤هـ). انظر: النجوم الزاهرة (٢/١٩٠)، تاريخ بغداد (٨/٣٨٢).

(٤) أبو عباد، هو: كاتب أحمد بن أبى خالد.

(٥) مرمَّل: ملطخ . فترمَّل وارتمل أى تلطخ. مضمَّخ: ملطخ: يقال ضمخه بالطيب أى لطخه بالطيب حتى كأنه يقطر . انظر: لسان العرب، مادة [رمل، ضمخ].

(٦) حرد: غضبان ، يقال رجل حردٌ وحارد بمعنى غضبان. انظر: لسان العرب، مادة [حرد].

الفصل التاسع

خيانات العمال

خيانات العمال

[٢٧٦] **حدثنا إسحاق بن راهويه قال:** ذُكر لنا أن امرأة من قريش كان بينها وبين رجل خصومة، فأراد أن يخاصمها إلى عمر فأهدت المرأة إلى عمر فخذ جزور[١]، ثم خاصمته إليه فوجه القضاء عليها.

فقالت: يا أمير المؤمنين، افصل القضاء بيننا كما يفصل فخذ الجزور.

فقضى عليها عمر وقال: إياكم والهدايا. وذكر القصة.

[٢٧٧] **قال إسحاق:** كان الحجاج استعمل المغيرة بن عبيد الله الثقفي على الكوفة، فكان يقضي بين الناس، فأهدى إليه رجلٌ سراجًا من شبه[٢]، وبلغ ذلك خصمه، فبعث إليه ببغلة.

فلما اجتمعا عند المغيرة جعل يحمل على صاحب السراج، وجعل صاحب السراج يقول: إن أمرى أضوأ من السراج، فلما أكثر عليه.

قال: ويحك إن البغلة رمحت السراج فكسرته.

[٢٧٨] **حدثنا إسحاق، قال:** حدثنا روح بن عبادة، قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن الجريري، عن أبي بصرة، عن الربيع بن زياد الحارثي[٣] أنه وفد إلى عمر فأعجبته هيئته ونحوه، فشكا عمر طعاما غليظا يأكله.

فقال الربيع: يا أمير المؤمنين، إن أحقَّ الناس بمطعم طيب وملبس لين ومركب وطيء لأنت.

---

(١) الجزور: ابن الناقة الصغير. انظر: لسان العرب، مادة [جزر].

(٢) شبه: ضرب من النحاس يلقى عليه دواءً فيصفر . انظر: لسان العرب، مادة [شبه].

(٣) الربيع بن زياد الحارثي، هو: ابن أنس من بني الديان، أمير فاتح، ولي البحرين وكان شجاعًا تقيًا ، له مع عمر بن الخطاب أخبار. وولاه عبد الله بن عامر سجستان. توفي سنة (٥٣هـ). انظر: الإصابة (٢/٣٨٠).

فضرب رأسه بجريدة، وقال: والله ما أردت بهذا إلا مقاربتى، وإن كنتُ لأحسب أن فيك خيرًا.

ألا أخبرك بمثلى ومثل هؤلاء ، إنما مثلنا كمثل قوم سافروا فدفعوا نفقاتهم إلى رجل منهم، وقالوا: أنفقها علينا، فهل له أن يستأثر عليهم بشىء؟

قال الربيع: لا.

[٢٧٩] **حدثنى محمد بن عبيد قال:** حدثنا سفيان بن عيينة، عن ابن أبى نجيح، قال: لما أتى عمر بتاج كسرى وسواريه، جعل يقلبه بعود فى يده، ويقول: والله إن الذى أدى إلينا هذا لأمين.

فقال رجل: يا أمير المؤمنين أنت أمين الله يؤدُّون إليك ما أدّيت إلى الله فإذا رتعت رتعوا(١).

قال : صدقت .

[٢٨٠] **حدثنى أبو حاتم، قال:** حدثنا الأصمعى قال(٢): لما أُتِىَ علىٌّ عليه السلام بالمال أقعد بين يديه الوزَّان(٣) والنقاد(٤)، فكوَّم كومة من ذهب، وكومة من فضة، وقال: يا حمراء ويا بيضاء احمرى وابيضى وغرِّى غيرى، وأنشد:

هـذا جَنَاى وخيارُه فيه … إذ كل جان يدُه إلى فيه

[٢٨١] **حدثنى محمد بن عبيد،** عن معاوية بن عمرو، عن أبى إسحاق، عن إسماعيل بن أبى خالد، عن عاصم، قال: كان عمر بن الخطاب إذا بعث عاملا يشترط عليه أربعًا: ألا يركب البراذين(٥)، ولا يلبس الرقيق، ولا يأكل النقى(٦)، ولا يتخذ بوابًا .

---

(١) رتعوا: رتع: أكل وشرب ما شاء فى خصب وسعة أو هو الأكل والشرب رغدًا. انظر: القاموس المحيط، مادة [رتع].

(٢) ذكره صاحب كنز العمال (١٨٢/١٣) وعزاه إلى أبى نعيم فى الحلية ولابن عساكر.

(٣) الوزّان: الذين يزنون الأشياء ليعرفوا وزنها. انظر: لسان العرب، مادة [وزن].

(٤) النقاد: الذين يميزون الدراهم ويخرجون الزِّيف منها. انظر: لسان العرب، مادة [نقد].

(٥) البراذين، مفردها برذون: الدابة. انظر: لسان العرب، مادة [برذن].

(٦) النقى: نقوة الشىء: خياره. انظر: القاموس المحيط، مادة [نقى].

[٢٨٢] **وقيل:** مر ببناء يُبْنَى بحجارة وجصٍّ فقال: لمن هذا؟

فذكروا عاملا له على البحرين .

فقال: أبت الدراهم إلا أن تخرج أعناقها وشاطره ماله.

[٢٨٣] **وكان [عمر] يقول:** لي على كل خائن أميان الماء والطين[١].

[٢٨٤] **حدثني إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد، قال:** حدثنا قريش، بن أنس، عن سعيد، عن قتادة، قال: جاء كتاب عمر بن عبد العزيز إلى واليه : أن دع لأهل الخراج[٢] من أهل الفرات ما يتختمون[٣] به الذهب، ويلبسون الطيالسة[٤]، ويركبون البراذين، وخذ الفضل.

[٢٨٥] **حدثنا محمد بن عبيد،** عن هوذة، عن عوف، عن ابن سيرين وإسحاق عن النضر بن شميل عن ابن عون عن ابن سيرين: بمعناه، قال: لـمَّا قَدِمَ أبو هريرة من البحرين قال له عمر: يا عدو الله وعدو كتابه، أسرقت مال الله؟

قال أبو هريرة لست بعدو الله ولا عدو كتابه؛ ولكني عدو من عاداهما، ولم أسرق مال الله.

قال: فمن أين اجتمعت لك عشرة آلاف درهم؟

قال: خيلي تناسلت، وعطائي تلاحق، وسهامي تتابعت، فقبضتها منه.

قال أبو هريرة: فلما صليت الصبح استغفرت لأمير المؤمنين .

ثم قال لي عمر بعد ذلك: ألا تعمل؟

---

(١) أميان: شق، مان فلان: إذا شق الأرض للزرع، فكأنه يعاقبه. انظر: لسان العرب، مادة [مون].

(٢) أهل الخراج: من يخرجون الضريبة والجزية. انظر: لسان العرب، مادة [خرج].

(٣) يتختمون: يختم طبعه وتختم به أي لبسه. انظر: القاموس المحيط، مادة [ختم].

(٤) الطيالسة: الطيلس: الكثير من كل شيء. انظر: القاموس المحيط، مادة [طيس].

فقلت: لا.

قال: قد عمل من هو خير منك يوسف.

فقلت: يوسف نبى ابن نبى، وأنا ابن أميمة، أخشى ثلاثًا واثنتين.

قال: فهلا قلت: خمسًا؟

قلت: أخشى أن أقول بغير علم، وأحكم بغير حلم، وأخشى أن يُضْرَبُ ظهرى، ويُشْتَم عرضى، ويُنْزَعَ مالى.

[٢٨٦] **حدثنا محمد بن داود،** عن نصر بن قديد، عن إبراهيم بن المبارك، عن مالك بن دينار[١]، أنه دخل على بلال بن أبى بردة[٢]، وهو أمير البصرة .

فقال: أيها الأمير، إنى قرأت فى بعض الكتب: من أحمق من السلطان، ومن أجهل ممن عصانى، ومن أعزّ ممن أعزنى، أيا راعى السوء دفعت إليك غنمًا سمانًا سحاحًا[٣]، فأكلت اللحم، وشربت اللبن، وائتدمت[٤] بالسمن، ولبست الصوف، وتركتها عظامًا تتقعقع[٥].

---

(١) مالك بن دينار؛ هو: البصرى، أبو يحيى من رواة الحديث كان ورعا يأكل من كسبه وكان يكتب المصاحف بالأجرة توفى سنة (١٣١هـ). انظر: حلية الأولياء (٣٥٧/٢) تهذيب التهذيب (١٤/١٠).

(٢) بلال بن أبى بردة، هو: ابن عامر بن أبى موسى الأشعرى أمير البصرة وقاضيها كان فصيحًا أديبًا كان ثقة فى الحديث توفى سنة (١٢٦هـ). انظر: تهذيب التهذيب (٥٠٠/١).

(٣) سحاحًا: سحت الشاة والبقرة، سحًّا وسحوحًا إذا سمنت غاية السمن. انظر: لسان العرب، مادة [سحح].

(٤) ائتدمت: أدمة: خلط والأدمة: الخلطة والإدام: ما يؤتدم به مع الخبز، والأدم بالضم ما يؤكل بالخبز أى شيء كان، وفى الحديث : سيد إدام أهل الدنيا والآخرة اللحم. انظر: لسان العرب، مادة [أدم].

(٥) تتقعقع: القعقعة: حكاية صوت السلاح، وصريف الأسنان لشدة وقعها فى الأكل وتحريك الشيء اليابس الصلب مع صوت. انظر: القاموس المحيط، مادة [قعقع].

[٢٨٧] **حدثني محمد بن شبابة**، عن القاسم بن الحكم العُرني القاضي، قال: حدثني إسماعيل بن عياش، عن أبي محمد القرشي، عن رجاء بن حيوة، عن ابن مخرمة[١]، قال: إني لتحت منبر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالجابية[٢] حين قام في الناس، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، اقرءوا القرآن تُعْرفوا به، واعملوا به تكونوا من أهله، إنه لن يبلغ ذو حق في حقه أن يطاع في معصية الله.

ألا إنه لن يُبعِّد من رزق الله ولن يُقرِّب من أجلٍ أن يقول المرء: حقًّا وأن يُذَكَّر بعظيم.

ألا وإني ما وجدتُ صلاحَ ما ولاَّني الله إلا بثلاث: أداء الأمانة، والأخذ بالقوة، والحكم بما أنزل الله.

ألا وإني ما وجدت صلاح هذا المال إلا بثلاث: أن يُؤْخَذ من حق، ويُعْطَى في حق، ويُمْنَع من باطل.

ألا وإنمَّا أنا في مالكم هذا كوالي اليتيم إن استغنيت استعففت، وإن افتقرت أكلت بالمعروف، تقرُّم البهمة[٣].

[٢٨٨] **بلغني عن محمد بن صالح**، عن بكر بن خنيس، عن عبد الله بن عبيد ابن عمير، عن أبيه قال: كان زياد إذا ولى رجلاً، قال له: خُذْ عهدك وسِرْ الى عملك، واعلم أنك مصروف رأس سنتك، وأنك تصير إلي أربع خلال فاختر لنفسك: إنّا إن وجدناك أمينًا ضعيفًا؛ استبدلنا بك لضعفك، وسلَّمتك من معرتنا أمانتك.

---

(١) ابن مخرمة؛ هو: مخرمة بن القاسم بن المطلب القرشي المطلبي وهو فيمن أعطاهم النبي ﷺ من تمر خيبر. انظر: الإصابة (٦/٤١).

(٢) الجابية: موضع مدينة بالشام وبابها بدمشق، خطب فيها عمر بن الخطاب تلك الخطبة المشهورة. انظر: معجم البلدان (٢/١٠٦) ذكر الحميرى طرفا من هذه الخطبة وللاستزادة انظر الروض المعطار (١٥٣).

(٣) البهمة، جمعها بهم: وهي مشكلات الأمور. انظر: لسان العرب، مادة [بهم].

وإن وجدناك خائنًا قويًا؛ استهنا بقوتك، وأحسنًا على خيانتك أدبك؛ فأوجعنا ظهرك، وأثقلنا غرمك.

وإن جمعت علينا الجُرمين[1]؛ جمعنا عليك المضرَّتين[2].

وإن وجدناك أمينًا قويًا؛ زدناك فى عملك، ورفعنا لك ذكرك، وكثَّرنا مالك، وأوطأنا عقبك.

[٢٨٩] **قال العتبى**[3]: بُعِثَ إلى عمر بحلل، فقسمها، فأصاب كل رجل ثوب، فصعد المنبر وعليه حلة، والحلة ثوبان.

فقال: أيها الناس ألا تسمعون.

فقال سليمان: لا نسمع.

قال: ولما يا أبا عبد الله؟

قال: لأنك قسمت علينا ثوبًا ثوبًا وعليك حلة.

قال لا تعجل يا أبا عبد الله.

ثم نادى يا عبد الله، فلم يجبه أحد، فقال: يا عبد الله بن عمر.

قال: لبيك يا أمير المؤمنين.

قال: نشدتك بالله، الثوب الذى اتَّزرت[4] به هو ثوبك؟

قال: اللهم نعم.

فقال سليمان: أما الآن فقل نسمع.

---

(١) الجرمين: الجرم: الذنب. انظر: لسان العرب، مادة [جرم].

(٢) المضرتين: الضر: ضد النفع. انظر: القاموس المحيط، مادة [ضرر].

(٣) محمد بن عبد الله بن عمرو بن معاوية بن عتبة بن أبى سفيان العتبى أبو عبد الرحمن، كان أديبا فصيحا شاعرا وكان يشتهر بالأخبار توفى سنة (٢٢٨هـ). انظر: الفهرست (١٧٦) وفيات الأعيان (١/٥٢٣).

(٤) اتزرت: زررت القميص إذا سددت أزراره عليك. انظر: لسان العرب، مادة [زرر].

[٢٩٠] **بلغني عن حفص بن عمران الرازي**، عن الحسن بن عمارة، عن المنهال بن عمرو، قال: قال معاوية لشداد بن عمرو بن أوس: قم فاذكر عليًّا فتنقصه.

فقام شداد، فقال: الحمد لله الذي افترض طاعته على عباده، وجعل رضاه عند أهل التقوى آثر من رضا غيره؛ على ذلك مضى أوَّلهم وعليه يمضي آخرهم.

أيها الناس إن الآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك قادر، وإن الدنيا عرض حاضر يأكل منها البرّ والفاجر، وإن السامع المطيع لاحجة عليه، وإن السامع العاصي لا حجة له، وإن الله عز وجل إذا أراد بالناس صلاحًا عمَّل عليهم صُلَحَاءهم، وقضَّى بينهم فقهاءهم، وجعل المال في سمحائهم، وإذا أراد بالعباد شرًّا عَمَّل عليهم سفهاءهم، وقضَّى بينهم جهلاءهم، وجعل المال عند بخلائهم.

وإن من صلاح الولاة أن يصلح قرناؤها؛ نصحك يا معاوية من أسخطك بالحق، وغشَّكَ من أرضاك بالباطل.

فقال له معاوية: اجلس، وأمر له بمال.

وقال: ألست من السمحاء؟

فقال إن كان مالك دون مال المسلمين، تعمدت جمعه مخافة تبعته فأصَبته حلالاً، وأنفقته إفضالاً، فنعم، وإن كان مما شارك فيه المسلمون احتجنته[١] دونهم، أصبته اقترافًا وأنفقته إسرافًا، فإن الله عز وجل يقول ﴿**إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورًا**﴾[الإسراء:٢٧].

[٢٩١] **وقيل**: مر عمرو بن عبيد[٢] بجماعة عكوف، فقال ما هذا؟

---

(١) فاحتجنته: احتجن أي ضمه واحتواه. انظر: القاموس المحيط، مادة [حجن].

(٢) عمرو بن عبيد؛ هو: ابن باب التيمي بالولاء أبو عثمان، من شيوخ المعتزلة وأحد الزهاد. له رسائل وخطب منها (التفسير) (والرد على القدرية) توفي سنة (١٤٤هـ). انظر: وفيات الأعيان (٣٨٤/١) والبداية والنهاية (٧٨/١٠).

قالوا: سارق يقطع.

فقال: لا إله إلا الله، سارق السر يقطعه سارق العلانية.

[٢٩٢] **وقيل**[١]: مر طارق صاحب شرطة خالد القسرى[٢] بابن شبرمة[٣]، وطارق فى موكبه، فقال ابن شبرمة:

أراها وإن كانت تُحبُّ كأنها ... سحابةُ صيفٍ عن قريب تقشَّعُ[٤]

اللهم لى دينى ولهم دنياهم، فاستعمل ابن شبرمة بعد ذلك على القضاء.

فقال له ابنه: أتذكر يوم مر بك طارق فى موكبه، وقلت ما قلت؟

فقال: يا بنى، إنهم يجدون مثل أبيك ولا يجد مثلهم أبوك، إن أباك أكل من حلوائهم[٥] وحط فى أهوائهم.

[٢٩٣] **وقيل**: وَلِى عبد الرحمن بن الضاحك بن قيس المدينة سنتين، فأحسن السيرة وعفَّ عن أموال الناس، ثم عُزِل، فاجتمعوا إليه، فأنشد لدراج الضبابى.

فلا السجن أبكانى ولا القيد شفَّنى ... ولا أننى من خشية الموت أجزع

ولكن أقوامًا أخاف عليهم ... إذا مِتُّ أن يُعْطوا الذى كنت أمنع

ثم قال: والله ما أسفت على هذه الولاية؛ ولكننى أخشى أن يلى هذه الوجوه من لا يرعى لها حقها.

[٢٩٤] **ووجدت فى كتاب** لعلى بن أبى طالب، كرَّم الله وجهه إلى ابن عباس حين أخذ من مال البصرة ما أخذ. إنى أشركتك فى أمانتى ولم يكن

---

(١) انظر: البيان والتبيين (٣/١٤٦).

(٢) سبقت ترجمته فى [١٠٠].

(٣) ابن شبرمة؛ هو: عبد الله بن حسان الضبى، أبو شبرمة الكوفى القاضى ولاه أبو جعفر المنصور قضاء الكوفة توفى سنة (١٤٤هـ). انظر: تهذيب (٢/٣٥١).

(٤) تقشع: تنجلى وتزول. انظر: القاموس المحيط، مادة [قشع].

(٥) حلوائهم: الحلوى والحلو ضد المر. انظر: القاموس المحيط، مادة [حلو].

رجل من أهلى أوثق منك فى نفسى، فلما رأيت الزمان على ابن عمك قد كلب[1]، والعدو قد حرب؛ قلبت لابن عمك ظهر المجنّ[2] بفراقه مع المفارقين، وخذلانه مع الخاذلين، واختطفت ما قدرت عليه من أموال الأمة اختطاف الذئب الأزلّ دامية المعزى.

وفى الكتاب: ضح رويدا، فكأنَّ قد بلغت المدى، وعرضت عليك أعمالك بالمحل الذى ينادى المغتر بالحسرة، ويتمنى المضيع التوبة، والظالم الرجعة.

[٢٩٥] **وفى كتاب** لعمر بن عبد العزيز إلى عدى بن أرطاة[3]: غرَّنى منك مجالستك القرَّاء، وعمامتك السوداء؛ فلمَّا بلوناك[4] وجدناك على خلاف ما أمَّلناك. قاتلكم الله، أما تمشون بين القبور.

[٢٩٦] **قال ابن أحمر[5] يذكر عمال الصدقة:**

إن العياب التى يخفون مشرجة ... فيها البيان ويلوى عندك الخبر[6]

فابعث إليهم فحاسبهم محاسبة ... لا تخف عين على عين ولا أثر

هل فى الثمانى من السبعين مظلمة ... وربها بكتاب الله مصطبر

---

(١) كلب: ألح واشتد. انظر: لسان العرب، مادة [كلب].

(٢) المجن: الترس. انظر: لسان العرب، مادة [مجن]. وقولهم : قلب له ظهر المجن أى انقلب عما كان عليه من ودِّه . انظر: جمهرة الأمثال (١٣٧٩).

(٣) سبقت ترجمته [٧٤].

(٤) بلوناك: بلوت الرجل بلوًّا وبلاء ابتليته: اختبرته. انظر: لسان العرب، مادة [بلو].

(٥) ابن أحمر، هو: عمرو بن أحمر بن العمرد بن عامر الباهلى، أبو الخطاب: شاعر مخضرم. غزا مغازى فى الروم، أدرك عبد الملك بن مروان، له ديوان مطبوع. توفى نحو (٦٥هـ). انظر: خزانة الأدب للبغدادى (٣/٣٨)، والإصابة (ت ٦٤٦٨)، والأغانى (٨/٢٣٤).

(٦) العياب: الصدور والقلوب. مشرجة: الشرج عُرى المصحف والعيبة والخباء. انظر: القاموس المحيط، مادة [عيب ، شرج].

[٢٩٧] وقال عبد الله بن همام السلولى[(١)]:

أقلّـى عَلـىَّ اللّـوْمَ يـا أم مـالك	**وذمِّى زماناً سـاد فيـه الفلاقـس[(٢)]**
وسـاعٍ مـع السـلطان ليـس بنـاصح	**و محترس مـن مثلـه وهـو حـارس**

[٢٩٨] وقيل: قدم بعض عمال السلطان من عمل فدعا قومًا، فأطعمهم وجعل يحدثهم بالكذب.

فقال بعضهم: نحن كما قال الله عز وجل ﴿**سماعون للكذب أكالون للسحت**﴾[المائدة:٤٢].

[٢٩٩] قال بعض الشعراء:

مـا ظنكـم بأنـاس خـير كسـبهم	**مصرَّح السـحت سـموه الإصابـات**

[٣٠٠] وقال أبو نواس[(٣)] فى إسماعيل بن صبيح:

بنيـت بمـا خنـت الإمـام سِـقَاية	**فـلا شـربوا إلا أمـرٌ مـن الصـبر**
فمـا كنـت إلا مثـل بائعـة اسـتها	**تعودُ علـى المرضـى بـه طلـب الأجـر**

يريد معنى الحديث: أن امرأة كانت فى بنى إسرائيل تزنى بحب الرمَّان، وتتصدق به على المرضى.

---

(١) عبد الله بن همام السلولى؛ هو: ابن نبيشة بن رياح من بنى مرة بن صعصعة. شاعر إسلامى، وهو من شعراء الدولة الأموية. توفى سنة (١٠٠هـ). انظر: الشعر والشعراء ص (٢٤٨) سبط اللآلى ص (٦٨٣).

(٢) الفلاقس: الفلقس: البخيل اللئيم. انظر: لسان العرب، مادة [فلقس].

(٣) أبو نواس؛ هو: الحسن بن هانئ بن عبد الأول بن صباح، شاعر العراق فى عصره كان عالما باللغة فصيحا من آثاره ديوان ، توفى سنة (١٩٨هـ). انظر: تهذيب ابن عساكر (٢٥٤/٤)، وفيات الأعيان (١٣٥/١).

[٣٠١] وقال فيه أيضًا لمحمد الأمين[(١)]:

ألست أمين الله سيفك نقمة ... إذا ماق يوماً فى خلافك مائق[(٢)]
فكيف بإسماعيل يُسْلِم مثلُه ... عليكَ ولم يسلم عليك منافقُ
أُعيذك بالرحمنِ من شرِّ كاتب ... له قلم زان وآخر سارق

[٣٠٢] وقال فيه أيضًا:

ألا قلْ لإسماعيل إنك شاربٌ ... بكأس بنى ماهان ضربة لازم[(٣)]
أتسمن أولادَ الطَّريد ورَهْطه ... بإهزال آل الله من نسل هاشم
وتخبر من لاقيت أنك صائمٌ ... وتغدو بفرج مفطر غير صائم
فإن يسر إسماعيل فى فجراته ... فليس أمير المؤمنين بنائم

[٣٠٣] ولى حارثة بن بدر[(٤)] سُرَّقَ[(٥)] فكتب إليه أنس الدؤلى:

أحار بنَ بدر قد وُلِّيت ولايةً ... فكن جُرَذًا فيها تخون وتسرق[(٦)]
وبار تميما بالغنى إن للغنى ... لسانا به المرء الهَيُوبَة ينطقُ[(٧)]
فإن جميعَ الناسِ إما مكذِّب ... يقول بما يهوى وإما مصدِّقُ
يقولون أقوالاً ولا يعلمونها ... وإن قيل هاتوا حقِّقوا لم يحقِّقوا
ولا تَحْقِرَنْ يا حارِ شيئًا أصبتَه ... فحظُّك من مُلك العراقين سُرَّقُ

فلما بلغت حارثة قال : لا يعمى عليك الرشد.

---

(١) محمد الأمين؛ هو: ابن هارون الرشيد بن المهدى بن المنصور خليفة عباسى، كان شجاعًا أديبًا رقيق الشعر توفى سنة (١٩٨هـ). انظر: تاريخ بغداد (٣٣٦/٣) الكامل لابن الأثير (٩٥/٦).
(٢) ماق: الموق: الحمق فى غباوة. انظر: القاموس المحيط، مادة [موق].
(٣) بنى ماهان: بنى الخدم والعبيد. انظر: لسان العرب، مادة [مهن].
(٤) حارثة بن بدر؛ هو: ابن حصين بن قطن بن مالك بن غدانة بن زيد مناة بن تميم، الغدانى، وله أخبار فى الفتوح . وغرق فى ولاية عبد الله بن الحارث بالعراق. توفى سنة (٦٤هـ). انظر: الإصابة (١٣٨/٢).
(٥) سرق: إحدى كور الأهواز نهر عليه بلاد حفرة وكان يقال لها الدورق. انظر: معجم البلدان (٢٤١/٣).
(٦) الجرذ: الذكر من الفأر، وقيل الكبير من الفأر. انظر: لسان العرب، مادة [جرذ].
(٧) الهيوبة: الجبان الذى يهاب الناس. انظر: القاموس المحيط، مادة [هوب].

[٣٠٤] **حدثني أبو حاتم**، عن الأصمعي، عن جُوَيرية بن أسماء، قال: قال فلان: إن الرجل ليكون أمينًا فإذا رأى الضياع[1] خان.

[٣٠٥] **قرأت في كتاب أبرويز إلى ابنه شيرويه:** اجعل عقوبتك على اليسر من الخيانة كعقوبتك على الكثير منها، فإذا لم يطمع منك في الصغير لم يُجترأ عليك في الكبير.

وأبْرِد البريد في الدرهم ينقصُ من الخراج.

ولا تعاقِبنَّ على شيء كعقوبتك على كسره.

ولا ترزقنَّ على شيء كرزقك على إزجائه[2]، واجعل أعظم رزقك فيه وأحسن ثوابك عليه حقن دم المزجي، وتوفير ماله من غير أن يعلم أنك أحمدت أمره حين عفَّ واعتصم من أن يهلك.

[٣٠٦] **وقرأت في التاج:** أن أبرويز، قال لصاحب بيت المال: إني لا أحتملك على خيانة درهم، ولا أحمدك على حفظ ألف ألف درهم؛ لأنك إنما تَحقِنُ بذلك دمك، وتعمر به أمانتك؛ فإنك إن خنت قليلاً خنت كثيرًا.

واحترس من خصلتين: النقصان فيما تأخذ، والزيادة فيما تعطي.

واعلم أني لم أجعل أحداً على ذخائر الملك وعمارة المملكة والعدَّة إلا وأنت آمن عندي من موضعه الذي هو فيه، وخواتيمه التي هي عليها، فحقق ظني في اختياري إياك أحقق ظنك في رجائك لي، ولا تتعوض بخير شرًّا، ولا برفعة ضعة، ولا بسلامة ندامة، ولا بأمانة خيانة.

[٣٠٧] **وكان يقَال:** كفى بالمرء خيانة أن يكون أمينًا للخونة.

---

(١) الضياع: المال من أرض ونخلٍ. انظر: لسان العرب، مادة [ضيع].

(٢) إزجائه: دفعه برفق وساقه سوقًا لينًا. انظر: لسان العرب، مادة [زجا].

[٣٠٨] **وقيل:** قدم معـاذ[1] من اليمـن بعد وفـــاة رسـول اللـه ﷺ علـى أبى بكر رضي الله عنه.

فقال له: ارفع حسابك.

فقال: أحسابان، حساب من الله وحساب منكم، لا والله، لا أَلِى لكم عملاً أبدًا.

[٣٠٩] **ذكر أعرابى رجلاً خائناً فقــال:** إن النـاس يـأكلون أمانـاتهـم لقمًـا، وإن فلانًا يحسوها حسْوًا.

[٣١٠] **قال بعـض السـلاطين لعـامل لـه:** كُـلّ قليـلاً تعمـل طويـلاً، والـزم العفاف يلزمك العمل، وإياك والرُّشا[2] يشتد ظهرك عند الخصام.

---

(١) معاذ، هو: ابن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ الأنصـارى روى عـن النبـى ﷺ كثـيرا مـن الأحاديث شهد بدرًا وهو ابن إحدى وعشرين سنة وهو إمام الفقهـاء وكـنز العلمـاء، وكـان من أفضل شباب الأنصار. توفى عام (١٧هـ). انظر: الإصابة (٦/١٠٧).

(٢) الرُّشا، جمع الراش وهو: الذى يُعطى مالاً لمن يعينه علـى الباطـل. انظــر: لسـان العـرب، مادة [رشا].

الفصل العاشـــر
القضــــاء

القضـــاء

[٣١١] **حدثنا إسحاق بن راهويه، قال:** أخبرنا بشر بن المفضَّل بن لاحق، قال: حدثنا المغيرة بن محمد، عن عمر بن عبد العزيز، قال: لا ينبغي للرجل أن يكون قاضيًا حتى تكون فيه خمس خصال: يكون عالماً قبل أن يستعمل، مستشيرًا لأهل العلم، ملقيًا للرثع[١]، منصفاً للخصم، محتملاً للأئمة[٢].

[٣١٢] **حدثني علي بن محمد، قال:** حدثنا إسماعيل بن إسحاق الأنصارى، عن عبد الله بن لهيعة، عن عبد الله بن هبيرة، عن علىٍّ عليه السلام، أنه قال[٣]: ذمتي رهينة وأنا به زعيم لمن صرحت له العبر ألاّ يهلك على التقوى زرع قوم، ولا يظمأ على التقوى سنخ[٤] أصل.

ألا وإن أبغض خلق الله إلى الله رجل قمش[٥] جهلاً غارًّا بأغباش[٦] الفتنة، عميّاً بما في عقد الهدنة، سماه أشباهه من الناس عالماً ولم يُغْن فى العلم يومًا سالمًا، بكّر فاستكثر، ما قلَّ منه فهو خير مما كثر، حتى إذا ما ارتوى من آجن[٧]، واكتنز من غير طائل؛ قعد بين الناس قاضيًا؛ لتخليص ما التبس على غيره.

إن نزلت به إحدى المُبْهَمَات هيأ حشوًا رثًا من رأيه، فهو من قطع الشبهات فى مثل غزل العنكبوت.

لا يعلم إذا أخطأ، لأنه لا يعلم أأخطأ أم أصاب.

خبَّاط عَشَوات ركّاب جهالات.

---

(١) الرثع: الطمع والحرص الشديد والميل إلى الدَّناءة. انظر: لسان العرب مادة [رثع].

(٢) انظر: البيان والتبيين (٢/١٥٠).

(٣) ذكره صاحب كنز العمال (١٦/١٩٨) وعزاه إلى ابن عساكر.

(٤) سنخ: أصل، سنخ كل شيء أصله . انظر: اللسان، مادة [سنخ].

(٥) القمش: الرديء من كل شيء . انظر: اللسان، مادة [قمش].

(٦) أغباش، جمع غبش: وهو شدة الظلمة.انظر: لسان العرب، مادة [غبش].

(٧) آجن: وهو الماء المتغير الطعم واللون. انظر: اللسان، مادة [أجن].

لا يعتذر مما لا يعلم فيسلم، ولا يعضُّ فى العلم بضرس قاطع، يذرو الرواية ذرو الريح الهشيم.

تبكى منه الدماء، وتصرخ منه المواريث، وَيسْتَحِلُّ بقضائه الفرج الحرام.

لا مليء والله بإصدار ما ورد عليه ولا أهل لما قرِّظ[1] به.

[٣١٣] **قال ابن شبرمة**[2]:

ما فى القضاء شفاعة لمخاصم	**عند اللبيب ولا الفقيه الحاكم**
أهون عَلَىّ إذا قضيت بسنة	**أو بالكتاب برغم أنف الراغم**
وقضيت فيما لم أجد أثراً به	**بنظائر معروفة ومعالم**

[٣١٤] **عن الهيثم**، عن ابن عياش، عن الشعبى[3]، قال: كان أول قاض قضى لعمر بن الخطاب بالعراق سلمان بن ربيعة الباهلى[4]، ثم شهد القادسية[5] وكان قاضيًا بها، ثم قضى بالمدائن[6]، ثم عزله عمر، واستقضى شرحبيل[7] على المدائن، ثم عزله، واستقضى أبا قرة الكندى وهو اسمه فاختطّ الناس الكوفة وقاضيهم أبو قرة.

---

(١) قرَّظ: مُدِح ويقال لا هو أهل لما قرظ به: أى لما مُدح به. اللسان، مادة [قرظ].

(٢) تقدمت ترجمته [٢٩٢].

(٣) تقدمت ترجمته [٢٢].

(٤) الباهلى؛ هو: سلمان بن ربيعة بن يزيد بن ثعلبة الباهلى. روى عنه كبار التابعين، كان يلى الخيول أيام عمر، وهو أول من استقضى على الكوفة، وكان رجلاً صالحًا يحج كل سنة. توفى نحو ثلاثين هجريًا. انظر: الإصابة (١١٧/٣).

(٥) القادسية: قاتل المسلمون يومها بقيادة سعد بن أبى وقاص الفرس فى أيام عمر بن الخطاب سنة (١٦) من الهجرة. معجم البلدان (٣٣١/٤).

(٦) المدائن : كان فتحها على يد سعد بن أبى وقاص سنة (١٦هـ) وهى سبع مدائن بين الواحدة وأختها مسافة قريبة أو بعيدة وأسماؤها بعد تعريبها هى ١- اسفانبر، ٢- بهرسبر، ٣- جند يسابور، ٤- ورزيجان، ٥- رومية، ٦- نونيا فاذ، ٧- كردافاذ؟ عُرِّبتا على اللفظ. معجم البلدان (٨٨/٥).

(٧) شرحبيل، هو: ابن المطاع بن الغطريف، الكندى، غزا مع النبى ﷺ وأوفده رسولا إلى مصر، وكان أحد الأمراء فى عهد أبى بكر لفتح الشام، وله رواية عن النبى ﷺ . توفى سنة (١٨هـ). انظر: الإصابة (٢٦٥/٣).

ثم استقضى شريح بن الحارث الكندى[1]، فقضى خمساً وسبعين سنة إلا أن زياداً أخرجه مرة إلى البصرة، واستقضى مكانه مسروق بن الأجدع[2] سنة، حتى قدم شريح فأعاده ولم يزل قاضيًا حتى أدرك الفتنة فى زمن ابن الزبير، فقعد ولم يقض فى الفتنة.

فاستقضى عبد الله بن الزبير[3] رجلاً مكانه ثلاث سنين، فلما قُتِلَ ابن الزبير أُعِيدَ شريح على القضاء، فلقى رجلٌ شريحًا فى الطريق .

فقال: يا أبا أمية قضيت والله بجور.

قال: وكيف ذاك؟ ويحك.

قال: كبرت سنك واختلط عقلك وارتشى ابنك.

فقال شريح: لا جرم، لا يقولها أحدٌ بعدك.

فأتى الحجاج فقال: والله لا أقضى بين اثنين.

قال: والله لا أعفيك أوتبغينى رجلاً.

فقال شريح: عليك بالعفيف الشريف أبى بردة بن أبى موسى[4].

فاستقضاه الحجاج وألزمه سعيد بن جبير[5] كاتبًا ووزيرًا.

---

(١) شريح، هو: ابن الحارث بن قيس الكندى، أبو أمية، تولى القضاء فى عهد عمر وعثمان وعلى، وولاه زياد قضاء البصرة. توفى عام (٧٢هـ). انظر: الإصابة (٣/٢٧٠).

(٢) مسروق بن الأجدع، هو: ابن مالك الهمدانى الوادعى، أبو عائشة، تابعى ثقة من أهل اليمن، شهد حروب على ﷺ كان عالمًا بالفتيا. توفى سنة (٦٣هـ). انظر: تهذيب (١٠/١٠٩).

(٣) عبد الله بن الزبير، هو: ابن العوام بن خويلد بن عبد العزى القرشى الأسدى، أبو بكر أحد العبادلة وأحد الشجعان. وهو أول مولود ولد للمهاجرين بعد الهجرة. توفى سنة (٧٣هـ). انظر: الإصابة (٤/٧٨).

(٤) أبو بردة، هو: عامر بن أبى موسى عبد الله بن قيس الأشعرى، أبو بردة، قاضى الكوفة كانت له مكارم ومآثر وأخبار. توفى سنة (١٠٣هـ). وفيات الأعيان (١/٢٤٣).

(٥) سعيد بن جبير، هو: الأسدى بالولاء، الكوفى، أبو عبد الله، تابعى كان أعلمهم على الإطلاق أخذ العلم عن عبد الله بن عباس وابن عمر . توفى سنة (٩٥هـ). انظر: وفيات الأعيان (١/٢٠٤)، وطبقات ابن سعد (٦/١٧٨).

[٣١٥] **وروى الثورى،** عن علقمة بن مرثد، أنه لقى محارب بن دثار[١]، وكان على القضاء.

فقال له: يا محارب، إلى كم تردد الخصوم؟

فقال له: إنى والخصوم، كما قال الأعشى:

أرقتُ وما هذا السُّهاد المؤرِّق ... وما بى من سقم وما بى مَعْشَقُ[٢]

ولكن أرانى لا أزال بحادث ... أغادى بما لم يمس عندى وأطرق

[٣١٦] **حدثنى** إسحق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد، عن قريش بن أنس، عن حبيب بن الشهيد، قال: كنت جالسًا عند إياس بن معاوية، فأتاه رجل فسأله عن مسألة، فطوَّل فيها.

فقال إياس: إن كنت تريد الفُتْيَا فعليك بالحسن معلمى ومعلم أبى.

وإن كنت تريد القضاء فعليك بعبد الملك بن يعلى، وكان على قضاء البصرة يومئذ.

وإن كنت تريد الصلح فعليك بحميد الطويل[٣]، وتدرى ما يقول لك؟ يقول لك: حطَّ شيئًا، ويقول لصاحبك: زده شيئًا حتى نصلح بينكما.

---

(١) محارب بن دثار، هو: ابن كردوس السدوسى الشيبانى، الكوفى، أبو المطرف، قاضى الكوفة، فقيهًا فاضلاً، زاهدًا شجاعًا. توفى سنة (١١٦هـ). انظر: تهذيب التهذيب (٤٩/١٠)، النجوم الزاهرة (٢٨٧/١).

(٢) السهاد: الأرق وهو نقيض الرُّقاد. معشق: العشق هو فرط الحب، والمعشق هو العشق. انظر: اللسان، مادة [سهد ، عشق].

(٣) حميد، هو: ابن أبى حميد الطويل، أبو عبيدة الخزاعى البصرى، تابعى، من أهل الحديث، مات وهو قائم يصلى. توفى سنة (١٤٢هـ). انظر: العبر (١٩٤/١)، شذرات الذهب (٢١١/١).

وإن كنت تريد الشغب فعليك بصالح السدوسّى، وتدرى ما يقول لك؟ يقول لك: اجحد ما عليك. ويقول لصاحبك: ادع ما ليس لك وادَّع بيِّنة غيبًا.

[٣١٧] **قرأت فى الآيين**: ينبغى للحاكم أن يعرف القضاء الحق العدل، والقضاء العدل غير الحق والقضاء الحق غير العدل، ويقايس بتثُّبت وروية، ويتحفَّظ من الشبهة.

والقضاء الحقُّ العدل عندهم: قتل النفس بالنفس.

والقضاء العدل غير الحق: قتل الحر بالعبد.

والقضاء الحق غير العدل: الدية على العاقلة.

[٣١٨] **حدثنى** عبد الرحمن بن عبد الله ابن أخى الأصمعى، قال: حدثنى عمى الأصمعى، قال: قال أعرابى لقوم يتنازعون: هل لكم فى الحق أو فيما هو خير من الحق؟

فقيل:وما يكون خيرًا من الحق؟

قال: التحاطّ[(١)] والهضم[(٢)]، فإن أخذ الحق كله مر.

[٣١٩] **حدثنى أبو حاتم**، عن الأصمعى، قال: اختلف رجلان فى شىء فحكَّما رجلاً له فى المخطئ هوى، فقال للمخطئ: من يقول بقولك أكثر.

[٣٢٠] **عن الهيثم بن عدى قال**: تقدَّمت كُلثُم بنت سريع مولى عمرو بن حريث[(٣)]، وأخوها الوليد إلى عبد الملك بن عمير[(٤)]، وهو قاضى الكوفة، وكان ابنه عمرو بن عبد الملك يرمى بها فقضى لها.

---

(١) التحاط: الحفظ والتعهد والأخذ فى الأمور بالأحزم. اللسان، مادة [حوط].

(٢) الهضم: التواضع واللين. اللسان، مادة [هضم].

(٣) عمرو بن حريث؛ وهو: ابن عثمان بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم القرشى صحابى ولى إمرة الكوفة لزياد ثم لابنه عبد الله بن زياد. توفى عام (٨٥هـ). انظر: الإصابة (٤/٥١٠).

(٤) عبد الملك بن عمير؛ هو: ابن سويد بن حارثة القرشى، أبو عمرو القبطى، روى عن الأشعث ابن قيس، وجابر بن سمرة والمغيرة. توفى سنة (١٣٦هـ). انظر: تهذيب التهذيب (٢/٦٢٠).

فقال هذيل الأشجعي[1] :

أتــاه رفيــقٌ بالشــهود يســوقهم	على ما ادعت من صامت المال
فــأدلى وليــدٌ عنــد ذاك بحقّــه	وكــان وليــدٌ ذا مــراء وذا جَــدَلْ
ففتّنــت القبطــيَّ حتــى قضــى لهــا	بغير قضاء الله في السّــور الطُّــوَلْ
فلو كـان من في القصـر يعلم علمه	لما اسـتُعمل القبطـيُّ فينـا على عَمَـلْ
لــه حيـن يقضــى للنســاء تخَــاوُصٌ	وكان وما منــه التخـاوص والحَـوَل[2]
إذا ذاتُ دلٍّ كلّمتــــه لحاجــــة	فهـمَّ بـأن يقضي تنحنـح أو سَــعَلْ[3]
وبــــرق عينيـــه ولاك لســــانه	يرى كل شئ مـا خـلا شخصها جَلَـل

فكان عبد الملك بن عمير يقول: والله لربما جاءتني السعلة أو التنحنـح وأنـا في المتوضَّأ فأكف عن ذلك[4].

[٣٢١] **وقال ابن منــاذر**[5]، في خالــد بن طليــق، وكـان قــد ولي قضــاء البصرة[6]:

قــل لأمــير المؤمنيـــن الــذى	مـن هاشــم فــي ســرِّها واللبــاب
إن كنـــت للســـخطة عاقبتنـــا	بخـــالد فهـــو أشـــدُّ العقـــاب[7]

---

(١) هذيل الأشجعي، هو: ابن عبد الله بن سالم بن هلال، شـاعر هجـاء، مـن أهـل الكوفـة. لـه هجاء في ثلاثة من قضاتها عبد الملـك بـن عمير، والشعبي، وابـن أبـي ليلي. توفي نحـو (١٢٠هـ). انظر: جمهرة الأنساب ، الأعلام (٨/٨٠).

(٢) التخاوص: غمض البصر عند النظر إلى النساء. اللسان، مادة [خوص].

(٣) دل: حسنة الحديث. اللسان، مادة [دلل].

(٤) انظر: البيان والتبيين (٤/٨١).

(٥) ابن مناذر، هو: محمد بن مناذر، أبو جعفر مولى بني حبير بن يربـوع شـاعر كثير الأخبـار والنـوادر كـان مـن علمـاء الأدب واللغـة. توفي سنة (١٩٨هـ). انظــر: إرشـاد الأريــب (١٠٧/٧)، الأغاني (١٧٣/١٨).

(٦) انظر: البيان والتبيين (٢٨٥/٢).

(٧) السخطة: الكراهية للشيء وعدم الرضا به والغضب منه. انظر: اللسان، مادة [سخط].

كان قضاة الناس فيما مضى ... من رحمة الله وهذا عذاب

يا عجبًا من خالد كيف لا ... يخطئ فتيا مرةً بالصواب

[٣٢٢] وقال فيه :

جعل الحاكم يا للنـ ... ـاس من آل طليق[1]

ضحكة يحكم في النا ... س برأى الجاثليق[2]

أى قاض أنت في النقـ ... ـص وتعطيل الحقوق

يا أبا الهيثم ما أنـ ... ـت لهذا بخليق

لا ولا أنت لما حمـ ... ـلت منه بمطيق

[٣٢٣] **وقيل**: أراد عدى بن أرطاة، بكر بن عبد الله المزنى[3]، على القضاء.

فقال له بكر: والله ما أحسن القضاء، فإن كنت كاذبًا أو صادقًا فما يحل لك أن توليني.

[٣٢٤] **وروى عبد الرزاق**، عن معمر، قال: لما عُزِلَ ابن شبرمة عن القضاء.

قال له والي اليمن: اختر لنا رجلاً نوليه القضاء.

فقال له ابن شبرمة: ما أعرفه.

فذكر له رجل من أهل صنعاء فأرسل إليه فجاء.

فقال له ابن شبرمة: هل تدرى لم دُعيت؟

قال: لا.

قال: إنك قد دعيت لأمر عظيم، للقضاء.

---

(١) آل طليق: معنى طليق مستبشر منبسط الوجه متهلله. انظر: اللسان، مادة [طلق].

(٢) الجاثليق: رئيس للنصارى في بلاد الإسلام بمدينة السلام. القاموس، مادة [جثلق].

(٣) بكر بن عبد الله المزنى، هو: ابن عمرو، أبو عبد الله البصرى، ثقة جليل، روى عن أنس وابن عباس وابن عمير، توفى سنة (١٠٦هـ). انظر: تهذيب التهذيب (١/٢٤٤).

قال: ما أيسر القضاء.

فقال له ابن شبرمة: فنسألك عن شيء يسير منه.

قال: سل.

قال له ابن شبرمة: ما تقول في رجل ضرب بطن شاة حامل، فألقت ما في بطنها؟

فسكت الرجل.

فقال له ابن شبرمة: إنّا بلوناك فما وجدنا عندك شيئًا.

فقيل له: ما القضاء فيها؟

قال ابن شبرمة تقوَّم حاملاً وتقوَّم حائلاً ويُغْرم قدر ما بينهما.

[٣٢٥] **حدثني عبد الله بن محمد الخلنجي قال:** كان يحيى بن أكثم يمتحن من يريدهم للقضاء.

فقال لرجل: ما تقول في رجلين زوج كل منهما الآخر أمه، فولد لكل واحد من امرأته ولد، ما قرابة ما بين الولدين؟

فلم يعرفها.

فقال له يحيى: كل واحد من الولدين عم الآخر لأمه.

[٣٢٦] **وقيل:** دخل رجل من أهل الشام على عبد الملك بن مروان.

فقال: إني تزوجت امرأة؛ وزوجت ابني أمها ولا غنى بنا عن رفدك(١).

فقال له عبد الملك: إن أخبرتني ما قرابة ما بين أولادكما إذا أولدتما، فعلت.

قال: يا أمير المؤمنين، هذا حميد بن بحدل قد قلدته سيفك ووليته ما وراء بابك فسله عنها، فإن أصاب لزمني الحرمان، وإن أخطأ اتسع لي العذر. فدعا بالبحدلي فسأله.

---

(١) رفدك: عطائك وصلتك والرفد: العطاء والصلة. انظر: لسان العرب، مادة [رفد].

فقال: يا أمير المؤمنين، إنك ما قدَّمتنى على العلم بالأنساب؛ ولكن على الطعن بالرماح، أحدهما عم الآخر والآخر خاله.

[٣٢٧] **قال ابن سيرين**[(١)]: كُنَّا عند أبى عبيدة بن أبى حذيفة[(٢)] فى قُبَّة له وبين يديه كانون له فيه نار، فجاءه رجل فجلس معه على فراشه، فساره بشىء لا ندرى ما هو.

فقال له أبو عبيدة: ضع لى إصبعك فى هذه النار.

فقال له الرجل: سبحان الله، تأمرنى أن أضع لك إصبعى فى هذه النار.

فقال له أبو عبيدة: أتبخل على بإصبع من أصابعك فى نار الدنيا وتسألنى أن أضع لك جسدى كله فى نار جهنم.

قال: فظننا أنه دعاه إلى القضاء.

[٣٢٨] **كان يقال**: ثلاث إذا كُنَّ فى القاضى فليس بكامل: إذا كره اللوائم، وأحب المحامد، وكره العزل.

وثلاث إذا لم تكن فيه فليس بكامل: يشاور وإن كان عالمًا، ولا يسمع شكية من أحد حتى يكون معه خصمه، ويقضى إذا علم.

[٣٢٩] **قالوا**: ويحتاج القاضى إلى العدل فى لحظه ولفظه[(٣)]، وقعود الخصوم بين يديه، وألاَّ يقضى وهو غضبان، ولا يرفع صوته على أحد الخصمين ما لايرفعه على الآخر.

---

(١) ابن سيرين، هو: محمد بن سيرين البصرى، الأنصارى بالولاء، أبو بكر من كبار الأئمة فى علوم الدين، تابعى، روى الحديث، واشتهر بالورع وتعبير الرؤيا. له: تعبير الرؤيا، توفى سنة (١١٠هـ). انظر: حلية الأولياء (٢/٢٦٣)، وفيات الأعيان (١/٤٥٣).

(٢) أبو عبيدة بن أبى حذيفة؛ هو: ابن اليمان العبسى الكوفى روى عن أبيه، وعمته فاطمة وأبى موسى الأشعرى. انظر: تهذيب التهذيب (٤/٥٥٢).

(٣) لحظه، ولفظه: نظره من جانبى أذنه ولفظه : ما يتلفظ به من كلام اللسان، مادة [لحظ، لفظ].

[٣٣٠] **قال الشعبي**[١]: حضرت شريحًا ذات يوم وجاءته امرأة تخاصم زوجها، فأرسلت عينيها فبكت.

فقلت: يا أبا أمية ما أظنها إلا مظلومة.

فقال: يا شعبي، إن إخوة يوسف جاءوا أباهم عشاءً يبكون.

[٣٣١] **بلغني عن كثير بن هشام**، عن جعفر بن برقان قال[٢]: كتب عمر ابن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري كتابًا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله؛ عمر، أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس[٣]، سلام عليك، أما بعد؛ فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة، فافهم إذا أُدْلِيَ إليك، فإنه لا ينفع تكلُّم بحق لا نفاذ له، آسِ بين الناس في مجلسك ووجهك حتى لا يطمع شريف في حَيْفك، ولا ييأس ضعيف من عدلك.

البيِّنة على من ادَّعى واليمين على من أنكر، والصلح جائز بين الناس، إلا صلحًا أحلَّ حرامًا أو حرَّم حلالاً.

ولا يمنعك قضاءٌ قضيته بالأمس فراجعت فيه نفسك وهديت لرشدك أن ترجع إلى الحق، فإن الحق لا يبطله شيء، واعلم أن مراجعة الحق خير من التمادي في الباطل.

الفهم الفهم فيما يتلجلج في صدرك مما ليس فيه قرآن ولا سنة، واعرف الأشباه والأمثال، ثم قس الأمور عند ذلك، ثم اعمد لأحبها إلى الله وأشبهها بالحق فيما ترى.

اجعل لمن ادعى حقًّا غائبًا أمدًا ينتهي إليه فإن أحضر بيِّنة أخذ بحقه وإلا استحللت عليه القضاء.

---

(١) سبقت ترجمته [٢٢].

(٢) انظر البيان والتبيين (٢/٤٨).

(٣) تقدمت ترجمته [٥١].

والمسلمون عدول فى الشهادة إلا مجلودًا فى حد أو مجرَّبًا عليه شهادة زور، أو ظِنينًا فى ولاء أو قرابة.

إن الله تَوَلَّى منكم السرائر ودرأ عنكم بالبينات.

وإياك والقلق والضجر والتأذى بالخصوم فى مواطن الحق التى يوجب الله بها الأجر ويُحْسِن الذّخر، فإنه من صلحت سريرته فيما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس، ومن تزين للدنيا بغير ما يعلم الله منه شانه الله، والسلام.

[٣٣٢] وقال[1] **سلمة بن الخُرْشُب**[2]، لسُبيع التغلبى، فى شأن الرُّهن[3] التى وضعت على يديه فى قتلى عبس وذبيان[4].

أبلغ سبيعًا وأنت سيدنا	قدمًا وأوفى رجالنا ذممًا
أن بغيضًا وأن إخوتها	ذبيان قد ضرموا الذى اضطرما[5]
نُبِّئتُ أن حكّموك بينهم	فلا تَقُولَنَّ بئس ما حكما
إن كنت ذا عرفة بشأنهم	تعرف ذا حقِّهم ومن ظلما
وتُنزل الأمر فى منازله	حكمًا وعلمًا وتحضر الفهما
فاحكم فأنت الحكيم بينهم	لن يعدموا الحق باردًا صتما
واصدع أديم السواء بينهم	على رضا من رضى ومن رَغِما

---

(١) انظر: البيان والتبيين (١/٢٣٨).

(٢) سلمة، هو: ابن عمرو الخرشب بن نصر الأنمارى، أحد شعراء الجاهلية، من بنى الأنمار بن بغيض، كان معاصرًا لعروة بن الورد. انظر: شرح اختيارات المفضل (١/١٦٤)، الأعلام (٣/١١٣).

(٣) الرُّهن، جمع الرَّهنُ: وهو ما وضع عندك لينوب مناب ما أُخذ منك. انظر: القاموس المحيط، مادة [رهن].

(٤) عبس: قبيلة من غطفان وتعد من القبائل المحاربة، فمن أيامهم العظيمة: يوم داحس، والغبراء، والهباءة، كانت منازلهم بنجد. انظر: معجم قبائل العرب (٢/٧٣٨) ، ذبيان : قبيلة من غطفان، من العدنانية، كانت منازلهم شرقى المدينة ، حاربوا قبيلة عبس ، من أيامهم : يوم جبلة. انظر: معجم القبائل (١/٤٠٢).

(٥) ضرموا: أشعلوا وأوقدوا. اضطرم : اشتعل وتكثف. انظر: لسان العرب، مادة [ضرم].

إن كـــان مـــالاً فمثـــل عدتـــه   مـــال بمـــال وإن دمًـــا فدمَـــا

هـــذا وإن لـــم تطـــق حكومتهـــم   فـــانبذ إليهـــم أمورهـــم سَـــلمَا

[٣٣٣] **وأنشد عمر بن الخطاب**، شعر زهير بن أبي سلمى(١)، فلما بلغ قوله(٢):

فـــإن الحـــقَّ مقطعـــه ثـــلاث   يميـــنٌ أو نفـــار أو جـــلاءُ(٣)

جعل عمر يتعجب من علمه بالحقوق وتفصيله بينها، ويقول: لا يخرج الحق من إحدى ثلاث: إما يمينٌ، أو محاكمة، أو حجَّةٌ.

[٣٣٤] **وقال ابن أبي ليلى الفقيه**(٤)، في عبد الله بن شبرمة:

وكيـــف تُرَجَّـــى لفصـــل القضـــاء   ولـــم تصـــب الحكـــم فـــى نفســـكا

وتزعـــم أنـــك لابـــن الجُـــلاح   وهيهـــات دعـــواك مـــن أصلكـــا

[٣٣٥] **عبد الله بن صالح العجلى، قال:** خرج شـريك وهـو علـى القضـاء يتلقّى الخيزران(٥) وقد أقبلت تريد الحـج، فـأتى، شـاهى، فأقـام بهـا ثلاثًـا ولـم تُوَافِ، فخفَّ زاده، وما كان معه من الخبز، فجعل يبلّه بالماء ويأكله بالملح.

---

(١) زهير، هو: ابن أبي سلمى ربيعة بن رياح المزنى، من مضر، أحد حكماء الجاهلية الشـعراء، كان شعره يتسم بالجودة، وكانت قصائده تسـمى بالحوليات، ومـن أشـهر شـعره معلقتـه، توفى سنة (١٣ ق هـ). انظر: الشعر والشعراء ص٤٤، الأغانى (٢٨٨/١٠).

(٢) انظر: البيان والتبيين للجاحظ (٢٤٠/١).

(٣) النفار: أن يتنافر القوم إلى حاكم يحكم بينهم. انظر: لسان العرب، مادة [نفر].

(٤) أبي ليلى، هو : محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى يسار بن بلال الأنصارى الكوفى، قاض، فقيه، من أصحاب الرأى، ولى القضاء والحكم بالكوفة لبنى أمية ، ولبنى العباس. توفى سـنة (١٤٨هـ). انظر: تهذيب التهذيب (٣٠١/٩)، وفيات الأعيان (٤٥٢/١).

(٥) الخيزران، زوجة المهـدى العباسـى وأم ابنيـه الهـادى وهـارون الرشـيد متفقهـة. علمـت أن الهادى أراد عزل أخيه الرشيد من ولاية العهد فأرسـلت إليـه بعـض جواريهـا، وهـو مريـض فجلسـن علـى وجهـه حتـى مـات خنقًـا . توفيـت عـام (١٧٣هـــ). انظـر: تـاريخ بغـداد (٤٣٠/١٤) البداية والنهاية (١٦٣/١٠).

فقال العلاء بن المنهال الغنوى:

فإن كان الذى قد قلتَ حقًّا | بأن قد أكرهوك على القضاء
فما لك موضعًا فى كل يوم | تُلَقّى من يحجُّ من النساء
مقيمًا فى قرى شاهي ثلاثًا | بلا زاد سوى كسر وماء
يزيد الناس خيرًا كل يوم | فترجع يا شريك إلى الوراء

[٣٣٦] وقال فيه أيضًا:

فليت أبا شريك كان حيًّا | فيُقْصِر حين يبصره شريك
ويترك من تدريه علينا | إذا قلنا له هذا أبوك

[٣٣٧] وأنشد لبعض الشعراء فى بعض الحكّام:

أبكى وأندب بهجة الإسلام | إذ صرت تقعد مقعد الحكام
إن الحوادث ما علمت كثيرة | وأراك بعض حوادث الأيام

[٣٣٨] **حدثنى يزيد بن عمرو، قال:** حدثنى القاسم بن الفضل، قال: حدثنى رجل من بنى جرير، أن رجلاً منهم خاصم رجلاً إلى سوار بن عبد الله[1]، فقضى على الجريرى، فمر سوار ببنى جرير فقام إليه الجريرى، فصرعه وخنقه، وجعل يقول:

رأيتُ أحلامًا فعبَّرتها | وكنتُ للأحلام عبَّارا
رأيتُنى أخنق ضبًا على | جحر وكان الضَبُّ سَوَّارًا

---

(١) سوار بن عبد الله؛ هو: ابن سوار بن عبد الله بن قدامة، العنبرى، تميمى . قاض، له شعر رقيق، وعلم بالفقه والحديث، ولى قضاء الرصافة. توفى ببغداد عام (٢٤٥هـ). انظر: تاريخ بغداد (٩/ ٢١٠).

الفصل الحادى عشر
فى الشهادات

في الشــهــادات

[٣٣٩] **حدثني أبو حاتم، قال:** حدثنا الأصمعي، قال: لي أيوب: إن من أصحابي من أرجو دعوته ولا أجيز شهادته.

[٣٤٠] **قال:** وقال سوار: ما أعلم أحدًا أفضل من عطاء السلمي، ولو شهد عندي على فلسين لم أجز شهادته.

يذهب إلى أنه ضعيف الرأي ليس بالحازم، لا أنه يطعن عليه في دينه وأمانته.

[٣٤١] **قال:** وشهد أبو عمرو بن العلاء عند سوار على نسب.

فقال سوار: وما يدريك أنه ابنه؟

قال: كما أعلم أنك سوار بن عبد الله، بن عنزة بن نقب.

[٣٤٢] **قال:** وشهد رجل عند سوار في دار قد ادَّعاها رجل.

قال: أشهد أنها له من الماء إلى السماء.

وشهد آخر، فقال للكاتب: اكتب شهادتهما.

فقال: أي شيء أكتب؟

فقال: كل شيء يُخْرِجُ الدار من يد هذا، ويجعلها في ملك هذا فاكتبه.

قال أبو حاتم: بلغني أنه إنما قيل شهادة عربية وما أشبهه.

[٣٤٣] **قال:** وشهد رجل عند سوار.

فقال له: ما صناعتك؟

قال: أنا مُؤَدِّب.

قال: فإنا لا نجيز شهادتك.

قال ولم؟

قال: لأنك تأخذ على تعليم القرآن أجرًا.

قال: وأنت تأخذ على القضاء بين المسلمين أجرًا.

قال: إني أُكْرِهْتُ على القضاء.

قال: يا هذا، القضاء أكرهت عليه فهل أكرهت على أخذ الرزق؟

قال: هلمَّ شهادتك، فأجازها.

[٣٤٤] **قال**: وشهد الفرزدق[1] عند بعض القضاة .

فقال: قد أجزنا شهادة أبي فراس، وزيدونا.

فقيل له حين انصرف: إنه والله ما أجاز شهادتك.

قال: وما يمنعه من ذلك وقد قذفت ألف محصنة.

[٣٤٥] **وقيل**: وجاء أبو دلامة[2] ليشهد عند ابن أبي ليلى، فقال في مجلسه ذلك:

إن القوم غطّوني تغطَّيْتُ دونهم   وإن بحثوا على ففيهم مباحث

وإن حفروا بئرى حفرت بئارهم   ليعلم ما تخفيه تلك النبائث[3]

فأجاز شهادته، وحبس المشهود عليه عنده، وأعطاه قيمة الشيء.

[٣٤٦] **وقيل**: أتي رجل ابن شبرمة بقوم يشهدون له على قراح[4] فيه نخل، فشهدوا وكانوا عدولاً.

---

(١) الفرزدق، هو: همام بن غالب بن صعصعة التميمي، أبو فراس، شاعرًا من النبلاء عظيم الأثر في اللغة. كان شريفًا في قومه عزيز الجانب. من أثاره ديوان شعر، توفي سنة (١١٠هـ). انظر: الأغاني (٩/٣٢٤)، الشعر والشعراء (٤٤٢).

(٢) سبقت ترجمته [١٠٧].

(٣) النبائث: جمع النبيثة وهي أبثرت وصفرت واستنبت. انظر: اللسان، مادة [نبث].

(٤) قِراح: الأرض أو كل قطعة على حيالها من منابت النخل وغير ذلك والجمع أقرحه. انظر: لسان العرب، مادة [قرح].

فسألهم: كم فى القراح من نخلة؟

قالوا: لا نعلم، فرد شهادتهم.

فقال له رجل منهم: أنت تقضى فى هذا المسجد منذ ثلاثين سنة، فأعلمنا: كم فيه من اسطوانة، فأجازهم.

[٣٤٧] **وقال بعض الشعراء:**

والخصم لا يُرتَجَى النجاة له ... يومًا إذا كان خَصْمُه القاضى

[٣٤٨] **وقيل:** قَدَّم رجلٌ خصمًا له إلى زياد فى حق له عليه.

فقال: إن هذا الرجل يدل بخاصة ذكر أنها له منك.

قال نعم، وسأخبرك بما ينفعه عندى من خاصته: إن يكن الحق له عليك آخذك أخذًا عنيفًا، وإن يكن الحق لك عليه أقض عليه ثم أقض عنه.

[٣٤٩] **وقال أبو اليقظان:** كان عبيد الله بن أبى بكرة[1]، قاضيًا وكان يميل فى الحكم إلى إخوانه.

فقيل له فى ذلك.

فقال: وما خير رجل لا يقطع من دينه لإخوانه.

[٣٥٠] **قال المدائنى:** كان بين طلحة بن عبيد الله[2]، والزبير مدارأة[3] فى واد بالمدينة.

---

(١) عبيد الله بن أبى بكرة الثقفى، أبو حاتم، أول من قرأ القرآن بالألحان ، تابعى، كان أمير سجستان، ولى قضاء البصرة كان جوادًا توفى سنة (٧٩هـ). انظر: تاريخ الإسلام للذهبى (١٨٩/٣)، النجوم الزاهرة (٢٠٢/١١).

(٢) طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد ابن لؤى بن غالب القرشى التيمى، أبو محمد، أحد العشرة المبشرين بالجنة، وهو من السابقين إلى الإسلام روى عن النبى ﷺ توفى سنة (٣٦هـ) فى موقعة الجمل. انظر: الإصابة (٤٣٠/٣).

(٣) مدارأة: مخالفة ومدافعة. انظر: لسان العرب، مادة [درأ].

قال: فقالا: نجعل بيننا عمرو بن العاص، فأتياه .

فقال لهما: أنتما فى فضلكما، وقديم سوابقكما، ونعمة الله عليكما تختلفان، وقد سمعتما من رسول الله ﷺ مثل ما سمعت، وحضرتما من قوله مثل الذى حضرت: «فيمن اقتطع شبرًا من أرض أخيه بغير حق أنه يطوقه من سبع أرضين»، والحَكَمُ أحوج إلى العدل من المحكوم عليه؛ وذلك لأن الحَكَم إذا جار رزئ[1] دينه، والمحكوم عليه إذا جير عليه رزئ عرض الدنيا، إن شئتما فأدليا بحجتكما، وإن شئتما فأصلحا ذات بينكما.

فاصطلحا وأعطى كل واحد منهما صاحبه الرضا.

[٣٥١] **وقيل:** كان السندى بن شاهك[2]، لا يستحلف المكارى[3]، ولا الحائك[4]، ولا الملاح[5]، ويجعل القول قول المدعى مع يمينه.

ويقول: اللهم إنى استخيرك فى الجمال ومعلم الصبيان.

[٣٥٢] **وقال أبو البيداء**[6]: سمعت شيخًا من الأعراب يقول: نحن بالبادية لا نقبل شهادة العبد، ولا شهادة العِذْيوط[7]، ولا المُغذّى ببوله.

قال أبو البيداء: فضحكت والله حتى كدت أبول فى ثوبى.

---

(١) رزئ دينه : انتقص دينه. انظر: القاموس المحيط، مادة [رزأ].

(٢) السندى بن شاهك؛ هو: إبراهيم، يروى الجاحظ عنه كثيرا وأبوه السندى بن شاهك كان يلى الجسرين ببغداد للرشيد. انظر: الجهشارى (٢٢٦).

(٣) المكارى: الذى يكريك دابته. اللسان، مادة [كرى].

(٤) الحائك: الذى ينسج الثوب. انظر: لسان العرب، مادة [حيك].

(٥) الملاح: بائع الملح. انظر: لسان العرب، مادة [ملح].

(٦) أبو البيداء، هو: أسعد بن عصمة، الرياحى، أعرابى نزل البصرة زوج أم أبى مالك عمرو كركرة، كان يعلم الصبيان بأجرة كان شاعرًا. انظر: الفهرست (٦٩).

(٧) العذيوط: الذى إذا أتى أهله أبدى أى سلح أو أكسل. انظر: لسان العرب ، مادة [عذط].

[٣٥٣] **وقيل لعبيد الله بن الحسن العنبرى**[1]: أتجيز شهادة رجل عفيف، تقيّ، أحمق؟

قال: لا، وسأريكم، ادعوا لى أبا مودود حاجبى، فلما جاء قال له: اخرج حتى تنظر ما الريح؟

فخرج ثم رجع فقال: شمال يشوبها شيء من الجنوب.

فقال: أترونى كنت مجيزًا شهادة مثل هذا؟

[٣٥٤] **قال الأعمش**[2]: قال لى محارب بن دثار[3]: وُلِّيتُ القضاء؛ فبكى أهلى وعُزِلْتُ عنه فبكوا، فما أدرى مم ذاك؟

فقلت له: وُلِّيتُ القضاء فكرهته وجزعت منه؛ فبكى أهلك، وعزلت عنه فكرهت العزل وجزعت منه، فبكى أهلك.

فقال: إنه لكما قلت.

[٣٥٥] **وقيل:** قدم إياس بن معاوية الشام وهو غلام فقدَّم خصمًا له إلى قاض لعبد الملك بن مروان وكان خصمه شيخًا كبيرًا.

فقال له القاضى: أتقَدِّم شيخًا كبيرًا؟

فقال له إياس: الحق أكبر منه.

---

(١) عبيد الله بن الحسن بن الحصين العنبرى، من تميم، أحد القضاة، من الفقهاء العلماء بالحديث من أهل البصرة وولى قضاءها. توفى سنة (١٦٨هـ). انظر: تهذيب التهذيب (٧/٧).

(٢) الأعمش؛ هو: سليمان بن مهران أبو محمد، كان قارئا حافظا عالما بالفرائض. توفى سنة (١٤٨) انظر: تهذيب التهذيب (٣/٦٥).

(٣) محارب بن دثار؛ ابن كردوس السدوسى البيانى الكفى أبو المطرف، قاضى الكوفة كان فقيها فاضلا حسن السيرة زاهدا شجاعا ذا فراسة عزل عن القضاء وأعيد، توفى وهو قاضٍ سنة (١١٦هـ). انظر: تهذيب التهذيب (١٠/٤٩)، النحوم الزاهرة (١/٢٨٧).

قال: اسكت.

قال: فمن ينطق بحجتي؟

قال: ما أظنك تقول حقًّا حتى تقوم.

قال: أشهد أن لا إله إلا الله.

فقام القاضي، فدخل على عبد الملك، فأخبره بالخبر.

فقال: اقض حاجته، وأخرجه من الشام[1] لا يفسد على الناس.

[٣٥٦] **قال أعرابي لخصم له:** والله لئن هَمْلَجْتَ[2] إلى الباطل؛ إنك عن الحق لقَطُوف[3].

---

(١) الشأم : قيل أنها بالهمز أو بغير همز، حدها من الفرات إلى العريش المتاخم للديار المصرية، وأما عرضها فمن جبلي طيء من نحو القبلة إلى بحر الروم. معجم البلدان (٣٥٣/٣).

(٢) هملجت: سرت في سرعة وبخترة . انظر: لسان العرب، مادة [هملج].

(٣) القطوف: سيء السير بطيء. انظر: لسان العرب، مادة [قطف].

الفصل الثانى عشر
الأحكـــــام

الأحكــــام

[٣٥٧] **حدثني عبدة بن عبد الله، قال:** حدثنا وهب بن جرير، قال: حدثني أبي، قال: سمعت الزبير بن الحارث يحدث، عن عكرمة، عن أبي هريرة، قال: قضى رسول الله ﷺ: «**إذا اختلف الناس في الطرق أنها سبع أذرع**»[1].

[٣٥٨] **حدثني يزيد بن عمرو،** عن محمد بن موسى، عن إبراهيم بن حنتم عن غزال بن مالك الغفاري، عن أبيه، عن جده، قال: «**كفل النبي ﷺ رجلاً في تهمة**».

[٣٥٩] **قال: وحدثني أيضًا،** عن إبراهيم بن حنتم عن غزال بن مالك، عن أبيه، عن جده، قال: قال أبو هريرة: «**حبس النبي ﷺ في التهمة حبسًا يسيرًا حتى استبرأ**».

[٣٦٠] **حدثني يزيد، قال:** حدثني الوليد، عن جرير بن حازم، عن الحسن: «**أن رسول الله ﷺ صلب رجلاً على جبل، يُقَال له: رباب**» وقال لي رجل بالمدينة: هو ذو رباب.

[٣٦١] **حدثني أحمد بن الخليل،** عن سليمان بن حرب، عن جرير، عن يعلى بن حكيم، عن أبيه، عن ابن عباس قال: «**أتى ماعز بن مالك**[2]**، النبي ﷺ فقال: إني زنيت يارسول الله، فقال: لعلك مسست، أو لمست، أو غمزت، فقال: لا، بل زنيت، فأعادها عليه ثلاثًا، فلما كان في الرابعة رجمه**»[3].

---

(١) الحديث: أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢/٤٩٥).

(٢) ماعز بن مالك الأسلمي وهو الذي رجم في عهد النبي ﷺ . انظر: الإصابة (٥/٥٢١).

(٣) الحديث: أخرجه الإمام البخاري، كتاب الحدود، باب هل يقول الإمام للمقر لعلك لمست أو غمزت (٦٨٢٤).

[٣٦٢] **حدثنى شبابة،** عن القاسم بن الحكم، عن الثورى، عن على بن الأقمر، عن يزيد بن أبى كبشة: أن أبا الدرداء[١] أتى بامرأة سرقت، فقال: أسرقتِ؟ قولى: لا.

[٣٦٣] **حدثنى سهل بن محمد، قال:** حدثنى الأصمعى، قال: جاءوا زيادًا بلص، وعندهم جماعة فيهم الأحنف[٢]، فانتهروه وقالوا: أصدق الأمير.

فقال الأحنف: إن الصدق أحيانًا معجزة.

فأعجب ذلك زيادًا، وقال: جزاك الله خيرًا.

[٣٦٤] **حدثنى شبابة،** عن القاسم بن الحكم، عن إسماعيل بن عياش، عمن حدثه، عن ابن عباس، قال جز الرأس واللحية لا يصلح فى العقوبة؛ لأن الله عز وجل جعل حلق الرأس نُسكًا لمرضاته.

[٣٦٥] **حدثنى شبابة،** عن القاسم، عن الأوزاعى: أن عمر بن عبد العزيز، قال: إياكم والمثلة[٣] فى العقوبة؛ جز الرأس واللحية.

[٣٦٦] **حدثنى محمد بن خالد بن خداش، قال:** حدثنا سلم بن قتيبة، قال: حدثنا يونس، عن أبى بكر بن حفص بن عمر، قال: كان مروان بن الحكم[٤] أمير المدينة، فقضى فى رجلٍ فزَّع رجلاً فضرط[٥] بأربعين درهمًا.

---

(١) أبو الدرداء؛ هو: عويمر بن مالك بن قيس بن أمية الأنصارى الخزرجى، اشتهر بالشجاعة والنسك، ولى قضاء دمشق وكان من العلماء الحكماء روى عن أهل الحديث ما يقرب من ١٨٠ حديثا توفى سنة (٣٢هـ) انظر: الإصابة (٤/٦٢١).

(٢) تقدمت ترجمته [٩٨].

(٣) المثلة: التنكيل والعقوبة. انظر: لسان العرب، مادة [مثل].

(٤) تقدمت ترجمته [١٧٦].

(٥) فضرط: هزىء به وحكى له بفيه فعل الضارط. انظر: لسان العرب، مادة [ضرط].

[٣٦٧] **حدثنى محمد بن عبيد**، عن معاوية بن عمرو، عن أبى إسحاق، عن جويبر، عن الضحاك، عن ابن مسعود، قال: لا يحل فى هـذه الأمـة غـلٌّ[١]، ولا صفدٌ[٢]، ولا تجريد[٣] ولا مد[٤][٥].

[٣٦٨] **حدثنى عبد الرحمن**، عن الأصمعى، قـال: كـان عـامر بـن الظـرب العدوانى[٦]، حكم العرب، فنزل به قوم يستفتونه فى خنثى وله جارية، يقال لها: خُصَيْلَة. وربما لامها فى الإبطاء فى الرعى وفى الشىء يجده عليها.

فقال: ياخصيلة لقد حبست هؤلاء القوم وريثتهم[٧]، حتى أسرعت فى غنمى.

قالت وما يكن عليك من ذلك، أتبعه مباله.

فقال لها: مسِّى خُصَيل بعدها أو روِّحى.

[٣٦٩] **قال**: وأُتِيَ ابنُ زيادٍ بإنسانٍ له قُبل وذكر، ولا يدرى كيف يورث.

فقال: من هذا؟

فقالوا: أرسل إلى جابر بن زيد، فأرسل إليه، فجاء يَرْسُف[٨] فى قيوده .

فقال: ما تقول فى هذا؟

فقال: ألزقه بالجدار، فإن بال عليه فهو ذكر، وإن بال فى رجليه فهو أنثى.

---

(١) غل صدره: إذا كان ذا غش أو ضغن وحقد. انظر: لسان العرب، مادة [غلل].

(٢) الصفد: القيد. انظر: لسان العرب، مادة [صفد].

(٣) تجريد: تجرد من ثوبه تعرى. انظر: لسان العرب، مادة [جرد].

(٤) المد : الزيادة فى الضرب بعد تجريده. صحاح الجوهرى (١/٥٣٤).

(٥) الحديث: ذكره صاحب كنز العمال (٥/٤٠٤) وعزاه إلى عبد الرزاق فى الجامع.

(٦) تقدمت ترجمته [١٨٠].

(٧) وريثتهم: الذين يرثون المال بعد وفاة الميت. انظر: لسان العرب، مادة [ورث].

(٨) يرسف: جاء يمشى فى قيوده. انظر: اللسان، مادة [رسف].

[٣٧٠] **حدثني محمد بن خالد بن خداش، قال:** حدثنا سلم بن قتيبة، قال: حدثنا قيس بن الربيع، عن أبي حصين: أن رجلاً كسر طنبورًا لرجل، فخاصمه إلى شريح.

فقال شريح: لا أقضي في الطنبور[1] بشيء.

[٣٧١] **حدثني أبو حاتم**، عن الأصمعي، عن أبيه، قال: قال لي أبو العجاج[2]: يا بن أصمع، والله لئن أقررت لألزمَنّك. أي لا تقر.

[٣٧٢] **حدثني أبو حاتم**، عن الأصمعي، عن أبيه، عن معمر، قال: رَدَّ رجل على رجل جارية اشتراها منه، فخاصمه إلى إياس بن معاوية.

فقال له: بم تردها ؟

قال له: بالحُمقِ.

فقال لها إياس: أيُّ رجليك أطول؟

فقالت: هذه؟

فقال: أتذكرين ليلة ولدت؟

قالت: نعم.

فقال إياس: ردّ ردّ.

[٣٧٣] **حدثني أبو الخطاب، قال:** حدثنا أبو داوود، عن قيس، عن أبي حصين، قال: رأيت الشعبي يقضي على جلد أسد.

---

(١) الطنبور: الذي يلعب به معرّب وقد استعمل في لفظ العربية. انظر: لسان العرب، مادة [طنبر].

(٢) تقدمت ترجمته [٢٤].

الفصل الثالث عشر

الظلــم

الظلم

[٣٧٤] **حدثني** عبد الرحمن بن عبد الله بن قريب، قال: حدثني الأصمعي، قال: أخبرنا بعض أشياخ البصرة: أن رجلاً وامرأته اختصما إلى أمير من أمراء العراق، وكانت المرأة حسنة المُتنقِّب قبيحة المسفر[1] ، وكان لها لسان؛ فكأن العامل مال معها.

فقال: يعمد أحدكم إلى المرأة الكريمة فيتزوجها، ثم يسيء إليها.

فأهوى زوجها إلى النِّقاب، فألقاه عن وجهها.

فقال العامل: عليكِ اللعنة؛ كلامُ مظلومٍ ووجهُ ظالم.

[٣٧٥] **وأنشد الرياشي في نحو هذا:**

رأيت أبا الحجناء في الناس جائرًا ... ولون أبي الحجناء لون البهائم

تراه على ما لاحه من سواده ... وإن كان مظلومًا له وجه ظالم

[٣٧٦] **أبو حاتم**، عن الأصمعي، عن أبي عمرو بن العلاء، قال: كان رجل من العرب في الجاهلية إذا رأى رجلاً يظلم ويعتدي، يقول: فلان لا يموت سويًّا. فيرون ذلك، حتى مات رجل ممن قال ذلك فيه.

فقيل له: مات فلان سويًّا. فلم يقبل حتى تتابعت الأخبار.

فقال: إن كنتم صادقين إن لكم دارًا سوى هذه تُجَازَوْنَ فيها.

[٣٧٧] **كتب رجل من الكُتَّاب إلى سلطان:** أعيذك بالله من أن تكون لاهيًا عن الشكر، محجوبًا بالنعم، صارفًا فضل ما أوتيت من السلطان إلى ما تَقِلُّ عائدته وتعظم تبعته من الظلم والعدوان، وأن يستذلّك الشيطان بخدْعه وغروره وتسويله؛ فيزيل عاجل الغبطة[2] وينسيك مذموم العاقبة.

---

(١) المسفر: التي كشفت وجهها ورفعت عنه النقاب. انظر: لسان العرب، مادة [سفر].

(٢) الغبطة: حُسن الحال. انظر: لسان العرب، مادة [غبط].

فإن الحازم من يذكر فى يومه المخوف من عواقب عِدِّه، ولم يغره طول الأمل وتراخى الغاية، ولم يضرب فى غمرة من الباطل، ولا يدرى ما تَتَحلّى به مغبَّتها.

هذا إلى ما يتبع الظالم من سوء المنقلب وقبيح الذكر الذى لا يفنيه كَرّ الجديدين[1] واختلاف العصرين.

[٣٧٨] **حدثنى يزيد بن عمرو، قال:** حدثنا معاوية بن عمرو، قال: حدثنا أبو إبراهيم السقاء، عن ليث، عن مجاهد، قال: يُؤْتَى بمعلم الصبيان يوم القيامة، فإن كان عدل بين الغلمان وإلا أقيم مع الظلمة .

[٣٧٩] **وكان معاوية يقول:** إنى لأستحى أن أظلم من لا يجد علىَّ ناصرًا إلا الله.

[٣٨٠] **وقال بلال:** إنى لأستحى أن أظلم وأحرج أن أُظْلَم.

[٣٨١] **وكان يقال:** إذا أراد الله أن يُتْحَفَ عبدٌ قيض له من يظلمه.

[٣٨٢] **كتب رجل إلى السلطان:** أحقّ الناس بالإحسان من أحسن الله إليه، وأولاهم بالإنصاف من بُسِطَتْ بالقدرة يداه.

[٣٨٣] **وقيل:** ذُكِر الظلم فى مجلس ابن عباس، فقال كعب[2]: إنى لا أجد فى كتاب الله المُنَزَّل أن الظلم يخرب الديار.

فقال ابن عباس: أنا أُوجدُكَهُ فى القرآن، قال الله عز وجل ﴿**فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا**﴾[النمل:٥٢].

[٣٨٤] **حدثنى سهل بن محمد،** عن الأصمعى، قال: كان فُرْعَانُ، وهو من بنى تميم لا يزال يُغير على إبل الناس، فيأخذ منها، ثم يقاتلهم عليها إلى أن أغار على رجل فأصاب له جملاً.

(١) الجديدين: الليل والنهار. انظر: لسان العرب، مادة [جدد].

(٢) تقدمت ترجمته [٦].

فجاء الرجل فأخذ بشعره فجذبه فبرك.

فقال الناس: كبرت والله يا فرعان.

فقال: لا والله ولكن جذبنى جذبة محقّ.

[٣٨٥] **وكان سديف بن ميمون**[١]**، مولى اللهبيين يقول:** اللهم قد صار فَيْئُنَا[٢] دولة بعد القسمة، وإمارتنا غلبة بعد المشورة، وعهدنا ميراثًا بعد الاختيار للأمة. واشْتُرِيَتْ الملاهى والمعازف بسهم اليتيم والأرملة، وحُكِّم فى أبشار[٣] المسلمين أهل الذمة، وتولى القيام بأمورهم فاسق كل مُحلَّةٍ[٤].

اللهم وقد استحصد زرع الباطل، وبلغ نهايته، واجتمع طريده.

اللهم فأتحْ له يدًا من الحق حاصدة تبدد شمله، وتفرِّق أمره؛ ليظهر الحق فى أحسن صوره وأتمّ نوره.

[٣٨٦] **وقيل:** وُلِّى أعرابى بعض النواحى، فجمع اليهود فى عمله وسألهم عن المسيح.

فقالوا: قتلناه وصلبناه.

فقال: فهل أديتم ديته؟

قالوا: لا.

قال: فوالله لا تخرجون أو تؤدُّوها، فلم يبرحوا حتى أدُّوها.

---

(١) سديف بن ميمون؛ هو: ابن اسماعيل ، مولى بنى هاشم شاعر غير مكثر، كان متعصبًا لبنى هاشم شديد التحريض على بنى أمية، توفى سنة (١٤٦هـ) انظر: الشعر والشعراء (٢٩٣) تهذيب ابن عساكر (٦/٦٦).

(٢) فيئنا: غنيمتنا وخراجنا . انظر: لسان العرب، مادة [فيأ].

(٣) أبشار:رجال ونساء. انظر: القاموس المحيط، مادة [بشر].

(٤) محلة: مكر وخديعة. انظر: القاموس المحيط، مادة [محل].

[٣٨٧] **وقيل:** كان أبو العاج على جَوَالى البصرة، فأتى برجل من النصارى:

فقال ما اسمك؟

فقال: بنداذ شهر بنداذ.

فقال: اسمُ ثلاثة وجزيةُ واحدٍ، لا والله العظيم.

قال:فأخذ منه ثلاث جزًى.

[٣٨٨] **وقيل:** ولى أعرابى تبالة[1]، فصعد المنبر، فما حمد الله ولا أثنى عليه، حتى قال: إن الأمير أعزَّنا الله وإياه وَلاّنى بلادكم هذه، وإنّى والله ما أعرف من الحق موضع سوطى، ولن أوتى بظالم ولا مظلوم إلا أوجعتهما ضربا، فكانوا يتعاملون بالحق بينهم ولا يرتفعون إليه.

[٣٨٩] **قال بعض الشعراء:**

بنى عمنا لاتذكروا الشعر بعد ما	**دفنتم بصحراء الغمير القوافيا[2]**
فلسنا كمن كنتم تصيبون سلّة	**فنقبل ضيمًا أو نحكّم قاضيًا[3]**
ولكن حكم السيف فيكم مسلط	**فنرضى إذا ما أصبح السيف راضيًا**
فإن قلتم إنا ظلمنا فلم نكن	**ظلمنا ولكنّا أسأنا التقاضيا**

[٣٩٠] **وقال آخر:**

تَفْرَحُ أن تغلبنى ظالمًا	**والغالبُ المظلومُ لو تَعلمُ**

[٣٩١] **وقيل:** كانوا يتوقّون ظلم السلطان إذا دخلوا عليه بأن يقولوا: بسم الله إنى أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا. اخسأوا فيها ولا تكلّمون، أخذت سمعك وبصرك بسمع الله وبصره، أخذت قوتك بقوة الله، بينى وبينك ستر

---

(١) تبالة: بلدة مشهورة من أرض تهامة فى طريق اليمن. معجم البلدان (١١/٢).

(٢) الغمير: ما كان خضره قليلاً أو الأخضر، غمره اليبيس. انظر: القاموس المحيط، مادة غمر.

(٣) ضيما: الضيم: الظلم. انظر: لسان العرب، مادة [ضيم].

النبوة الذى كانت الأنبياء تستتر به من سطوات الفراعنة، جبريل عن يمينك وميكائيل عن يسارك ومحمد أمامك والله مُطَّلع عليك ويحجزك عنى ويمنعنى منك.

[٣٩٢] **وقال بعض الشعراء:**

ونستعدى الأمير إذا ظُلِمْنَا ... فمن يُعْدى إذا ظلم الأمير

[٣٩٣] **وقال آخر:**

إذا كان الأمير عليك خصمًا ... فلا تُكْثِر فقد غلب الأمير

[٣٩٤] **وكتب رجل إلى صديق له:** قد كنت استعديك ظالمًا على غيرك، فتحكم لى وقد استعديتك عليك مظلومًا، فضاق عنى عدلك، وذكَّرنى قول القائل:

كنت من كُرْبتى أَفِرُّ إليهم ... فهُمُ كُربتى فأين الفِرارُ

[٣٩٥] **ونحوه:**

والخصم لا يُرتَجَى النجاح له ... يومًا إذا كان خصمه القاضى

[٣٩٦] **حدثنى سهل بن محمد،** عن الأصمعى، قال: كان يقال: ما أُعْطِى أحدٌ قط النِّصف[1]، فأباه إلا أخذ شرًّا منه.

قال: وقال الأحنف: ما عرضت النِّصْفَة قط على أحد، فقبلها إلا دخلتنى له هيبة، ولا ردها إلا اختبأتها فى عقله.

[٣٩٧] **وقال البعيث[2]:**

وإنى لأعطى النِّصْف مَنْ لو ظلمته ... أقرَّ وطابت نفسه لى بالظلم

---

(١) النصف: إعطاء الحق. انظر: القاموس المحيط، مادة [نصف].

(٢) البعيث، هو: خداش بن بشر بن خالد، أبو زيد التميمى، البعيث، خطيب شاعر، من أهل البصرة وكان شاعر فاخر الكلام حر الألفاظ. توفى سنة (١٣٤هـ). انظر: البيان والتبيين (١/١٩٩) وطبقات الشعراء ص (١٢١).

[٣٩٨] وقال الطائي[١]:

يـرى العلقـم المـأدوم بـالعز أريـة ... يمانيـةً والأرى بـالضيم علقمًـا[٢]

إذا فرشـوه النصـف نـامت شـذاته ... وإن رتعوا في ظلمه كـان أظلمًـا[٣]

[٣٩٩] وقال العباس بن عبد المطلب:

أبـى قومنـا أن ينصفونـا فـأنصفت ... قواطـع فـي أيماننـا تقطُـر دَمًـا

تركنـاهم لا يَسْـتَحِلُّون بعدهـا ... لـذى رحـم يومًـا مـن الدهـر محْرمـًا

[٤٠٠] بلغنا عن ضمرة، عن ثور بن يزيد، قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عُمَّاله: أما بعد؛ فإذا دعتك قدرتك على الناس إلى ظلمهم؛ فاذكر قدرة الله عليك، وفناء ما تؤتى إليهم وبقاء ما يؤتون إليك، والسلام.

[٤٠١] وقيل: سمع ابن سيرين رجلاً يدعو على من ظلمه.

فقال: أقصر يا هذا، لا يربح عليك ظالمك.

---

(١) تقدمت ترجمته [٢٦٢].

(٢) المأدوم: المخلوط والقريب. أرية: الرؤية: النظر بالعين وبالقلب. انظر: القاموس المحيط، مادة [أدم ، أرية].

(٣) فرشوه:أعطوه. شذاته: شدته وجرأته. رتعوا: رتعوا: أكلوا وشربوا في سعة. انظر: القاموس المحيط، مادة [فرش، شذا، رتع].

الفصل الرابع عشر
قولهم فى الحبس

قولهم فى الحبس

[٤٠٢] **فى الحديث المرفــوع:** شكا يوســف عليه السلام إلى الله عــز وجــل طـول الحبس.

فأوحى إليه: من حبسك يا يوسف، أنت حبست نفسك حيــث قلـت:﴿**رَبِّ السجن أحبُّ إليَّ مما يدعوننى إليه**﴾[يوسف:٣٣] .

ولو قلت: العافية أحب إلى لعوفيت.

[٤٠٣] **حدثنى** عبد الرحمن بن عبد المنعم، عن أبيـه، عـن وهـب قـال: إن يوسف عليه السلام دعا لأهل السجن دعوةً لم تزل تُعرف لهم إلى اليوم، قـال: اللهـم اعطف عليهم قلوب الأخيار، ولا تُعم عليهم الأخبار.

فيقال: إنهم أعلم الناس بكل خبر فى كل بلد.

[٤٠٤] **وكُتِبَ علـى بـاب السـجن:** هـذه منـازل البلـوى، وقبـور الأحيـاء، وتجربة الصديق، وشماتة الأعداء.

[٤٠٥] **أنشدنى الرياشى:**

مـا يَدْخُـلُ السِّـجْنَ إنسـانٌ فتسـألُه ... مـا بـالُ سـجْنك إلا قـالَ مظلـومُ

[٤٠٦] **وقال أعرابى:**

ولمـا دخلـتُ السِّـجْنَ كَـبَّر أهلُـهُ ... وقـالوا أبـو ليلـى الغـداةَ حزيـنُ

وفى البـاب مَكْتـوبٌ علـى صفحاتِـهِ ... بـأنك تَـنْز وثُـمَّ سـوف تليـن[1]

[٤٠٧] **ويقال:** إن قولهم:(تنز وتلين) رؤى مكتوبًا على باب حبس؛ فضربـه الناس مثلاً.

---

(١) تنزو: توثب وتسرع، والتنزى: تسرع الإنسان إلى الشر.انظر: لسان العرب، مادة [نزا].

[٤٠٨] **وقال بعض المسجونين:**

وبـــتُّ بأحصَنهـــا مـــنزلاً ثقيـــلاً علـــى عنـــق السَّـــالِكِ[١]
ولســـتُ بضيـــفٍ ولا فـــي كِـــرًا ولا مســـتعير ولا مـــالِكِ[٢]
ولســـتُ بغضـــبٍ ولا كـــالرّهون ولا يشـــبه الوقـــف عَـــنْ هـــالكِ[٣]
ولـــي مُسْـــمِعانُ فأذناهُمَـــا يغنـــي ويســـمع فـــي الحـــالك[٤]
وأقصاهمـــا نـــاظرٌ فـــي الســـما ء عمـــدا وأوســـخ مـــن عـــارك[٥]

المسمع الأول: قيده، والثاني: صاحب الحرس.

[٤٠٩] **ونحوه قول الآخر:**

ولـــي مُسْـــمِعانُ وزَمَّـــارة وظِـــلٌ مديـــد وحصـــن أمـــق[٦]

الزمارة: الغل، وأصل الزمارة: الساجور.

[٤١٠] **قال أبو عبيدة**[٧]: اختصم خالد بن صفوان[٨]، مع رجل إلى بلال ابن أبي بردة[٩]، فقضى للرجل على خالد.

---

(١) السالك: الداخل وهي من سلكت الشيء في الشيء أي أدخلته فيه. انظر: اللسان، مادة [سلك].
(٢) كرا: أي في قلة مال أو نفاد زاد، وقد أكرى زادُه: أي نقص. اللسان، مادة [كرا].
(٣) كالرُّهون، جمع الرّهن وهو: ما وضع عندك لينوب مناب ما أُخِذَ منك. القاموس، مادة [رهن].
(٤) الحالك: شديد السواد ويقال للأسود الشديد السواد حالكٌ.
(٥) عارك: قاتل والمعاركة: المقاتلة، عرك: دلكه دلكا. انظر: لسان العرب، مادة [عرك].
(٦) أمق: واسع: بعيد الأرجاء. انظر: لسان العرب، مادة [مقق].
(٧) أبو عبيدة، هو: معمر بن المثنى التيمي بالولاء، البصري، من أئمة الأدب واللغة. قال عنه الجاحظ: لم يكن في الأرض أعلم بجميع العلوم منه. توفي عام (٢٠٩هـ). انظر: الأعلام (٧/٢٧٢).
(٨) خالد بن صفوان، هو: خالد بن صفوان بن عبد الله بن عمرو بن الأهتم التميمي المنقري. من الفصحاء المشهورين، ولد ونشأ بالبصرة وكان أيسر أهلها مالاً، وله كلمات سائدة. توفي عام (١٣٣هـ) تقريبا. انظر: الأعلام (٢/٢٩٧).
(٩) ابن أبي بردة، هو: بلال بن أبي بردة عامر بن أبي موسى الأشعري: أمير البصرة وقاضيها كان راوية فصيحًا أديبًا، وكان ثقة في الحديث، ولم تحمد سيرته في القضاء. توفي نحو (١٢٦هـ). انظر: الأعلام (٢/٧٢).

فقام خالد وهو يقول:

سـحابةُ صَيْـفٍ عــن قليـــلٍ تَقشَّـعُ

فقال بلال: أما إنها لا تقشع حتى يصيبك منها شؤبوب[1] بــرد. وأمـر بـه إلى الحبس.

فقال خالد علام تحبسني؟ فوالله ما جنيت جناية ولا خنت خيانة.

فقـال بـلال: يخبـرك عن ذلـك بـاب مصمت، وأقيــاد ثقـــال، وقيِّـــم[2] يقال له: حفص.

[٤١١] **قال الحجاج**[3] : للغضبان بن القبعثرى، ورآه سمينًا، ما أسمنك؟

قال: القيد والرَّتعة[4]، ومن كان فى ضيافة الأمير سمن.

[٤١٢] **وقيل:** كان خالد بـن عبـد اللـه، حبـس الكميـت[5] الشـاعر فزارتـه امرأته فى السجن، فلبس ثيابها وخرج ولم يُعْرَف، فقال:

ولمـــا أحلُّونـــى بصلعـــاء صيلـــم ـــــ بـــإحدى زبـــى ذى اللبدتيـــن أبـــى

---

(١) شؤبوب: دفعة من المطر وغير شؤبوب كل شىء : حَدُّه ولا يقـال للمطـر إلا إذا كـان فيـه برد. انظر: لسان العرب، مادة [شأب].

(٢) قيم: مستقيم وهو السيد وسائس الأمر. انظر: لسان العرب، مادة [قوم].

(٣) انظر: البيان والتبيين (٣٧٦/١).

(٤) الرتعة: الاتساع فى الخصب، وقولهم فلان يرتع، معناه هو: مخصب لا يعدم شيئًا يريـده. انظر: لسان العرب، مادة [رتع].

(٥) الكميت بن زيد بن خنيس الأسدى، أبو المستهل، شـاعر الهاشـميين، كـان عالـمًا بـآداب العـرب ولغاتهـا، هـو مـن أصحـاب الملحميـات. توفـى سـنة (١٢٦هـ). انظــر: الأغــانى (١٠٨/١٥). الشعر والشعراء ص (٥٦٢).

(٦) أبو الشبل: الأسد، فالشبل: ولد الأسد إذا أدرك الصيد. انظر: لسان العرب، مادة [شبل].

خرجتُ خروج القِدْح قدح ابن مُقْبل ... على رُغْم آناف النوابح والمُشْلى[1]

علىَّ ثيابُ الغانيات وتحتها ... عزيمةُ مرء أشبهتْ سلَّة النصل[2]

[٤١٣] وقيل: وكان خالد بن عبد الله، حبس الفرزدق فقال[3]:

وإنّى لأرجو خالدا أن يفُكّنى ... ويطلق عَنّى مقفلات الحدائد

فإنْ يَكُ قَيْدى رَدَّ همى فربما ... تناولتُ أطراف الهموم الأباعدِ

ومَا مِنْ بلاءٍ غَيّر كلَّ عشية ... وكلَّ صباح زائرٍ غير عائدِ

يقول لى الحدَّادُ هَلْ أنت قَائمُ ... وما أنا إلا مثلُ آخرَ قَاعِد

[٤١٤] وقال بعض الشعراء، فى خالد بن عبد الله القسرى حين حبس:

لعمرى لقد أغمرتُم السِّجْنَ خالدًا ... وأوطنتموه وطأة المتثاقلِ

فإن تحبس القسرى لا تحبسوا اسمه ... ولا تسجُنوا معروفه فى القبائل

[٤١٥] وقال بعض المسجونين:

أسِجْنٌ وقيد واغتراب وعُسرة ... وفقد حبيب! إن ذا لعظيمُ

وإن امرأ تبقى مواثيق عهده ... على كل هذا إنه لكريمُ

[٤١٦] وقال آخر مثله:

إلى الله أشكو إنه موضع الشكوى ... وفى يده كشف المصيبة والبلوى

خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها ... فلسنا من الأحياء فيها ولا الموتى

إذا جاءنا السَّجَّان يومًا لحاجةٍ ... عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا

وتعْجبنا الرؤيا فجلُّ حديثنا ... إذا نحن أصبحنا الحديث عن الرؤيا

فإن حَسُنتْ لم تأت عجلى وأبطأت ... وإن قبحت لم تحتبس وأتت عجلى

---

(١) آناف: جمع أنف : المنخر معروف. النوابح: جماعة النابح من الكلاب . المشلى، جمع مشل وهو: الحمار كثير الطرد. انظر: لسان العرب، مادة [أنف ، نبح ، شلل].

(٢) الغانيات، جمع غانية وهى: التى غنيت بحسنها وجمالها عن الحلى، وقيل هى التى تُطلب ولا تطلب. انظر: لسان العرب، مادة [غنى].

(٣) انظر: الكامل للمبرد (١/١٥٣)، والأبيات فى ديوان الفرزدق (٢/٢٧٦).

[٤١٧] **وقال يزيد بن المهلب وهو فى الحبس:** يا لهفى على طلية بمائة ألف، وفرج فى جبهة أسد.

[٤١٨] **ودخل الفرزدق على المهلب وهو محبوس فقال:**

أصبح فى قيدك السماحة والجود وحمل لمضلع الأثقال

فقال له: أتمدحنى على هذه الحال؟

فقال: أصبتك رخيصًا فاشتريتك.

[٤١٩] **وقيل:** حبس الرشيد أبا العتاهية[1]، فكتب إليه من الحبس بأبيات منها:

تفديك نفسى من كل ما كرهتْ نفسك إن كُنْتُ مذنبًا فاغفر

يا ليت قلبى مُصَوَّر لك ما فيه لتستيقن الذى أضمر

فَوَقَّع الرشيد فى رقعته: لا بأس عليك.

فأعاد عليه رقعة أخرى فيها :

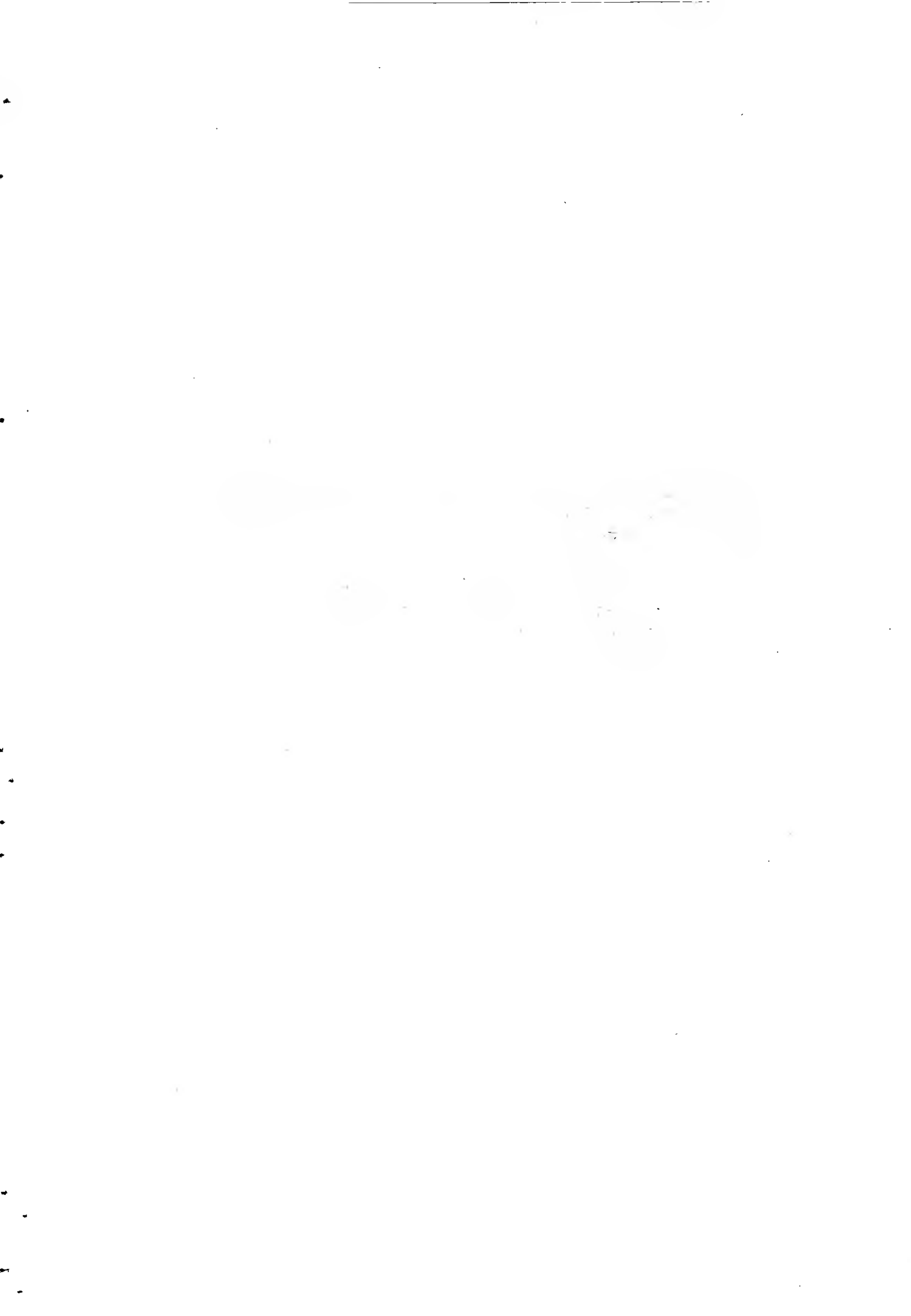
كأن الخلق ركب فيه روح له جسد وأنت عليه رأس

أمين الله إن الحبس بأس وقد وَقَّعْت ليس عليك بأس

فأمر بإطلاقه .

(١) أبو العتاهية، هو: إسماعيل بن القاسم بن سُويد العينى العنزى، أبو إسحاق، أبو العتاهية. شاعر مكثر، سريع الخاطر وكان بارعًا فى شعر الزهد والمديح. وتوفى سنة (٢١١هـ) انظر: الأغانى (٤/١) تاريخ بغداد (٦/٢٥٠).

الفصل الخامس عشر
الحُجَّـــاب



الحُجَّـــاب

[٤٢٠] **أبو حاتم**، عن العتبى، عن أبيه: أن عبد العزيز بن زرارة الكلابـى[١]، وقف على باب معاوية.

فقال: من يستأذن لى اليوم فأدخله غدًا، وهو فى شملتين[٢]، فلما دخل علـى معاوية قال: هززت[٣] ذوائـب[٤] الرحـال إليـك، إذ لـم أجـد معـولاً إلا عليـك، امتطى الليل بعد النهار وأَسِمُ[٥] المجاهل بالآثار، يقودنى نحوك رجاءٌ، وتسوقنى إليك بلوى، والنفس مستبطئة والاجتهاد عاذر. فأكرمه وقربه.

فقال فى ذلك:

دَخلـتُ علـى معاويـة بـن حـرب	**وذلـك إذ يئسـتُ مـن الدخـول**
ومـا نلـت الدخـولَ عليـه حتـى	**حللـت محلَّـةَ الرجـل الذليـل**
وأغضيـتُ الجفـونَ علـى قذاهـا	**ولـم أسـمع إلـى قـال وقيـل[٦]**
فـأدركت الـذى أمَّلـتُ فيـه	**بمكـث والخطـا زادُ العجـول**

[٤٢١] **وقال غير العتبى:** لما دخل عبد العزيز بن زرارة على معاوية.

---

(١) عبد العزيز بن زرارة الكلابى: كان قائدًا مقدمًا زمن معاوية غزا القسطنطينية، قُتل فى إحدى الوقائع، توفى عام (٥٠هـ). انظر: ابن الأثير، شرح ديوان الحماسة للتبريزى (٤/١٠٨).

(٢) شملتين: الشملة الصماء فى الميم وبالفتح كساء دون القطيفـة يشتمل بـه. انظـر: القـاموس المحيط، مادة [شمل].

(٣) هززت: هزة: حركة ، وهززت حركت. انظر: القاموس المحيط، مادة [هزز].

(٤) ذوائب: الذؤابة: الجلدة المعلقة على آخر الرحل. انظر: لسان العرب، مادة [ذأب].

(٥) وأسم: أخص وأصف. انظر: لسان العرب، مادة [سمم].

(٦) أغضيت: أغضى: أدنى الجفون. قذاها: القذى ما يقع فى العيـن. انظـر: القـاموس المحيـط، مادة [غضا ، قذى].

قال له: إني رحلت إليك بالأمل، واحتملت جفوتك بـالصبر، ورأيـت ببـابك أقوامـًا قدَّمَهُمْ الحظ، وآخرين باعدهم الحرمان، وليس ينبغي للمتقدِّم أن يـأمن، ولا للمتأخر أن ييأس، وأول المعرفة الاختبار فابْلُ واختبر.

[٤٢٢] **وفي حجاب معاوية إياه يقول شاعر مُضَر:**

مـن يـأذن اليـوم لعبـدِ العزيـز ... يـأذِن لـه عبـدُ عزيـز غـدًا

قال أبو اليقظان: كان عبد العزيز بن زرارة فتى العرب.

[٤٢٣] **وقيل:** استأذن أبو سفيان على عثمان فحجبه.

فقيل له: حجبك أمير المؤمنين؟

فقال: لا عدمتُ من قومي من إذا شاء حجبني.

[٤٢٤] **وقيل:** حجب معاوية أبا الدرداء.

فقال أبو الدرداء: مَنْ يَغْشَ سُدَدَ[1] السلطان يقم ويقعد، ومن صادف بابًا عنه مغلقـًا، وجد إلى جانبه بابًا فُتُحا، إن دعا أجيب وإذا سأل أُعْطَى.

[٤٢٥] **قال رجل لحاجبه:** إنك عين أنظرُ بها، وجُنة استنيم[2] إليهـا، وقـد ولَّيتك بابي، فما تراك صانعًا برعيتي؟

قال: أنظرُ إليهم بعينك، وأحملهـم علـى قـدر منـازلهم عنـدك وأضعهـم فـي إبطائهم عن زيارتك، ولزومهـم خدمتـك مواضـع استحقاقهم، وأرتِّبهـم حيـث وضعهم ترتيبك، وأحسن إبلاغك عنهم وإبلاغهم عنك.

قال: قد وفيت ما لك وما عليك إن صدَّقته بفعل.

[٤٢٦] **وكان يقال:** حاجب الرجل حارس عرضه.

[٤٢٧] **وقرأت في التاج:** أن أبرويز قـال لحاجبـه: لا تُقَدِّمـنَّ مستغيثًا، ولا تضعنَّ ذا شرف بصعوبة حجاب، ولا ترفعـنَّ ذا ضعـة بسـهولته، وضَـع الرجـال مواضع أخطارهم، فمن كان مقدمًا له الشرف ممن ازدرعـه[3] ولـم يهدمـه مـن

---

(١) سدد: السدة باب الدار أو البيت، سُدد: أبواب. انظر: القاموس المحيط، مادة [سدد].

(٢) استنيم: استنام أي سكن. انظر: لسان العرب، مادة [نوم].

(٣) ازدرعه: زرعه وأنبته. انظر: لسان العرب، مادة [زرع].

بعد بنائه فقدّمْهُ على شرفه الأول، وحسن رأيه الآخر، ومن كان له شرف مُقدَّم فلم يصن ذلك إبلاغًا به ولم يزدرعه تثميرًا له، فألحق بآبائه مهلة سبقهم في خواصّهم، وألحق به في خاصته ما ألحق بنفسه، لا تأذن له إلا دبرًا ولا تأذن له إلا سرارًا.

وإذا ورد عليك كتاب عامل من عمالي فلا تحبسه عَنِّي طرفة عين إلا أن أكون على حال لا تستطيع الوصول إليَّ فيها، وإن أتاك مُدَّع لنصيحة فاستكتبها سرًّا، ثم أدخله بعد أن تستأذن له، حتى إذا كان مني بحيث أراه فادفع إليَّ كتابه، فإن أحمدت قبلت وإن كرهت رفضت.

ولا ترفعنَّ إلَّي طلبة طالب إن منعته بخلني، وإن أعطيته ازدراني، إلا بمؤامرة مني من غير أن تعلمه أنك قد أعلمتني.

وإن أتاك عالم يستأذن عليَّ لعلم يزعم أنه عنده فاسأله: ما علمه ذلك، ثم استأذن له، فإن العلم كاسمه، ولا تُحْجِبَنَّ سخطة ولا تأذنن رضًا، اخصص بذلك الملك ولا تخصُّ به نفسك.

[٤٢٨] **الهيثم قال:** قال خالد بن عبد الله لحاجبه: لا تحجبن عني أحدا إذا أخذت مجلسي، فإن الوالي لا يحجب إلا عن ثلاث: عيٍّ يكره أن يُطَّلع عليه منه، أو ريبة، أو بخل فيكره أن يدخل عليه من يسأله.

[٤٢٩] **ومنه أخذ ذلك محمود الوراق[1] فقال:**

إذا اعتصم الوالي بإغلاق بابه	**ورد ذوي الحاجاتِ دون حجابه**
ظننت به إحدى ثلاثٍ وربما	**نزعت بظنٍّ واقع بصوابه**
فقلت به مسٌّ من العيِّ ظاهرٌ	**ففي إذنه للناس إظهار ما به**

---

(١) محمود الوراق، هو: ابن حسن الوراق، شاعر، معظم شعره في المواعظ والحكم، وهو صاحب البيت المشهور "

إذا كان وجه العذر ليس ببين   فإن اطراح العذر خير من العذر

توفي نحو (٢٢٥هـ). انظر: فوات الوفيات (٢/٢٨٥)، رغبة الآمل في كتاب الكامل (٤/١٠٤).

فإن لم يكن عِيُّ اللسان فغالب ... من البخل يحمي ماله عن طِلابه

فإن لم يكن هذا ولا ذا فريبة ... يَصِرُّ عليها عند إغلاق بابه

[٤٣٠] **وقال بعض الشعراء:**

إعلمن إن كنت تعلمه ... أن عرض الملك حاجبه

فيه تبدو محاسنُه ... وبه تبدو معايبُه

[٤٣١] **وقال آخر:**

كم من فتى تُحْمَد أخلاقه ... وتسكن الأحرارُ في ذِمَّته

قد كَثَّر الحاجب أعداءه ... وسَلَّط الذمَّ على نعمته

[٤٣٢] **وقيل:** حضر باب عمر بن الخطاب رضي الله عنه جماعة، منهم: سهيل بن عمرو(١)، وعيينة بن حصن، والأقرع بن حابس(٢)، فخرج الآذن فقال: أين صهيب؟ أين عَمَّار؟ أين سلمان؟ فتمعَّرت(٣) وجوه القوم.

فقال واحد منهم: لم تتمعَّر وجوهكم؟ دُعُوا ودُعِينَا، فأسرعوا وأبطأنا، ولئن حسدتموهم على باب عمر لما أعد الله لهم في الجنة أكثر.

[٤٣٣] **وقال بعض الشعراء:**

سأتركُ هذا الباب ما دام إذنه ... على ما أرى حتى يخفَّ قليلاً

إذا لم نجد للإذن عندك موضعا ... وجدنا إلى ترك المجيء سبيلا

---

(١) سهيل بن عمرو، هو: ابن عبد شمس، القرشي العامري من لؤي أحد خطباء قريش وسادتها، تولى أمر الصلح بالحديبية، توفي سنة (١٨هـ)، روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم. انظر: الإصابة (١٧٧/٣)، أسد الغابة (ت ٢٣٢٦).

(٢) الأقرع بن حابس؛ هو: ابن عقال المجاشعي الدارمي التميمي من سادات العرب في الجاهلية، شهد حنينًا وفتح مكة والطائف استشهد بالجوزجان سنة (٣١هـ). انظر: الإصابة (٢٥٢/١)، البداية والنهاية (١٤١/٧).

(٣) فتمعرت: تغيرت غيظًا. انظر: القاموس المحيط، مادة [معر].

[٤٣٤] وقال آخر لحاجب:

سأترك بابًا انت تملك إذنه ... وإن كنت أعمى عن جميع المسالك

فلو كنت بوّاب الجنان تركتها ... وحولت رجلى مسرعًا نحو مالك

[٤٣٥] وكتب أبو العتاهية إلى أحمد بن يوسف(١):

لئن عدت بعد اليوم إنى لظالم ... سأصرفُ وجهى حيثُ تُبْغَى المكارمُ

متى ينجح الغادى إليك بحاجة ... ونصفك محجوب ونصفك نائمُ؟

[٤٣٦] وقال آخر:

ولست بُمتَّخِذ صاحبًا ... يقيم على بابه حاجبًا

إذا جئت قال له حاجةٌ ... وإن عدت ألفيته غائبًا

ويُلزم إخوانه حقَّه ... وليس يرى حقَّهُم واجبًا

فلست بلاقيه حتى المماتِ ... إذا أنا ألقه راكبًا

[٤٣٧] وقال عبد الله بن سعيد(٢)، فى حاجب الحجاج وكان يحجبه دائمًا:

ألا رُبَّ نصح يُغْلَقُ البابُ دونَهُ ... وغِشّ إلى جنب السرير يقرَّبُ

[٤٣٨] وقال آخر:

ماضاقت الأرض على راغب ... يطلب الرزق ولا هارب

بل ضاقت الأرض على طالب ... أصبح يشكو جفوة الحاجب

[٤٣٩] وقيل: وحُجِبَ رجلٌ على باب سلطان، فكتب إليه: نحن نعوذ بالله من المطامع الدنية والهمم القصيرة وابتذال الحرية، فإن نفسى والحمد لله أبيَّة

---

(١) أحمد بن يوسف، هو: ابن القاسم بن صبيح العجلى بالولاء عرف بالكاتب. تولى ديوان الرسائل للمأمون. اشتهر بالبداهة والفصاحة والإجادة فى الشعر . من آثاره: رسائل مدونة، توفى سنة (٢١٣هـ)، البداية والنهاية (١٠/٢٦٩) تاريخ بغداد (٥/٢١٦).

(٢) سبق ترجمته.

ما سقطت وراء همة، ولا خذلها صبر عند نازلة، ولا استرقَّها طمع ولا طُبِعَت على طبع، وقد رأيتك وَلَّيْتَ عرضك من لا يصونه ووصلت ببابك من يشينه، وجعلت ترجمان عقلك من يُكْثِر من أعدائك، ويُنْقِص من أوليائك ويسيء العبارة عنك ويوجه وفد الذم إليك، ويُضْغِن قلوب إخوانك عليك إذ كان لا يعرف لشريف قدرًا ولا لصديق منزلة، ويزيل المراتب عن جهل بها وبدرجاتها فيحطُّ العليّ إلى مرتبة الوضيع، ويرفع الدنى إلى مرتبة الرفيع، ويحتقر الضعيف لضعفه، وتنبو عينه عن ذى البذاذة[1] ويميل إلى ذى اللباس والزينة، ويُقْدِم على الهوى ويقبل الرشا.

[٤٤٠] وقال بشار[2]، وقيل هو لغيره:

تأبى خلائقُ خالد وفعاله ... إلا تَجنُّب كل أمر عائبِ
فإذا أتيت الباب وقت غدائه ... أذن الغداء رغم أنف الحاجبِ

[٤٤١] وهذا ضد قول الآخر:

إذا تَغَدَّى فر بوابه ... وارتدَّ من غير يَدٍ بابه
ومات من شهوة ما يُحْتَسَى ... عياله طَرًّا وأصحابه

[٤٤٢] وقال آخر:

يا أميرًا على جريب من الأر ... ض له تسعة من الحُجَّابِ
قاعدًا فى الخراب يحجب عنه ... ما سمعنا بحاجب فى خراب

[٤٤٣] وقال آخر:

على أى باب أطلب الإذن بعد ما ... حجبت عن الباب الذى أنا حاجبه

---

(١) ذى البذاذة: صاحب الهيئة الرثة السيئة. انظر: اللسان، مادة [بذذ].

(٢) بشار، هو: ابن برد العقلى، بالولاء، أبو معاذ، ولد سنة (٩٥هـ) كان ضريرًا . نشأ فى البصرة. أدرك الدولتين الأموية والعباسية. اتهم بالزندقة. توفى سنة (١٦٧هـ)، من آثاره "ديوان – ط ٣ أجزاء. تاريخ بغداد (١١٢/٧)، الشعر والشعراء (٢٩١) البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون(٤٩/١٠).

[٤٤٤] وقال الطائى[١]:

يـا أيهـا الملـك النـائى برؤيتـه ... وجـوده لمراعـى جـوده كثـب[٢]

ليس الحجاب بمقص عنك لى أملاً ... إن السـماء تُرَجَّـى حيـن تُحتَجَـبُ

[٤٤٥] وقال أيضًا:

وُمحجَّـب حاولتـه فوجدتـه ... نجمًا عـن الركـب العفاة شسوعا[٣]

أعدمتـه لمـا عَدِمْـتُ نَوَالَـه ... شـكرى فرحنـا معدميـن جميعـا

[٤٤٦] وقال آخر:

قـد أطلنـا بالبـاب أمـس القعـودا ... وجفينـا بـه جفـاءً شـديدًا

وذممنـا العبيـد حتـى إذا نحـ ... ـن بَلَوْنـا المولـى عذرنـا العبيـدا

[٤٤٧] وحُجِبَ رجل فكتب:

أبـا جعفـر إن الولايـة إن تكـن ... مَنبلـةُ قومًـا فـأنت لهـا نبـل

فـلا ترتفـع عنـا لشـىء وَلِيتَـه ... كما لـم يصغِّر عندنا شأنك العـزل

[٤٤٨] وكتب رجل من الكتاب فى هذا المعنى إلى صديق له: إن كان ذهولك عنا لدينا أخضلت عليك سماؤها وأَرْتَبَتْ[٤] بك ديمها[٥] إن أكثر ما يجرى فى الظن بك بل فى اليقين منك أنك أملك ما تكون لعنانك أن يجمح بك ولنفسك أن تستعلى عليك إذا لانت لك أكنافها، وانقاد فى كفك زمامها؛ لأنك لم تنل ما نلت خلسًا ولا خطفًا، ولا عن مقدار جرف إليك غير حقك وأمال نحوك سوى نصيبك، فإن ذهبت إلى أنَّ حقك قد يحتمل فى قوته وسعته

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) النائى: البعيد المتكبر المتباعد. انظر: لسان العرب، مادة [نأى].

(٣) شسوعًا: بعيدًا أو المكان البعيد والمنجم البعيد. انظر: لسان العرب، مادة [شسع].

(٤) أرتبت: ثبتت. انظر: لسان العرب، مادة [رتب].

(٥) ديمها: مطرها الذى ليس فيه برق ولا رعد. انظر: لسان العرب، مادة [ديم].

أن تضم إليه الجفوة النّبوة فيتضاءل فى جنبه ويصغر عن كبيرة فغير مدفوع عن ذلك.

وايْم اللَّهَ لولا ما بُلِيَتْ به النفس من الظن بك وأنَّ مكانك منها لا يسدّه غيرك نسخت عنك وذهلت عن إقبالك وإدبارك ولكان فى جفائك ما يردّ من غرتها ويُبَرِّد من غلتها، ولكنه لما تكاملت النعمة لك تكاملت الرغبة فيك.

[٤٤٩] **أبو حاتم**، عن العتبى قال: قال معاوية لحصين بن المنذر[١]، وكان يدخل عليه فى أخريات الناس: يا أبا ساسان كأنه لا يحسن إذنك.

فأنشأ يقول:

كل خفيف الشأن يسعى مشمّرًا ... إذا فتح البوّاب بابك إصبعا

ونحن الجلوس الماكثون رزانة ... وحلمًا إلى أن يفتح الباب أجمعا[٢]

[٤٥٠] **وقال بعض الشعراء فى بشر بن مروان[٣]:**

بعيدُ مردّ العين ما رَدَّ طرفَه ... حذار الغواشى بابُ دار ولا سِتر[٤]

ولو شاء بشر كان من دون بابه ... طماطم سودٌ أو صقالبةٌ حمرُ

ولكن بشرًا يسَّر الباب للتى ... يكون له فى غِبِّها الحمد والأجر[٥]

---

(١) حصين بن المنذر بن الحارث بن وعلة الذهلى الشيبانى الرقاشى، أبو ساسان، تابعى من سادات ربيعة وشجعانهم، وهو من ذوى الرأى، توفى سنة (٩٧هـ). انظر: تهذيب ابن عساكر (٣٧٤/٤)، سمط اللآلى (٨١٦).

(٢) رزانة: وقار. انظر: لسان العرب، مادة [رزن].

(٣) بشر بن مروان، هو: ابن الحكم بن أبى العاص القرشى الأموى، أمير، كان سمحًا جوادًا ولى الكوفة والبصرة، توفى سنة (٧٥هـ). انظر: تهذيب ابن عساكر (٢٤٨/٣) خزانة البغدادى (١١٧/٤).

(٤) الغواشى: الدواهى من خير أو شر أو مكروه. انظر: لسان العرب، مادة [غشا].

(٥) غبها: أواخرها، غب الأمر: صار إلى آخره. انظر: لسان العرب، مادة [غبب].

[٤٥١] وقال بشر:

فلا تبخلا بخل ابن قرعة إنه ... مخافة أن يُرْجَى نداه حزين
إذا جئته في العرف أغلق بابه ... فلم تلقه إلا وأنت كمين[1]
فقل لأبي يحيى متى تدرك العلا ... وفي كل معروف عليك يمين

[٤٥٢] وقال ابن هرمة يمدح[2]:

هَشٌّ إذا نزل الوفود ببابه ... سَهْلُ الحجاب مُؤَدَّب الخدَّام
وإذا رأيت شقيقه وصديقه ... لم تدر أيهما أخو الأرحام

[٤٥٣] وكتب رجل إلى بعض الملوك:

إذا كان الجواد له حجاب ... فما فضل الجواد على البخيل

[٤٥٤] فكتب إليه الآخر:

إذا كان الجواد قليل مال ... ولم يعذر تعلّل بالحجّابِ

[٤٥٥] وقال عبيد الله بن عكراش:

وإني لأرْثي للكريم إذا غدا ... على طمع عند اللئيم يطالبه
وأرثي له من مجلس عند بابه ... كمرثِيَتي للطّرف والعِلْجُ راكبه[3]

[٤٥٦] وكتب عبد الله بن أبي عيينة إلى صديق له[4]:

أَتيْتُكَ زَائِرًا لِقضَاء حَقٍّ ... فَحَالَ السِّتْرُ دُونَكَ والحِجَابُ
ولَسْتُ بسَاقِطٍ في قِدْرِ قَوْمٍ ... وإنْ كَرِهُوا كَمَا يَقَعُ الذُّبَابُ

---

(١) كمين: متخفى. يقال كمن فلان : إذا استخفى . انظر: لسان العرب، مادة [كمن].
(٢) ابن هرمة، هو: إبراهيم بن على بن سلمة بن عامر بن هرمة الكنانى القرشى، أبو إسحاق، شاعر وهو آخر الشعراء الذين يحتج بشعرهم توفى سنة (١٧٦هـ). انظر: تاريخ بغداد (١٢٧/٦)، النجوم الزاهرة (٨٤/٢).
(٣) العلج: الرجل الشديد الغليظ. انظر: اللسان، مادة [علج].
(٤) عبد الله بن أبي عيينة، هو: كان من رؤساء من أخذ البصرة للمأمون، وقال هذا الشعر فى إسماعيل بن جعفر بن سليمان بن عبد الله بن العباس، وكان له صديقًا، وكانت الحال بينهما ألطف حال، إلا أنه حدث بينهما تنافر وتناكر، ألبت كلاهم على الآخر، فتنكر إسماعيل من صاحب الترجمة، فهجاه، وهجا كل من يتصل به. انظر: الكامل للمبرد (٥٣٩/٢).

[٤٥٧] **أبو حاتم**، عن عبد الله بن مصعب الزبيرى، قال: كنّا بباب الفضل ابن الربيع[1]، وهم يأذنون لذوى الهيئات والشارات، وأعرابى يدنو فكلما دنا طُرِحَ.

فقام ناحية وأنشأ يقول:

رأيت آذِننا يَغْتَام بزَّتَنا	**وليس للحسب الزاكى بمُعتام**[2]
ولو دعينا على الأحساب قدَّمنى	**مجدٌ تليدٌ وجَدٌ راجح نامى**
متى رأيت الصقور الجدل يقدمها	**خِلْطان من رَخَمٍ قُرْعٍ ومن هام**[3]

[٤٥٨] **وقيل**: دخل شريك الحارثى[4].

علىمعاوية فقال له معاوية: من أنت؟

فقال له: يا أمير المؤمنين ما رأيت لك هفوة قبل هذه، مثلك ينكر مثلى من رعيته!

فقال له معاوية: إن معرفتك متفرقة، أعرف وجهك إذا حضرت فى الوجوه، وأعرف اسمك فى الأسماء إذا ذُكِرَتْ، ولا أعلم أن ذلك الاسم هو هذا الوجه، فاذكر لى اسمك تجتمع معرفتك.

---

(١) الفضل بن الربيع، هو: ابن يونس، أبو العباس، الوزير الحازم، كان أبوه وزيرًا للمنصور، وكان هو حاجب عند المنصور فى وزارة أبيه، وتولى الوزارة للرشيد بعد نكبة البرامكة، التى كانت على يديه، توفى سنة (٢٠٨هـ). انظر: تاريخ بغداد (٣٤٣/١٢).

(٢) بزتنا: هيئتنا وشارتنا، والبزة. الهيئة والشارة واللّبة، وبمعتام: بمؤخر. انظر: اللسان، مادة [بزز ، عتم].

(٣) خلطان: مثنى خلط وهو ما خالط الشيء، ورخم: محبة، والرخم: المحبة والعطف. انظر: اللسان، مادة [خلط، رخم].

(٤) شريك الحارثى، هو: ابن الأعور، عامل عبيد الله بن زياد على فارس وكرمان. انظر: الأغانى (٣٠١/١٨).

[٤٥٩] **وقيل:** استأذن رجلان على معاوية، فأذن لأحدهما وكان أشرف منزلة من الآخر، ثم أذن للآخر، فدخل عليه فجلس فوق صاحبه.

فقال معاوية: إن الله قد ألزمنا تأديبكم كما ألزمنا رعايتكم، وإنا لم نأذن له قبلك ونحن نريد أن يكون مجلسه دونك، فقم لا أقام الله لك وزنًا.

[٤٦٠] **وقيل:** دخل أبو مجلز[١] على عمر بن عبد العزيز حين أقدمه من خراسان، فلم يقبل عليه.

فلما خرج قال له بعض من حضر المجلس: هذا أبو مجلز.

فردَّه واعتذر إليه وقال: إني لم أعرفك.

قال: يا أمير المؤمنين فهلا أنكرتني.

[٤٦١] **قال أشجع السلمي[٢] يذكر باب محمد بن المنصور بن زياد[٣]:**

عَلَى بَابِ ابنِ مَنصُورِ ... عَلامَاتٌ مِنَ البَذْلِ
جَمَاعَاتٌ وحَسْبُ البَا ... بِ فضْلاً كَثْرَةُ الأَهْلِ

[٤٦٢] **وقيل:** وكانت العرب تتعوذ بالله من قرع الفناء ومن قرع المراح.

---

(١) أبو مجلز، هو: لاحق بن حميد بن سعيد الدوسي، البصري، وكان ممن قدم خراسان، وولي بعض الأمر، وكان عمر بن عبد العزيز يستشيره فيمن يتولى خراسان، توفي سنة (١٠٩هـ). انظر: تاريخ الطبري (٨/١٣٤، ١٣٥).

(٢) أشجع، هو: ابن عمرو السلمي، أبو الوليد، من بني سليم، من قيس عيلان، شاعر فحل، كان معاصرًا لبشار بن برد، ولد باليمامة، ونشأ بالبصرة، واستقر ببغداد، مدح البرامكة وعاش في كنفهم، توفي سنة (١٩٥هـ) والبيتان ذكرهما الجاحظ في الرسائل (٢/٨٢)، والمبرد في الكامل (١/٢٢٦).

(٣) محمد بن المنصور بن زياد، هو: كان من كتاب الدولة العباسية تولى الحجابة للرشيد، بعد ما كتب ليحيى بن خالد البرمكي. انظر: أخباره: كتاب الوزراء والكتاب للجهشاري (٦١، ١٩٠، ١٩٣، ٢٢٤)، وتاريخ الطبري (٦/٦٣٧، ٦٥٩).

[٤٦٣] **وقال بعض الشعراء:**

مــــالي أرى أبوابهـــــم مهجــــــورة　　وكَــأنَّ بــــابك مجمـــــع الأســـــواق

أَرَجُوكَ أم خـــافوك أم شــاموا الحيــا　　بحــــراك فــــانتجعوا مـــن الآفـــاق[1]

[٤٦٤] **وقال آخر:**

يزدحـــم النَّـــاسُ علــــى بابـــــه　　والمشْـرَعُ العــذبُ كثــير الزحــام

[٤٦٥] **وقال آخر:**

إن النَّـــــدى حيــــــث تـــــرى الضّغاطــــــا

يعني الزحام

[٤٦٦] **وقال بشار**[2]**:**

ليــس يعطيـــك للرجـــاء ولا الخـــو　　ف ولكـــن يلـــذُّ طعـــمَ العطـــــاء

يســقط الطـيرُ حيــث ينتـثر الحــبُّ　　وتغشــــــى منـــــازل الكرمـــــــاء

[٤٦٧] **وقيـــل:** دَقّ رجـــل على عمـــر بن عبد العـــزيز الباب.

فقال عمر: من هذا؟

قال: أنا.

قال عمر: ما نعرف أحدًا من إخواننا يسمى أنا.

[٤٦٨] **وقيل:** خرج شبيب بن شيبة من دار الخلافـة يومًـا، فقـال لـه قـائل: كيف رأيت الناس؟

فقال: رأيت الداخل راجيًا، ورأيت الخارج راضيًا.

---

(١) الحرا: جناب الرجل وما حوله . انظر: لسان العرب، مادة [حرى].

(٢) انظر: ديوان بشار بن برد (١١١/١) لشارحه محمد الطاهر بـن عاشـور ولقـد أورد البيتيـن بعكس الترتيب.

[٤٦٩] **قال أبو العتاهية:**

إذا اشْـتَدَّ دونـي حجـاب امـرئ   كفيـت المؤونـة حُجَّابـه

[٤٧٠] **حُجِبَ أعرابى على باب السلطان فقال:**

أهيـن لهـم نفسـى لأكْرِمَهـا بهـم   ولا يُكْـرم النفـس الـذى لا يُهينهـا

[٤٧١] **وقال جرير:**

قـوم إذا حضـر الملـوكَ وفودُهـم   نُتِفَـتْ شـواربهم علـى الأبـواب

[٤٧٢] **وقال آخر:**

فلمـا وردت البـابَ أيقنـتُ أننـا   علـى اللـه والسـلطان غـيرُ كـرام

[٤٧٣] **وقال أبو القمقام الأسدى**[١]:

أبلـغْ أبـا مـالك عنـى مُغلْغَلـةً   وفـى العِتـاب حيـاةٌ بيـن أقـوام[٢]

أدْخلـت قبلـى قومًـا لـم يكـن لهـم   مـن قبـل أن يلجُـوا الأبـواب قُدَّامـى

لـو عـد بيـت وبيـتٌ كنـت أكرمهـم   بيتًـا وأبعدهـم مـن منـزل الـذّام[٣]

فقـد جعلـت إذا مـا حـاجتى نزلـت   ببـاب دارك أدلوهـا بـأقوام[٤]

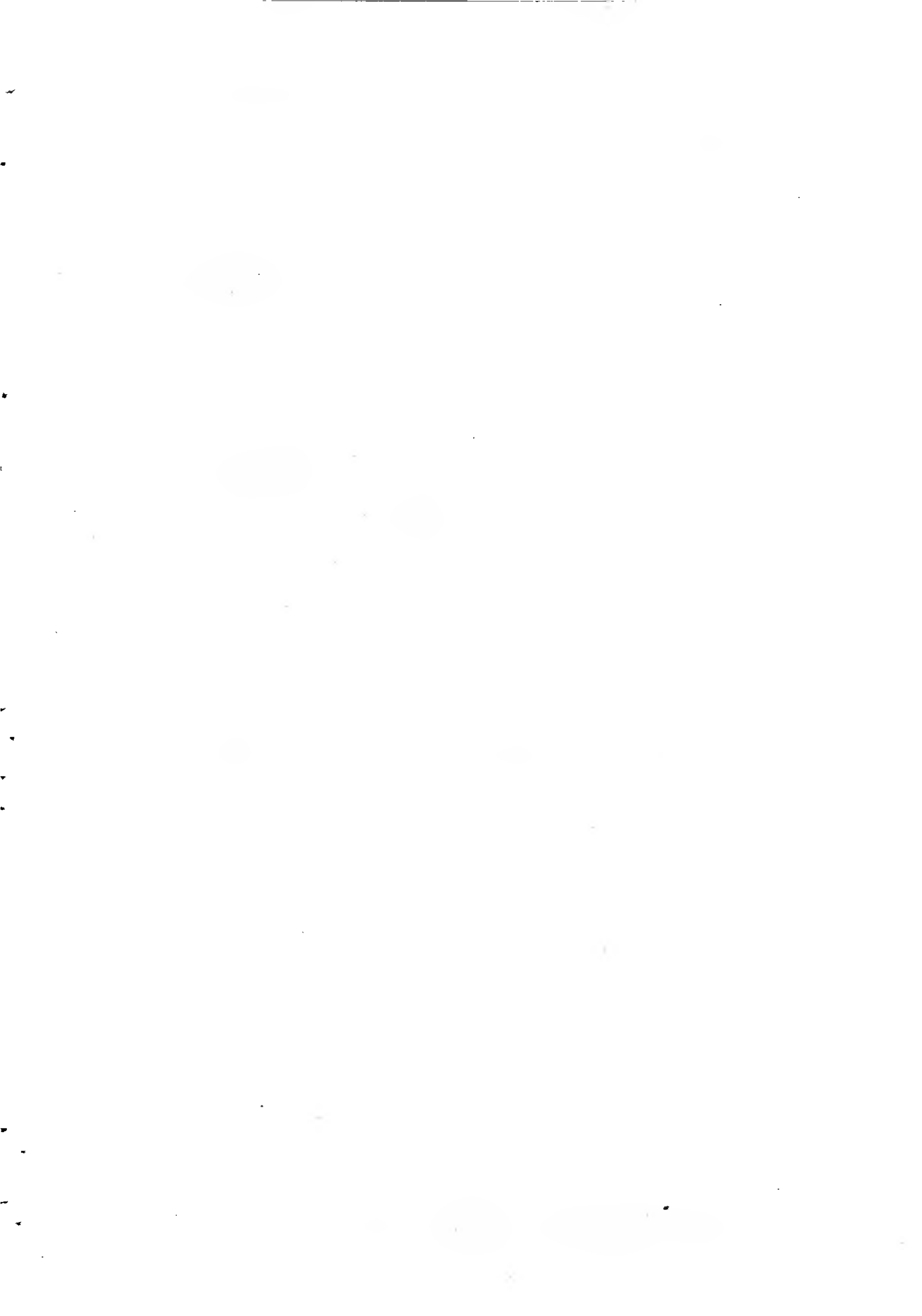
---

(١) الأبيات ذكرها الجاحظ فى البيان والتبيين (٣١٦/٢)، غير أنه نسبها لهمام الرقاشى.

(٢) مغلغلة: الرسالة منقولة من بلد إلى بلد. انظر: لسان العرب، مادة [غلل].

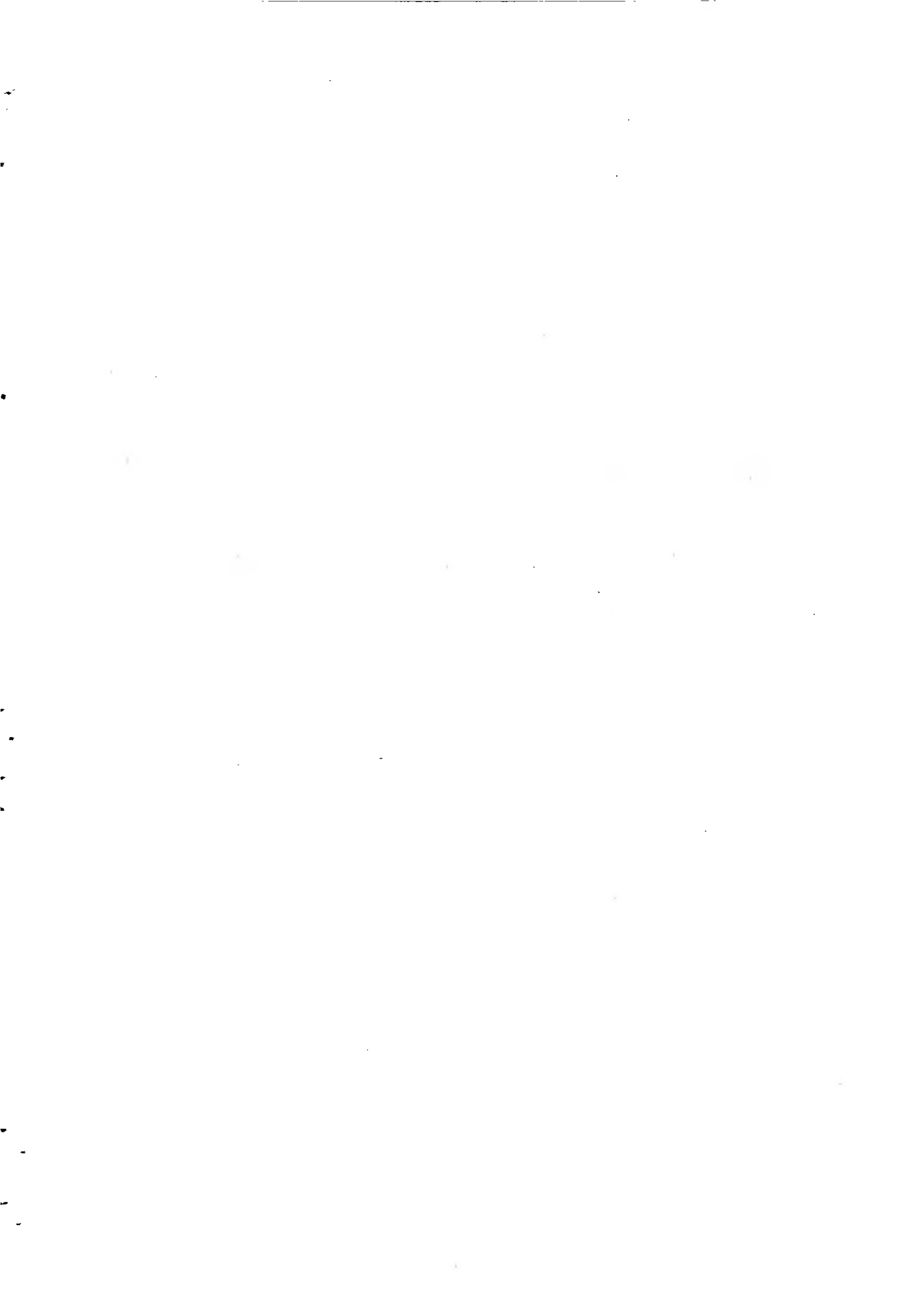
(٣) الذام: العيب، والذَّمُّ. انظر: القاموس المحيط، مادة [ذمم].

(٤) ادلوها. أخرجها وألقيها. انظر: لسان العرب، مادة [دلو].



الفصل السادس عشر

التلطف فى مخاطبة السلطان وإلقاء النصيحة إليه



التلطف فى مخاطبة السلطان
وإلقاء النصيحة إليه

[٤٧٤] **العتبى قال:** قال عمرو بن عتبة[١]، للوليد[٢] حين تَنَكَّر له الناس: يا أمير المؤمنين، إنك تنطقنى بالأنس بك، وأنا أكفت ذلك بالهيبة لك. وأراك تأمن أشياءً أخافها عليك، أفأسكت مطيعًا؟ أم أقول مشفقًا؟

فقال: كلٌّ مقبول منك، ولله فينا علم غيب نحن صائرون إليه. ونعود فنقول: فقتل بعد أيام.

[٤٧٥] **وفى إلقاء النصيحة إليه:** قرأت فى كتاب للهند أن رجلاً دخل على بعض ملوكهم.

فقال له: أيها الملك نصيحتك واجبة فى الحقير الصغير؛ بَلْه الجليل الخطير، ولولا الثقة بفضيلة رأيك واحتمالك ما يسوء موقعه من الأسماع والقلوب فى جنب صلاح العاقبة وتلافى الحادث قبل تفاقمه؛ لكان خرقًا منى أن أقول.

وإن كُنَّا إذا رجعنا إلى أن بقاءنا موصول ببقائك، وأنفسنا معلقة بنفسك لم أجد بُدًّا من أداء الحق إليك وإن أنت لم تسألنى أو خفت ألا تقبل منى.

فإنه يقال: من كتم السلطان نصحه، والأطباء مرضه، والإخوان بثه؛ فقد خان نفسه.

---

(١) عمرو بن عتبة، هو: ابن أبى سفيان، هو ابن أخى معاوية بن أبى سفيان. وكان عمرو ممن خرج مع ابن الأشعث على الحجاج، وقتل فى تلك الحروب. والقصة وردت فى البيان والتبيين الجزء الثانى ص (٩٨).

(٢) سبق ترجمته.

الخفوت[1] فى طاعته:

[٤٧٦] **قال بعض الخلفاء لجرير بن يزيد:** إنى قد أعددتك لأمر.

قال: يا أمير المؤمنين، إن الله قد أعد لك منى قلبًا معقودًا بنصيحتك، ويدًا مبسوطة بطاعتك، وسيفًا مشحوذًا[2] على عدوك؛ فإذا شئت فقل.

[٤٧٧] **وفى مثله:** قال إسحاق بن إبراهيم، قال لى جعفر بن يحيى[3]: أغد عَلَىَّ غدًا لكذا.

فقلت: أنا والصبح كفرسى رهان.

[٤٧٨] **وفى مثله:** أمر بعض الأمراء رجلاً بأمر.

فقال له: أنا أَطْوَعُ لك من اليد، وأذَلُّ لك من النعل.

[٤٧٩] **وقال آخر:** أنا أطوع لك من الرداء، وأَذَلُّ لك من الحذاء.

التلطف فى مدحه:

[٤٨٠] **قال خالد بن عبد الله القسرى،** لعمر بن عبد العزيز: من كانت الخلافة زانته، فإنك قد زنتها، ومن كانت شرفته فإنك قد شَرَّفْتَها، فأنت كما قال القائل[4]:

وإذَا الـدُّرُّ زانَ حسـنَ وُجُـوه ... كـان للـدُّرِّ حُسْـنُ وَجْهِـكِ زَيْنـا

فقال عمر: أُعْطِىَ صاحبكم مقولاً، ولم يُعْطَ معقولاً.

---

(١) الخفوت: الضعف والتذلل. انظر: لسان العرب، مادة [خفت].

(٢) مشحوذًا: حادًّا مسنن. انظر: لسان العرب، مادة [شحذ].

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) البيت لـ الحسين بن أحمد بن بطّويه أبو عبد الله النحوىُّ وما يلى البيت :

وتَزيدينَ أطْيَبَ الطِّيبِ طِيبًا ... إنْ تَمَسِّيه أَيْنَ مِثلُك أيْنا ؟؟

[٤٨١] **وكتب بعض الأدباء إلى بعض الوزراء:** إن أمير المؤمنين منذ استخلصك لنفسه، فنظر بعينك، وسمع بأذنك، ونطق بلسانك، وأخذ وأعطى بيدك، وأورد وأصدر عن رأيك، وكان تفويضه إليك بعد امتحانك، وتسليطه الرأى على الهوى فيك بعد أن مَيَّل بينك وبين الذين سموا لرتبتك وجروا إلى غايتك، فأسقطهم مضمارك، وخَفُّوا فى ميزانك، ولم يزدك رفعة إلا ازددت لله تواضعًا، ولا بسطًا وإيناسًا إلا ازددت له هيبة وإجلالاً، ولا تسليطًا وتمكينًا إلا ازددت عن الدنيا عِزوفًا، ولا تقريبًا إلا ازددت من العامة قربًا.

ولا يخرجك فرط النصح للسلطان عن النظر لرعيته.

ولا إيثار حقه عن الأخذ لها بحقها عنده.

ولا القيام بما هو له عن تضمُّن ما عليه.

ولا تشغلك جلائل الأمور عن التفقُّد لصغارها.

ولا الجذل بصلاحها واستقامتها عن استشعار الحذر وإمعان النظر فى عواقبها.

[٤٨٢] **وفى مدحه:** دخل العمانى[١] الراجز على الرشيد، لينشده وعليه قلنسوة طويلة وخُفّ ساذج[٢].

فقال له الرشيد: يا عمانى، إياك أن تنشدنى إلا وعليك عمامة عظيمة الكور وخفان دلقمان[٣]. فبكّر إليه من الغد وقد تزيا بزى الأعراب، ثم أنشده وقَبَّل

---

(١) العمانى، هو: أبو العباس محمد بن ذؤيب الفقيمى العمانى الراجز، وهو شاعر من شعراء الدولة العباسية، كان مقربًا للرشيد توفى نحو (٢٢٨هـ). انظر: الأغانى (١٧/٧٨)، والشعراء لابن قتيبة.

(٢) ساذج: بالٍ قديم. انظر: لسان العرب، مادة [سذج].

(٣) دلقمان: باليان من كثرة مرور الزمن عليهما . انظر: اللسان، مادة [دلقم].

يده، وقال: يا أمير المؤمنين قد والله أنشدت مروان[1]، ورأيت وجهه، وقبلت يده، وأخذت جائزته، ثم يزيد بن الوليد[2]، وإبراهيم بن الوليد[3]، ثم السفاح[4]، ثم المنصور[5]، ثم المهدى[6]، كل هؤلاء رأيت وجوههم، وقبلت أيديهم، وأخذت جوائزهم إلى كثير من أشباه الخلفاء، وكبار الأمراء، والسادة، والرؤساء، والله ما رأيت فيهم أبهى منظرا، ولا أحسن وجهًا، ولا أنعم كفًّا، ولا أندى راحة منك يا أمير المؤمنين.

---

(١) مروان، هو: ابن عبد الملك بن مروان الأموى: أمير من شجعان بنى أمية، حج مع أخيه الوليد فى خلافته وتشاجرا فى وادى القرى وقد مات ودفنوه فيه. ورثاه بعض الشعراء توفى عام (٩١هـ). انظر: نسب قريش (١٦٢).

(٢) يزيد بن الوليد، هو: ابن عبد الملك بن مروان، أبو خالد: من ملوك الدولة المروانية الأموية بالشام. مولده ووفاته فى دمشق وقيل: لم يكن فى بنى أمية مثله ومثل عمر بن عبد العزيز. ويقال له: الناقص لأنه أنقص أجور الجنود. توفى عام (١٢٦هـ). انظر: ابن خلدون (١٠٦/٣) والبداية والنهاية (١١/١٠).

(٣) إبراهيم، هو: ابن الوليد بن عبد الملك المروانى الأموى، أبو إسحاق: أمير، تولى دمشق بعد وفاة أخيه يزيد وكان ضعيفًا مغلوبًا على أمره. وقتل مع من قتل من بنى أمية حين زالت دولتهم. وتوفى عام (١٣٢هـ). انظر: ابن الأثير فى الكامل (١١٤/٥)، وابن خلدون (١١٢/٣) والطبرى (٤٦/٩).

(٤) السفاح، هو: عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، أبو العباس: أول خلفاء الدولة العباسية وأحد الجبارين الدهاة، ولقب بالسفاح لكثرة ما سفح من دماء. كان يوصف بالفصاحة والعلم. ومات بالجدرى بالأنبار. توفى عام (١٣٦هـ). انظر: ابن الأثير (١٥٢/٥)، والطبرى (١٥٤/٩).

(٥) المنصور، هو: عبد الله بن محمد بن على بن العباس، أبو جعفر المنصور: ثانى خلفاء بنى العباس وأول من عنى بالعلوم من ملوك العرب، كان عارفًا بالفقه والأدب وهو قاتل أبى مسلم الخراسانى وهو والد الخلفاء العباسيين جميعًا. وتوفى عام (١٥٨هـ). انظر: ابن الأثير (١٧٢/٥) والطبرى (٢٩٢/٩).

(٦) المهدى، هو: محمد بن عبد الله المنصور بن محمد بن على العباسى، أبو عبد الله، المهدى بالله من خلفاء الدولة العباسية فى العراق. كان محمود العهد والسيرة، محببًا للرعية. مات مسمومًا. توفى عام (١٦٩هـ). انظر: ابن الأثير (١١/٦) الطبرى (١١/١٠).

فأعظم له الجائزة على شعره، وأضعف له على كلامه، وأقبل عليه فبسطه حتى تمنى جميع من حضر أنه قام ذلك المقام.

[٤٨٣] **وفى المديح:** كتب الفضل بن سهل[1] إلى أخيه الحسن بن سهل[2] فقال: إن الله قد جعل جدك عاليًا، وجعلك فى كل خير مُقْدَّمًا وإلى غاية كل فضل سابقًا وصَيَّرك، وإن نأت بك الدار، من أمير المؤمنين وكرامته قريبًا، وقد جدد لك من البر كيت وكيت.

وكذا يحوز الله لك من الدين والدنيا، والعز والشرف أكثره وأشرفه، إن شاء الله.

[٤٨٤] **وفى مدحه:** قال الرشيد يومًا لبعض الشعراء: هل أحدثت فينا شيئًا؟

فقال: يا أمير المؤمنين المديح فيك دون قدرك، والشعر فيك فوق قدرى؛ ولكنى أستحسن قول العتابى[3]:

ماذا يرى قائل يثنى عليك وقد	ناداك فى الوحى تقديس وتطهير
فت المدائح إلا أن ألسننا	مُسْتَنْطَقات بما تخفى الضمائر
فى عترة لم تقم إلا بطاعتهم	من الكتاب ولم تقض المشاعير
هذى يمينك فى قرباك صائلة	وصارم من سيوف الهند مأثور

---

(١) الفضل بن سهل، هو: السرخسى، أبو العباس وزير المأمون وصاحب تدبيره. وكان يلقب بذى الرياستين (الحرب والسياسة) وقيل إن المأمون دسَّ عليه من قتله. وكان حازمًا عاقلاً فصيحًا. توفى عام (٢٠٢هـ). انظر: وفيات الأعيان (٤١٣/١) تاريخ بغداد (٢٣٩/١٢).

(٢) الحسن بن سهل، هو: ابن عبد الله السرخسى ، أبو محمد: وزير المأمون العباسى، وأحد كبار القادة والولاة فى عصره. اشتهر بالأدب والفصاحة والكرم. تزوج المأمون من ابنته وهو أخو ذى الرياستين. توفى عام (٢٣٦هـ). انظر: وفيات الأعيان (١٤١/١) وتاريخ بغداد (٣١٩/٧).

(٣) العتابى، هو: كلثوم بن عمرو بن أيوب التغلبى، أبو عمرو، من بنى عتاب كاتب شاعر . من آثاره فنون الحكم وآداب الخيل توفى عام (٢٢٠هـ) تاريخ بغداد (٤٨٨/١٢) معجم الأدباء (٥/١٨) الشعر والشعراء (٣٦٠).

[٤٨٥] **وفى مدحه:** كتب بعض الكتاب إلى بعض الأمـراء: إن مـن النعمـة علـى المثنى عليك أنه لا يخاف الإفـراط، ولا يـأمن التقصير، ولا يحـذر أن تلحقـه نقيصـة الكـذب، ولا ينتهى به المـدح إلى غاية؛ إلا وجد فى فضلك عونًا على تجاوزها.

ومن سعادة جدّك أن الداعى لك لا يعـدم كـثرة المشـايعين، ومسـاعدة النيـة على ظاهر القول.

[٤٨٦] **وفى مثله:** كتب بعض الأدباء إلى الوزيـر: ممـا يعيـن علـى شـكرك كثرة المنصتين له، ومما يبسط لسان مادحك أمنه من تَحَمُّل الإثم فيه وتكذيـب السامعين له.

[٤٨٧] **وفى مثل ذلك:** لما عقد معاوية البيعة ليزيد[١]، قام الناس يخطبون.

فقال لعمرو بن سعيد[٢]: قم يا أبا أمية، فقام فحمد الله وأثنى عليه، ثم قـال: أما بعد فإن يزيد بن معاوية أمل تأملونه وأجل تأمنونه، إن اُسْـتُضِفْتُمْ إلـى حلمـه وسعكم، وإن احتجتم إلى رأيه أرشـدكم، وإن افتقرتـم إلـى ذات يـده أغنـاكم، جـذع[٣] قارحٌ، سوبق فسبق، ومُوجِـد فمجـــد، وقـورع فخـرج، فهـو خلـف أمير المؤمنين، ولا خلف منه.

فقال معاوية: أوسعت يا أبا أمية فاجلس.

[٤٨٨] **وفى مثل ذلك:** قال رجل للحسن بن سـهل: أيهـا الأمـير، أَسْكَتَنِي

---

(١) يزيد، هو: ابن معاوية بن أبى سفيان الأموى ثانى ملوك الدولة الأموية ويقـال: إنـه أول مـن خدم الكعبة وكساها الديباج الخسرواني، ومدته فى الخلافة ثلاث سنين وتسعة أشـهر وفـى أيامه كانت فاجعة المسلمين بموت الحسين بن على عـام (٦١هـ)، وتوفـى عـام (٦٤هـ). انظر: الطبرى : حوادث سنة (٦٤) ومختصر تاريخ العرب (٧١).

(٢) عمرو بن سعيد، هو: ابن العاص بن أمية بن عبد شمس الأموى القرشى، أبو أميـة أمـير مـن الخطباء البلغاء جعل لـه مـروان بـن الحكـم ولايـة العهـد بعـد عبـد الملـك لقـب بالأشـدق لفصاحته، توفى عام (٧٠هـ) الإصابة : ت (٦٨٥٠)، ابن الأثير (٤/١١٦).

(٣) جذع: صغير السن. انظر: لسان العرب، مادة [جذع].

عن وصفك تساوى أفعالك فى السودد[1]، وحَيَّرَنى فيها كثرة عددها، فليس إلى ذكر جميعها سبيل، وإن أردت ذكر واحدة اعترضت أختها، إذ لم تكن الأولى أحق بالذكر منها، فلست أصفها إلا بإظهار العجز عن صفتها.

[٤٨٩] **وفى مثل ذلك:** كتب آخر إلى محمد بن عبد الملك[2]: إن مما يطمعنى فى بقاء النعمة عليك، ويزيدنى بصيرة فى العلم بدوامها لديك أنك أخذتها بحقها، واستوجبتها بما فيك من أسبابها، ومن شأن الأجناس أن تتواصل وشأن الأشكال أن تتقاوم، والشيء يتغلغل فى معدنه ويَحِنُّ إلى عنصره، فإذا صادف منبته، ولُزَّ فى مغرسه؛ ضرب بعرقه، وسمق[3] بفرعه، وتَمَكَّن تَمَكُّن الإقامة، وثبت ثبات الطبيعة.

[٤٩٠] **وفى مثل ذلك:** كتب آخر إلى بعض الوزراء: رأيتنى فيما أتعاطى من مدحك كالمخبر عن ضوء النهار الباهر، والقمر الزاهر الذى لا يخفى على ناظر، وأيقنت أنى حيث انتهى بى القول منسوب إلى العجز، مقصر عن الغاية؛ فانصرفت عن الثناء عليك إلى الدعاء لك، ووكلت الإخبار عنك إلى علم الناس بك.

[٤٩١] **وفى مثله كتب العتابى إلى خالد بن يزيد**[4]: أنت أيها الأمير وارث سلفك، وبقية أعلام أهل بيتك، المسدود بك ثَلْمُهم والمجَدَّد بك قديم

---

(١) السُّودد: الشرف والمجد، وتهمز فنقول السؤدد. انظر: لسان العرب، مادة [سدد].

(٢) محمد بن عبد الملك، هو: ابن مروان بن الحكم الأموى: أمير من بنى أمية، له رواية للحديث. أخذ عنه الأوزاعى وآخرون، ولى الديار المصرية لأخيه هشام. وتوفى (١٣٢هـ). انظر: النجوم الزاهرة (١/٣٢٣).

(٣) سمق: ارتفع وعلا وطال. انظر: اللسان، مادة [سمق].

(٤) خالد بن يزيد، هو: ابن معاوية بن أبى سفيان الأموى القرشى، أتقن الكيمياء والطب والنجوم وصف بالعلم والدين والعقل، وكان خطيبًا شاعرًا وفصيحًا جيد الرأى، كان أول من نرجم كتب النجوم والطب والكيمياء توفى بدمشق (٩٠هـ). انظر: البيان والتبيين (١/١٧٨)، الوفيات (١/١٦٨).

شرفهم، والمنبَّه بك أيام صيتهم، والمنبسط بك آمالنا، والصائر بك أكالنا، والمأخوذ بك حظوظنا، فإنه لم يخمل من كنت وارثه، ولا درست آثار من كنت سالك سبيله، ولا امحت معاهد من خلفته في مرتبته.

التلطف في شكره:

[٤٩٢] **وفي شكره:** قرأت في التاج، قال بعض الكتاب للملك: الحمد لله الذى أعلقنى سببًا من أسباب الملك، ورفع خسيستى بمخاطبته، وعزَّز ركنى من الذلة به، وأظهر بسطتى في العامة، وزين مقاومتى في المشاهدة، وفقأ عنى عيون الحسدة، وذلّلَ لى رقاب الجبابرة، وأعظم لى رغبات الرعية، وجعل لى به عقبا يوطأ، وخطرًا يُعَظّم ومزية تحسن.

والذى حقق في رجاء من كان يأملنى، وظاهر به قوة من كان ينصرنى، وبسط به رغبة من كان يسترفدنى.

والذى أدخلنى من ظلال الملك في جناحٍ سترنى، وجعلنى من أكنافه في كَنفٍ اتَّسَعَ علىَّ.

[٤٩٣] **وفي شكره، وتعداد نعمه:** قرأت في سير العجم، أن أردشير لما استوسق له أمره، جمع الناس وخطبهم خطبة بليغة حَضَّهُمْ فيها على الألفة والطاعة وحذرهم المعضية[1]، وصنّف الناس أربعة أصناف، فخر القوم سجدًا.

وتكلم متكلمهم مجيبًا فقال: لا زلت أيها الملك مَحْبوًّا من الله بعزة النصر، ودرك الأمل، ودوام العافية، وحسن المزيد، ولا زلت تتابع لديك النعم، وتُسْبَغ عندك الكرامات والفضل حتى تبلغ الغاية التى يؤمن زوالها، ولا تنقطع زهرتها في دار القرار التى أعدها الله لنظرائك من أهل الزُّلفى عنده والحظوة لديه،

---

(١) المعضية: التعضية بمعنى التفريق، والتجزئة وهو مأخوذ من الأعضاء. انظر: لسان العرب، مادة [عضو].

ولا زال ملكك وسلطانك باقيين بقـاء الشـمس والقمـر، زائديـن زيـادة البحـور والأنهار حتى تستوى أقطار الأرض كلها فى علوِّك عليها ونفاذ أمرك فيها.

فقد أشرق علينا من ضياء نورك ما عَمَّنا عموم ضياء الشمس، ووصل إلينا من عظيم رأفتك ما اتَّصل بأنفسنا اتِّصـال النسيم، فجُمِعَت الأيـدى بعـد افتراقهـا، والكلمـة بعد اختلافهـا، وأُلِّفْتَ بين القلوب بعـد تباغضهـا، وأذهبـت الإحَـنَ[1] والحسائك[2] بعد استعار نيرانها، وأصبح فضلك لا يدرك بوصف ولا يُحَد بتعداد.

ثم لم ترض بما عممتنا به من هذه النعم وظاهرت من هـذه الأيـادى؛ حتـى أحببت توطيدها والاستيثاق منها، وعملت لنا فى دوامهـا كعملـك فـى إقامتهـا، وكفلت من ذلك ما نرجوا نفعه فى الخلوف والأعقاب، وبلغت همتك لنـا فيـه حيث لا تبلغ همم الآباء للأولاد.

فجــزاك الله الـذى رضــاه تَحَرَّيــت، وفـى موافقتــه سـعيت أفضـل مـا التمست ونويت.

[٤٩٤] **وفى مثله:** قال خالد بن صفوان[3] لوال دخل عليه: قدمت فأعطيت كلاًّ بقسطه من نظرك ومجلسك وصلاتك وعدلك؛ حتى كأنك مـن كـل أحـد أو كأنك لست من أحد.

[٤٩٥] **وفى شكره:** كتب بعض الكتاب إلى الوزير يشكر له: من شكر لك عن درجة رفعته إليها أو ثروة أفدته إياها فإن شكرى إيـاك علـى مُهْجَة أحييتهـا وحشاشة تبقيتها ورمق أمسكت به وقمت بين التلف وبينه.

---

(١) الإحن، جمع إحنة: وهى الحقد فالمقصود الأحقاد. انظر: لسان العرب، مادة [أحن].

(٢) الحسائك، جمـع حسكــة: والحسـك، والحسكــة، والحسيكــة: الحقـد. انظـر: لسـان العرب، مادة [حسك].

(٣) تقدمت ترجمته.

[٤٩٦] **وفى شكوه:** قرأت فى كتاب: ولكل نعمة من نعم الدنيا حد تنتهى إليه، ومدى توقف عنده، وغاية فى الشكر يسمو إليها الطرف خلا هذه النعمة التى فاتت الوصف وطالت الشكر وتجاوزت كل قدر، وأتت من وراء كل غاية، وجمعت من أمير المؤمنيين مننا جمة أبقت للماضين منا وللباقين فخر الأبد، وردت عنا كيد العدو وأرغمت عنا أنف الحسود، وبسطت لنا عزًّا نتداوله ثم نخلفه للأعقاب.

فنحن نلجأ من أمير المؤمنين إلى ظل ظليل، وكنف كريم، وقلب عطوف، ونظر رؤوف، فكيف يشكر الشاكر منا، وأين يبلغ اجتهاد مجتهدنا ومتى نؤدى ما يلزمنا ونقضى المفترض علينا وهذا كتاب أمير المؤمنين الذى لو لم تكن له ولآبائه الراشدين عند من مضى منا ومن غيرنا إلا ما ورد من صنوف كرامته وأياديه ولطيف ألفاظه ومخاطبته، لكان فى ذلك ما يحسن الشكر ويستفرغ المجهود.

التلطف فى مسئلة العفو:

[٤٩٧] **قال كسرى ليوشت المغنى،** وقد قتل فهلوذ حين فاقه وكان تلميذه: كنت أستريح منه إليك ومنك إليه، فأذهب شطر تمتعى حسدك ونغل[١] صدرك.

ثم أمر أن يُلْقَى تحت أرجل الفيلة.

فقال: أيها الملك إذا قتلتُ أنا شطر طربك[٢]، وأبطلته، وقتلت أنت شطره الآخر، وأبطلته، أليس تكون جنايتك على طربك كجنايتى عليه؟

قال كسرى: دعوه، ما دله على هذا الكلام إلا ما جعل له من طول المدة.

---

(١) نغل: فساد، نغل صدرك بمعنى: ضغن صدرك. انظر: لسان العرب، مادة [نغل].

(٢) طربك: الطرب: خفة تعترى عند شدة الفرح أو الحزن والهم وقيل: حلول الفرح وذهاب الهم. انظر: لسان العرب، مادة [طرب].

[٤٩٨] **وفى العفو أيضًا.** قال رجل للمنصور: الانتقام عدل، والتجاوز فضل، ونحن نعيذ أمير المؤمنين بالله من أن يرضى لنفسه بأوكس[1] النصيبين دون أن يبلغ أرفع الدرجتين.

[٤٩٩] **وفى العفو:** جلس الحجاج يقتل أصحاب عبد الرحمن، فقام إليه رجل منهم.

فقال: أيها الأمير إن لى عليك حقًّا.

قال: وما حقك علىّ؟

قال سَبَّكَ عبد الرحمن يومًا فرددت عنك.

قال: ومن يعلم ذاك؟

فقال الرجل: أنشد الله رجلاً سمع ذاك إلا شهد به.

فقام رجل من الأسرى فقال: قد كان ذاك أيها الأمير.

فقال: خلُّوا عنه.

ثم قال للشاهد: فما منعك أن تنكر كما أنكر؟

قال: لقديم بغضى إياك.

قال: ويُخلَّى هذا لصدقه.

[٥٠٠] **وفى العفو:** أسر معاوية يوم صفين[2] رجلاً من أصحاب علىّ صلوات الله عليه.

---

(١) أوكس: بمعنى أنقص؛ فالوكس هو النقص. انظر: لسان العرب، مادة [وكس].
(٢) صفين: هى موضع بقرب الرقة على شاطىء الفرات بالجانب الغربى بين الرقة وبالس. وكانت وقعة بين علىّ رضي الله عنه ومعاوية فى سنة ٣٧ فى غرة صفر، وقتل فى الحرب بينهما سبعون ألفا منهم من أصحاب على خمسة وعشرون ألفًا ومن أصحاب معاوية خمسة وأربعون ألفًا، وقتل مع علىّ خمسة وعشرون صحابيًّا بدريًّا وقد أكثرت الشعراء من وصف صفين فى أشعارهم. انظر: معجم البلدان (٤٧١/٣).

فلما أقيم بين يديه قال: الحمد لله الذى أمكن منك.

قال: لا تقل ذاك فإنهامصيبة.

قال: وأية نعمة أعظم من أن يكون الله أظفرنى برجل قتل فى ساعة واحدة جماعة من أصحابى، اضربا عنقه.

فقال: اللهم اشهد أن معاوية لم يقتلنى فيك، ولا لأنك ترضى قتلى؛ ولكن قتلنى فى الغلبة على حطام هذه الدنيا، فإن فعل فافعل به ما هو أهله، وإن لم يفعل فافعل به ما أنت أهله.

فقال: قاتلك الله، لقد سببت فأوجعت فى السب، ودعوت فأبلغت فى الدعاء، خليا سبيله.

[٥٠١] **وفى مثله.** أخذ عبد الملك بن مروان سارقًا فأمر بقطع يده فقال:

يدى يا أمير المؤمنين أعيذها بعفوك أن تلقى مكانًا يشينها

فلا خير فى الدنيا وكانت حبيبة إذا ما شمالى فارقتها يمينها

فأبى إلا قطعه، فدخلت عليه أمه فقالت: يا أمير المؤمنين، واحدى وكاسبى.

فقال: بئس الكاسب، هذا حد من حدود الله.

فقالت: اجعله من الذنوب التى تستغفر الله منها، فعفا عنه.

[٥٠٢] **وفى مثله:** أخذ عبد الله بن على[١] أسيرًا من أصحاب مروان، فأمر بضرب عنقه، فلما رفع السيف ليضرب به؛ ضَرَطَ الشامى فوقع العمود بين يدى الغلام، ونفرت دابة عبد الله.

---

(١) عبد الله بن على، هو: ابن عبد الله بن العباس الهاشمى العباسى: أمير هو عم الخليفة أبى جعفر المنصور، وهو الذى هزم مروان بن محمد بالزاب وتبعه إلى دمشق، وفتحها وهدم سورها وظل أميرًا على بلاد الشام مدة خلافة السفاح. توفى (١٤٧هـ) انظر: تاريخ بغداد (٨/١٠).

فضحك وقال: اذهب فأنت عتيق استك.

فالتفت إليه وقال: أصلح الله الأمير! ما رأيت ضرطة قط أنجت من الموت غير هذه؟

قال: لا، قال: هذا والله الإدبار.

قال: وكيف ذاك؟

قال: ما ظنك بنا وكنا ندفع الموت بأسنّتِنَا، فصرنا ندفعه اليوم باستاهنا.

[٥٠٣] **وفي مثله:** خرج النعمان بن المنذر(١) في غِبٍّ(٢) سماء، فمر برجل من بني يشكر(٣) جالسًا على غدير ماء.

فقال له: أتعرف النعمان؟

قال اليشكري: أليس ابن سلمى؟

قال: نعم.

قال: والله لربما أمررت يدي على فرجها.

قال له: ويحك، النعمان بن المنذر!

قال: قد خبَّرْتُكَ. فما انقضى كلامه حتى لحقته الخيل وحيُّوه بتحية الملك.

فقال له: كيف قلت؟

قال: أبيت اللعن، إنك والله ما رأيت شيخًا أكذب ولا ألأم ولا أوضع ولا أعض ببظر أمه من شيخ بين يديك.

---

(١) النعمان بن المنذر، هو: النعمان الثالث ابن المنذر الرابع ابن المنذر بن امرىء القيس اللخمي أبو قابوس: من أشهر ملوك الحيرة صاحب إيفاد العرب على كسرى. توفي نحو (١٥ ق هـ) المعارف ابن قتيبة (٢٨٣) الكامل لابن الأثير (١/١٧١).

(٢) الغب: في الزيارة أن تكون كل أسبوع. انظر: القاموس المحيط، مادة [غبب].

(٣) بنو يشكر: بطن من بكر بن وائل ، من العدنانية معجم قبائل العرب (٣/١٢٦٥)

فقال النعمان: دعوه.

فأنشأ يقول:

تعفـــو الملـــوك عـــن العظيـــ	م مـــن الذنـــوب لفضلهـــا
ولقـــد تُعـــاقب فـــى اليسيـــ	ر وليـــس ذاك لجهلهـــا
إلا لِيُعْـــرَف فضلهـــا	ويخـــاف شِـــدَّةُ نَكْلِهـــا

[٥٠٤] **وفى مثله:** لما أخذ المأمون إبراهيم بن المهدى[١]، استشار أبا إسحاق، والعباس فى قتله فأشارا به.

فقال له المأمون: قد أشارا بقتلك.

فقال إبراهيم: أما أن يكونا قد نصحا لك فى عظم الخلافة وما جرت به عادة السياسة فقد فعلا، ولكنَّك تأبى أن تستجلب النصر إلا من حيث عَوَّدك الله.

وكان فى اعتذاره إليه أن قال: إنه وإن بلغ جرمى استحلال دمى، فحلم أمير المؤمنين وفضله يبلغاننى عفوه لى بعدهما شفعة الإقرار بالذنب، وحق الأبوة بعد الأب.

فقال المأمون: لو لم يكن فى حق سببك حق الصفح عن جرمك لبلغك ما أملت حسن تنصلك ولطف توصلك.

وكان إبراهيم يقول بعد ذلك: والله ما عفى عنى المأمون صلة لرحمى، ولا محبة لاستحيائى، ولا قضاء لحق عمومتى؛ ولكن قامت له سوق فى العفو فكره أن يفسدها بى.

---

(١) إبراهيم بن محمد المهدى بن عبد الله المنصور، العباسى الهاشمى، أبو إسحاق أخو هارون الرشيد تولى الخلافة ببغداد كان فصيحًا شاعرًا توفى سنة (٢٢٤هـ). انظر: تاريخ بغداد (١٤٢/٦) ابن خلكان (٨/١).

[٥٠٥] **ومن أحسن ما قيل فى مثله قول العتابى**[1]:

رحل الرجاءُ إليك مُغْتَرِبا حُشِدت عليه نوائب الدهر
ردَّت إليك ندامتى أملى وثنى إليك عنانَه شُكرى
وجعلتُ عَتْبُك عتب موعظة ورجاءَ عفوك مُنتهى عُذرى

[٥٠٦] **وقول على بن الجهم**[2]**، للمتوكل**[3]:

عفا الله عنك ألا حرمةٌ تعوذ بعفوك أن أبعدا
لئن جل ذنب ولم أعتمده لأنت أجلّ وأعلى يدا
ألم تر عبدًا عدا طوره ومولى عفا ورشيدًا هدى
ومفسد أمر تلافيته فعاد فأصلح ما أفسدا
أقِلنى أقالك من لم يزل يقيك ويصرف عنك الردى

[٥٠٧] **وفى مثله.** وجد بعض الأمراء على رجل فجفاه واطرحه حينًا، ثم دعا به ليسأله عن شىء فرآه ناحلاً شاحبًا.

فقال له: متى اعتللت؟

فقال:

ما مَسَّنى سُقْمٌ ولكننى جفوتُ نفسى إذ جفانى الأمير

فعاد له.

[٥٠٨] **وقال آخر:**

ألا إن خير العفو عفو مُعَجَّل وشر العقاب ما يُجازُ به القدرُ

---

(١) سبقت ترجمته فى [٤٨٤].

(٢) على بن الجهم بن بدر، أبو الحسن من بنى سامة من لؤى بن غالب: شاعر ، أديب توفى سنة ٢٤٩هـ من آثاره له ديوان شعر. انظر: تاريخ بغداد (٣٦٧/١١) البستانى (٤٣٦/١).

(٣) المتوكل، هو: المتوكل عبد الله بن محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد، أبو الفضل خليفة عباسى نقل مقر الخلافة من بغداد إلى دمشق توفى سنة (٢٤٧هـ) انظر: ابن الأثير (١١/٧) تاريخ بغداد (١٦٥/٧) الطبرى (٢٦/١١).

[٥٠٩] **وكان يقال:** بحسب العقوبة أن تكون على مقدار الذنب.

[٥١٠] **وفي العفو:** قال بعضهم: إن عاقبت جازيت، وإنْ عفوت أحسنت، والعفو أقرب للتقوى.

[٥١١] **ونحوه:** قال رجل لبعض الأمراء: أسألك بالذى أنت بين يديه أذَلُّ منى بين يديك، وهو على عقابك أقدر منك على عقابى؛ إلا نظرت فى أمرى نظر من بُرئى أحبُّ إليه من سقمى وبراءتى أحبُّ إليه من جرمى.

[٥١٢] **ونحوه قول آخر:** قديم الحرمة، وحديث التوبة يمحقان ما بينهما من الإساءة.

[٥١٣] **وفى مثله:** أتى الأحنف بن قيس، مصعب بن الزبير[١]، فكلّمه فى قوم حبسهم.

فقال: أصلح الله الأمير: إن كانوا حبسوا فى باطل فالحق يخرجهم، وإن كانوا حبسوا فى حق، فالعفو يسعهم، فخلاهم.

[٥١٤] **وفى مثله:** أمر معاوية بعقوبة روح بن زنباع[٢].

فقال له روح: أنشدك الله يا أمير المؤمنين أن تضع منى خسيسة أنت رفعتها، أو تنقض منى مرة أنت أبرمتها، أو تُشَّمت بى عدوًّا أنت وقمته، وإلا أتى حلمك وعفوك على جهلى وإساءتى.

---

(١) مصعب بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدى القرشى، أبو عبد الله أحد الولاة الأبطال فى صدر الإسلام، تشأ بين يدى أخيه عبد الله بن الزبير، وولاه عبد الله البصرة سنة (٦٧هـ) وكان أحب أمراء العراق إلى أهل العراق. توفى (٧١هـ) انظر: تاريخ بغداد (١٣/١٠٥).

(٢) روح بن زنباع، هو: ابن روح بن سلامة الجذامى ، أبو زرعة هو أمير فلسطين، وسيد اليمانية فى الشام وقائدها وخطيبها وشجاعها . قيل له صحبة وله مع عبد الملك وغيره أخبار كثيرة توفى عام (٨٤هـ) . انظر: الإصابة (٢/٤١٩) الأعلام (٣/٣٤).

فقال معاوية: خليا عنه.

ثم أنشد:

إذا الله سَنّى عقد أمر تيسرا

[٥١٥] **وفي مثله:** أمر عمر بن عبد العزيز بعقوبة رجل قد كان نذر إن أمكنه الله منه ليفعلن به وليفعلن.

فقال له رجاء بن حيوة[١]: قد فعل الله ما تحب من الظفر، فافعل ما يحب الله من العفو.

[٥١٦] **وفي مثله:** قال ابن القرية[٢]، للحجاج في كلام له: أقلنى عثرتى، وأسغنى[٣] ريقى، فإنه لابد للجواد من كبوة، ولا بد للسيف من نبوة[٤]، ولابد للحليم من هفوة.

فقال الحجاج: كلا، والله حتى أوردك جهنم، ألست القائل بِرسْتَقُبَاذ[٥]: تغدوا الجدى قبل أن يتعشّاكم.

---

(١) رجاء بن حيوة، هو: ابن جرول الكندى، أبو المقدام شيخ أهل الشام فى عصره من الوعاظ الفصحاء العلماء كان ملازمًا لعمر بن عبد العزيز فى عهدى الإمارة والخلافة ، واستكتبه سليمان بن عبد الملك وهو الذى أشار على سليمان باستخلاف عمر توفى عام (١١٢هـ) انظر: الأعلام (١٧/٣).

(٢) ابن القرية، هو: أبو سليمان أيوب بن زيد، كان أعرابيًا أميًا وهو معدود فى الخطباء المشهورين، قتله الحجاج بن يوسف سنة (٨٤هـ) والقرية: بكسر القاف وتشديد الراء المكسورة: اسم لإحدى جداته . انظر: وفيات الأعيان (٢٥٨) الأغانى (١: ١٦٣).

(٣) أسغني: بمعنى أمهلنى ولا تعجلنى، وهى من ساغ الشراب سوغا : أى سهل مدخله فى الحلق. انظر: لسان العرب، مادة [سوغ].

(٤) نبوة:عدم قطع، نبى حد السيف: إذا لم يقطع . انظر: لسان العرب، مادة [نبا].

(٥) رستقباذ: رستقباذ من أرض دستوا؛ ودستوا بلدة بفارس نسب إليها قومًا من العلماء، وإليها تنسب الثياب الدستوائية. انظر: معجم البلدان (٤٩/٣) ، (٥١٨/٢).

[٥١٧] **وفى مثله:** أمر عبد الملك بن مروان بقتل رجل.

فقال: يا أمير المؤمنين، إنك أعز ما تكون أحوج ما تكون إلـى اللـه، فـاعف له، فإنك به تُعان وإليه تعود، فخلى سبيله.

[٥١٨] **وفى مثله.** قال خالد بن عبد الله، لسليمان بعد أن عَذَّبَهُ بما عذبه به: إن القدرة تُذْهِبُ الحفيظة وقد جلّ قدرك عن العتاب ونحن مُقِرُّون بالذنب، فإن تعف فأهل العفو، وإن تعاقب فبما كان منا.

فقال: أولى لك؛ أما حتى تأتى الشام راجلاً فلا عفو.

[٥١٩] **وفى مثله:** ضرب الحجاج أعناق أسارى أتى بهم.

فقال رجل منهم: والله لئن كنا أسأنا فى الذنب، فما أحسنت فى المكافأة.

فقال الحجاج: أفٍّ لهذه الجيف، أما كان فيهم أحد يحسن مثل هذا، وكَفَّ عن القتل.

[٥٢٠] **وفى مثله.** أخذ مصعب بن الزبير رجلاً من أصحاب المختار[1] فأمر بضرب عنقه.

فقال: أيها الأمير ما أقبح بك أن أقوم يوم القيامة إلى صورتك هـذه الحسنة، ووجهك هذا الذى يستضاء بـه، فأتعلق بأطرافك وأقـول أى ربٍّ سل مصعبًا فيم قتلنى.

قال: أطلقوه.

قال: اجعل ما وهبت لى من حياتى فى خفض.

قال أعطوه مائة ألف.

---

(١) المختار، هو: ابن أبى عبيد بن مسعود الثقفى، أبو إسحاق من زعماء الثائرين على بنى أمية. توفى سنة (٦٧هـ) الإصابة (ت ٨٥٤٧) ابن الأثير (٨٢/٤).

قال: بأبى أنت وأمى، أُشهد الله أن لابن قيس الرَّقيات منها خمسين ألفًا.

قال: ولم؟

قال: لقوله فيك:

إنما مصعبٌ شهاب من الله ... تجلَّت عن وجهه الظلماء

ملكه ملك رحمة ليس فيه ... جبروت يُخْشَى ولا كبرياء

يتقى الله فى الأمور وقد أفـ ... ـلح من كان همه الاتقاءُ

فضحك مصعب، وقال: أرى فيك موضعًا للصنيعة، وأمره بلزومه، وأحسن إليه فلم يزل معه حتى قتل.

[٥٢١] **وفى مثله:** قال عبد الملك بن الحجاج التغلبى لعبد الملك بن مروان: هربت إليك من العراق.

قال: كذبت، ليس إلينا هربت، ولكنك هربت من دم الحسين(١) وخفت على دمك فلجأت إلينا.

ثم جاء يومًا آخر فقال:

أدلو لترحمني وتَرْتُقَ خلَّتى ... وأراك تدفعنى فأين المدفع(٢)

[٥٢٢] **ونحوه قول الآخر:**

كنتُ من كربتى أفِرُّ إليهم ... فهمُ كربتى فأين الفرار

[٥٢٣] **وفى مثله:** قنع(٣) الحجاج رجلاً فى مجلسه ثلاثين سوطًا، وهو فى ذلك يقول:

وليس بتعزير الأمير خَزَايةٌ ... علىَّ إذا ما كنت غير مُريب

---

(١) الحسين، هو: ابن على بن أبى طالب ، الهاشمى القرشى العدنانى أبو عبد الله السبط الشهيد ابن فاطمة الزهراء ، سيد شباب أهل الجنة ، توفى سنة (٦١هـ) ابن الأثير (١٩/٤) الطبرى (٢١٥/٦).

(٢) ترتق: من الرتق : تلتئم وتلصق . انظر: لسان العرب ، مادة [رتق].

(٣) قنع: قنع رأسه بالسوط غشاه به. انظر: القاموس المحيط، مادة [قنع].

[٥٢٤] **ونحوه:**

وإن أمـــير المؤمنيـــن وفعلـــه لكـالدهر لا عـارٌ بمـا فعـل الدهـر

[٥٢٥] **وفي مثله:** مر الحسن البصرى برجل يُقاد منه[١].

فقال للولى: يا عبد الله، إنك لا تدرى لعل هذا قتل وليك، وهو لا يريد قتله وأنت تقتله متعمدًا، فانظر لنفسك.

قال: قد تركته لله.

[٥٢٦] **وفي مثله:** حدثني أبو حاتم، عن الأصمعى، عن عيسى بن عمر، قال: رُمِيَ الحجاج فقال: انظروا من هذا؟

فأومأ رجل بيده ليرمى، فأخذ، فأدخل عليه، وقد ذهبت روحه.

قال عيسى بصوت ضعيف يَحْكى الحجاج: أنت الرآمينا[٢] منذ الليلة؟

قال: نعم أيها الأمير.

قال: ما حملك على ذلك؟

قال: العيّ والله واللؤم.

قال: خلوا عنه، وكان إذا صُدِق انكسر.

[٥٢٧] **وفي مثله:** حدثني أبو حاتم، عن الأصمعى، عن عثمان الشحّام، قال: أتى الحجاج بالشعبى.

فقال له: أَخرَجْتَ علينا يا شعبى؟

قال: أجدب بنا الجنابُ، وأحزن بنا المنزلُ، واستحلسنا[٣] الخوف، واكتحلنا السهر، وأصابتنا خزية لم نكن فيها بررة أتقياء، ولا فجرة أقوياء.

فقال الحجاج: لله أبوك، ثم أرسله.

---

(١) يقاد: يقتص منه ، القود: القصاص. انظر: لسان العرب ، مادة [قود].

(٢) الرآمينا: رمى الشيء ألقاه وأرمى السهم عن القوس . انظر: القاموس المحيط، مادة [رمى].

(٣) استحلسنا: غطانا . انظر: لسان العرب، مادة [حلس].

[٥٢٨] **وفي مثله:** أتي موسى بن المهدى برجل كان قد حبسه، فجعل يُقرِّعه بذنوبه.

فقال الرجل: يا أمير المؤمنين، اعتذارى مما تقرعنى به رَدٌّ عليك، وإقرارى بما تعتده عليَّ يلزمنى ذنبًا لم أجنه، ولكنى أقول:

فإن كنتَ ترجو بالعقوبة راحةً فلا تَزْهَدن عند المعافاة فى الأجر

[٥٢٩] **وفي مثله:** قال الحسن بن سهل، لنعيم بن حازم، وقد اعتذر إليه من ذنب عظمه: على رسلك أيها الرجل، تقدَّمت لك طاعة وتأخرت لك توبة، وليس لذنب بينهما مكان، وما ذنبك فى الذنوب بأعظم من عفو أمير المؤمنين فى العفو[1].

التلطف فى الدعاء:

[٥٣٠] **وفي الدعاء له:** قال رجل لبعض الأمراء: إني لو كنت أعرف كلامًا يجوز أن ألقى به الأمير غير ما جرى على ألسن الناس، لأحببت أن أبلغ ذلك فيما أدعو به له، وأعظِّم من أمره، غير أني أسأل الله الذى لا يُخْفَى عليه ما تحتجب به العيوب من نيات القلوب؛ أن يجعل ما يُطَّلع عليه مما تبلغه نيتى فى إرادته للأمير أدنى ما يؤتيه إياه من عطاياه ومواهبه.

[٥٣١] **وفي الدعاء له:** قرأت فى كتاب رجل من الكتاب: لا زالت أيامك ممدودة بين أمل لك تبلغه وأمل فيك تحققه؛ حتى تتملى من الأعمار أطولها وترقى من الدرجات أفضلها.

[٥٣٢] **وفي الدعاء:** دخل محمد بن عبد الملك بن صالح، على المأمون حين قُبِضَتْ ضياعه.

فقال: السلام عليك أمير المؤمنين، محمد بن عبد الملك سليل نعمتك، وابن دولتك، وغصن من أغصان دوحتك، أتأذن له فى الكلام؟

---

(١) انظر: البيان والتبيين (١/١٠٣).

قال: نعم.

فتكلم بعد حمد الله والثناء عليه، فقال: نستمتع الله لحياطة ديننا ودنيانا ورعاية أدنانا وأقصانا ببقائك يا أمير المؤمنين، ونسأله أن يزيد فى عمرك من أعمارنا، وفى أثرك من آثارنا، ويقيك الأذى بأسماعنا وأبصارنا، هذا مقام العائذ بظِلّك، الهارب إلى كَنَفَكَ وفضلك، الفقير إلى رحمتك وعدلك، ثم تَكلّم فى حاجته.

[٥٣٣] **وفى شكر السلطان وفى حمده:** قدم رجل على سليمان بن عبد الملك فى خلافته.

فقال له: ما أقدمك عَلَىَّ؟

فقال: يا أمير المؤمنين ما أقدمنى عليك رغبة ولا رهبة.

قال: وكيف ذلك؟

قال: أما الرغبة؛ فقد وصلت إلينا، وفاضت فى رحالنا، وتناولها الأقصى والأدنى منا. وأما الرهبة؛ فقد أَمِنّا بعدلك يا أمير المؤمنين علينا، وحسن سيرتك فينا من الظلم، فنحن وفد الشكر.

[٥٣٤] **وفى حمده:** كتب بعض الكتاب إلى وزير: كل مدى يبلغه القائل بفضلك، والواصف لأيامك، والشاكر للنعمة الشاملة بك قصدٌ أَمَم عند الفضائل الموفورة لك والمواهب المقسومة للرعية بك، فواجبٌ على من عرف قدر النعمة بك أن يشكرها وعلى من أظله عِزُّ أيامك أن يستديمه، وعلى من حاطته دولتك أن يدعو الله ببقائها ونمائها.

فقد جمع الله بك الشّتات، وأصلح بها الفساد، وقبض الأيدى الجائرة، وعطف القلوب النافرة، فأمنت سرب البرىء، وخفضت جأشه وأخفت سبل الجانى، وأخذت عليه مذاهبه ومطالعه، ووقفت بالخاصة والعامة على قصد من السيرة أمنوا بها من العثار والكبوة.

[٥٣٥] **وفى حضه على شكر الله عز وجل:** قال شبيب بن شيبة للمهـدى: إن الله عز وجل لم يرض أن يجعلك دون أحد من خلقه، فلا ترض بـأن يكـون أحد أشكر له منك والسلام[1].

[تَمَّ بحمد الله]

(١) انظر: البيان والتبيين (٢/١٠٠).

الفهـــــارس

فهرس الآيات

فهرس الأطراف

فهرس الأقوال

الفقرة	القائل	القول
٣٩٤		قد استعديتك عليك مظلوما فضاق عنى عدلك
٤٣٩		قد رأيتك وليت عرضك من لا يصونه
٥١٥	رجاء بن حيوة	قد فعل الله ما تحب من الظفر فافعل ما يحب الله من العفو
٣٩٤		قد كنت أستعديك ظالما على غيرك فتحكم لى
٤٢٥		قد وفيت مالك وما عليك إن صدقته بفعل
٤٢٥		قد وليتك بابى فما تراك صانعا برعيتى
٤٩٤	خالد بن صفوان	قدمت فأعطيت كلا بقسطه من نظرك ومجلسك وصلاتك
٥١٢		قديم الحرمة وحديث التوبة يمحقان ما بينهما من الإساءة
٧٤	عدى بن أرطأة	القراء ضربان: فضرب يعملون للآخرة
٣١٧		القضاء الحق العدل: قتل النفس بالنفس
٣١٧		القضاء الحق غير العدل الدية على العاقلة
٣١٧		القضاء العدل غير الحق قتل الحر بالعبد
٤٧		قلوب الرعية خزائن ملوكها
٤١١	القبعثرى	القيد والرتعة ومن كان فى ضيافة الأمير
٢٣٠	وهب	كان إدريس أول من خط بالقلم
٤٦٢		كانت العرب تتعوذ بالله من قرع
٢٥٤		كتاب الملوك عيبتهم المصونة عندهم
٢٤٥	أبرويز	كلام الكاتب على مقدار الملك
٣١٠		كل قليلا تعمل كثيرا
٤٩٧	كسرى	كنت أستريح منه إليك ومنك إليه
١٤٢		لا أفعل شيئا حتى أشاورهم
٤٩١	العتابى	لا امحت معاهد من خلفته فى مرتبته
٤٨١		لا إيثار حقه عن الأخذ لها بحقها عنده
٥١٦	ابن القرية	لابد للحليم من هفوة
٥١٦	ابن القرية	لابد للسيف من نبوة
٣٠٦	أبرويز	لا تعوض بخير شرا
٢٤٥	أبرويز	لا تجترئن على فأمتعض
٢٧	أردشير	لا تحتكروا فيشملكم القحط
٤٢٨	خالد بن عبد الله	لا تحجبن عنى أحدا إذا أخذت مجلسى
٢٤٥	أبرويز	لا تدعن أن ترفع إلى الصغير

فهرس الأمثال والحكم

فهرس الشعر

أول البيت	القافية	الفقرة
أبلغ	ذمما	٣٣٢
إذا المرء	حيث يمما	١٨٤
تعلم	له ابنما	١٨٤
وتنزل	الفهما	٣٣٢
وإنى	سؤدم	٢٠٣
إذا	تلوم	٢٠٣
إذا	الظلوم	٢٠٣
ما يدخل	مظلوم	٤٠٥
سأكتمه	كريم	٢٢٦
وإن	لكريم	٤١٥
أسحن	لعظيم	٤١٥
حليم	وحليم	٢٢٦
إذا كان	الأمير	٣٩٣
ونستعدى	الأمير	٣٩٢
وأغضيت	الحفون	٤٢٠
فلا تبخلا	حزين	٤٥١
ولما دخلت	حزين	٤٠٦
وإذا	زينا	٤٨٠
أصونك	اليقين	١٦٤
وفى الباب	تلين	٤٠٦
إذا جئته	كمين	٤٥١
فقل	يمين	٤٥١
ابن لى	هواه	١٨٩
فيعمى	لا يراه	١٨٩
يظلون	انصداعها	١٩٨
أواخى	جماعها	١٩٨
ولا تدفنى	أذوقها	١٩٤

فهرس الأعلام

العلم	الفقرة
سليمان بن عبد الملك بن مروان أبو أيوب	٧
سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم القرشي الأموى	٥٣٣
السندى بن شاهك	٣٥١
أبو سهل = بريدة بن الحصيب	
سهيل بن عمرو بن عبد شمس القرشى	٤٣٢
سوار بن عبد الله بن سوار بن قدامة	٣٣٨ ، ٣٤٠ ، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣
ابن سيرين = محمد بن سيرين بن البصرى أبو بكر	
ابن شبرمة	٣١٣ ، ٣٢٤، ٣٣٤، ٣٤٦
أبو شبرمة = عبد الله بن حسان بن شبرمة الضبى	
ابن شبرمة = عبد الله بن حسان الضبى أبو شبرمة	
شبيب بن شيبة بن عبد الله التميمى أبو معمر	٩٥ ، ٤٦٨، ٥٣٥
شداد بن عمرو بن أوس	٢٩٠
شرحبيل بن المطاع بن الغطريف الكندى	٣١٤
أبو شريح = أوس بن حجر بن مالك	
شريح بن الحارث بن قيس الكندى أبو أمية	٣١٤ ، ٣٧٠
شريك بن الأعور الحارثى	٤٥٨
الشعبى = عامر بن شراحيل بن عبد ذى كبار الحميرى أبو عمرو	
شريك بن عبد الله بن أبى شريك النخعى	٣٣٥
أبو شيبة = إبراهيم بن عثمان	
شيرويه	٤٩ ، ٦٦، ٧٢، ١٢١، ٣٠٥
أبو الشيص = محمد بن على بن عبد الله بن رزين	
صالح السدوسى	٣١٦
صخر بن حرب بن أمية بن عبد مناف أبو سفيان	٤٢٣
صهيب بن سنان بن مالك	٤٣٢
الطائي = أحمد بن محمد	
طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب	٣٥٠
أبو عائشة = مسروق بن الأجدع بن مالك الهمدانى	
أبو العاج	٣٨٧
عامر بن شراحيل بن عبد ذى كبار الحميرى أبو عمرو الشعبى	٢٢، ٣٨، ٧١، ٧٩، ٣١٤، ٣٣٠، ٣٧٣، ٥٢٧

فهرس الفرق

فهرس الأماكن

فهرس الأيام والوقائع

فهرس أقوال العجم

فهرس الأعمال

فهرس الكتب

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١-أسد الغابة ابن الأثير الجزرى

٢-إرشاد الأريب ياقوت الحموى

٣- الأعلام خير الدين الزركلى

٤-الأغانى الأصفهانى

٥-الأنساب السمعانى

٦- الإصابة ابن حجر العسقلانى

٧- البخارى

٨- البداية والنهاية ابن كثير

٩- البستانى

١٠-البيان والتبيين الجاحظ

١١-التعريفات الجرجانى

١٢-التهذيب ابن عساكر

١٣-الرسائل الجاحظ

١٤-الروض المعطار أبو عبد الله الحميرى

١٥-الطبقات الكبرى ابن سعد

١٦-العبر ابن خلدون

١٧-القاموس المحيط للفيروزابادى

١٨-الكامل المبرد

١٩-الكامل ابن الأثير

٢٠- المعارف ابن قتيبة

٢١-المعجم الكبير للطبرانى

٢٢-النجوم الزاهرة ابن طغرى بردى

٢٣-الوزراء الجهشارى

٢٤-تأويل مختلف الحديث ابن قتيبة

٢٥-تاريخ الإسلام الذهبى

٢٦- تاريخ الطبرى الطبرى

٢٧-تاريخ بغداد الخطيب البغدادى

٢٨-تفسير الطبرى الطبرى

٢٩-تهذيب التهذيب ابن حجر العسقلانى

٣٠-جمهرة الأمثال العسكرى

٣١-جمهرة الأنساب ابن حزم

٣٢-حلية الأولياء أبو نعيم الأصفهانى

٣٣-خزانة الأدب للبغدادى

٣٤- خزانة بغداد للحموى

٣٥-ديوان الحماسة التبريزى

٣٦-ديوان الفرزدق الفرزدق

٣٧- سبائك الذهب

٣٨-سنن الترمذى الترمذى

٣٩-سير أعلام النبلاء الذهبى

٤٠- شذرات الذهب ابن العماد

٤١-صحيح مسلم بشرح النووى

٤٢-طبقات الشعراء ابن قتيبة

٤٣-فوات الوفيات محمد بن شاكر

٤٤-كتاب الآيين ابن المقفع

٤٥-كتاب الشعر والشعراء ابن قتيبة

٤٦-كنز العمال المتقى الهندى

٤٧-لسان العرب ابن منظور

٤٨-مروج الذهب المسعودى

٤٩-مسند الإمام أحمد أحمد بن حنبل

٥٠-معجم البلدان ياقوت الحموى

٥١-معجم قبائل العرب عمر رضا كحالة

٥٢-مقدمة ابن خلدون ابن خلدون

٥٣-نسب قريش مصعب بن عبد الله الزبيرى

٥٤-وفيات الأعيان ابن خلكان

فهرس المحتويات